

الرحلة العلمية في قلب الكرة الأرضية

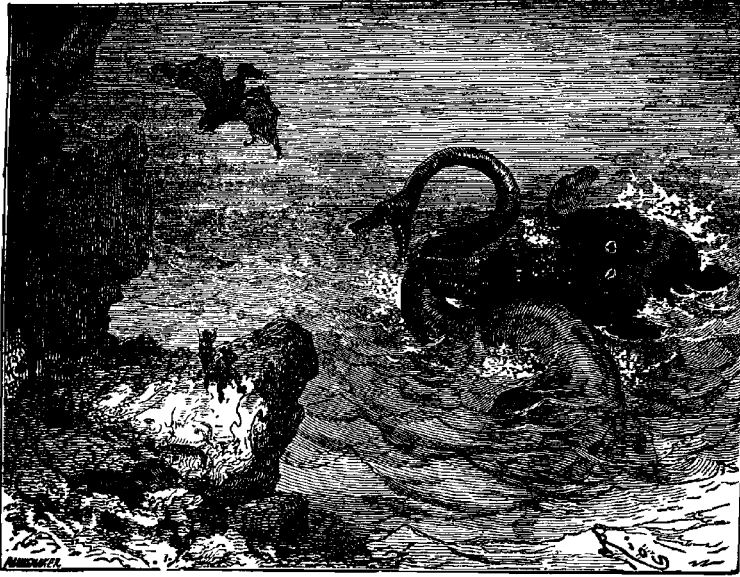
رواية

جول فيرن

ترجمة

اسكندر عمون





الفصل الاول

حدث اكيل ليدنبروك عن نفسه قال - ولدت في اواخر سنة ١٨٤٤ في مدينة هيرج من مدن المانيا وما كدت ابلغ الحلم الا وانا ييم من الاب والام وكان لي عم ضرور يدعى اوتوليدنبروك فاحضنتني واعتنى بامري فكان عندي بمثابة الوالد وانا عنده تنزلة الولد وكان قد تبنى ابنة يتيمة من افاريناتسى غريبه ثمارني في السن ولكونها من اترابي تخذتها رفيقة لي في العالي وربيت على حبها فلم يكن يطيب لي عيش الا بالقرب منها وكان في البيت خادمة مسنة تدعى مرنا وهي التي باشرت امر تربيتي وتربية ابنة عمي وكانت سليمة القلب صافية النية صادقة الطوية على جانب عظيم من السذاجة تحبنا محبة الوالدة لاولادها او اشد ونحن نحبها لذلك ونكرها واما عمي فكان جاد الطبع صعب المراس ألقى بعيد المستمر اذا طلب شيئا هير الوسن في

سويل امرأه وانما كلف نفسه امرأ عكف عليه وانقطع اليه فلا يهناه له بال قبل
ان يفضيه وكان عجولاً عبقاً مستبداً برأيه وبحكمه فكان لعل يمتدح بخصوه
ويعتقون شره على انه لم يكن في الحقيقة شريراً ولكن الحدة كانت غالبية عليه
مسلطة على ارادته بل كان محيولاً عليها من ضيعته وهو طويل القامة
رفيع الجسم عصي المزاج اشقر اللون ازرق العينين كبيرها على ان عيبه
كأنما متواربين غالباً ورآه نظارته العظيمة الحجم حيث كان لا يزال يلهيها
بين الارض والسما وكان انه طويلاً رقيقاً كأنه نصلة مدبة وقد زعم البعض
انه مغنط بحيث يجذب الحديد وهو اخلاقى صرف واقفاً محض فانه ما
كان يجذب الا السعوط ولكن بكمية وافرة

وكان الاستاذ اوتو من علماء الميولوجيا والمعادن الذين يشار اليهم
البلدان فانه كان من مجرد رائحة المعدن او منظره او صلاحه او رتبه او طعمه
او من كيفية ذوبانه او من صوت كسره يعرف حقيقته ويعينه من بين الستائة
نوع المعروفة وقد بلغ من الشهرة مبلغاً عظيماً حتى ان كثيرين من علماء
العصر سعموا اليه وزاروه في منزله منهم هفري ديفي وهبولد وسابين وكان
كثيرون من العلماء يستشردون برأيه في ادق المسائل الكيماوية كيكرييل
وايلين وبروستر ودوماس وميلن ادواردس وسنت كلير دوفيل لانه
توصل في هذا العلم الى اكتشافات مهمة ورفع القباب عن اسرار غامضة
وقد وضع في البلور النظري كتاباً طبع في مدينة ليبسيك سنة ١٨٥٣ ولكن
ذلك الكتاب مع ما حواه من فرائد الفوائد لم يتم بنقطة طبعه

وكان عي من جملة اساتذة المدرسة الكبرى بهبرج حيث كان يدرس علم
المعادن وكان كلما الى درسا لا بد ان تأخذه الحدة مرة او مرتين على الاقل
ذلك انه كان في لسانه ثقل في النطق وحسنة في الكلام وكانت تزداد لعنته
لذا قام في متبر الخطابة فان علم المعادن يشتمل على كلمات متعقدة لم يكن



وهو طويل القامة رقيق الجسم (صفحة ٤)

ينطق بها لسان الاستاذ الا بعد التردد الشديد والمقاومة العنيفة فطالما وقف
 في اثناء خطابه يحاول لفظ كلمة من تلك الكلمات الثقيلة وبعد الجهد والمشقة
 ينطق لسانه بلعنة او لفظة شتم بدلا من ان ينطق باسم من الاسماء العلمية
 يستصعب النطق الصريح لسانه ويجيء بعد عنائه بالمهم
 واذا عصاه مراده يعتاضه بالنسب والقول الشديد المؤلم
 نعم ان تلك الكلمات المركبة من اللاتينية واليونانية يصعب لفظها على
 كثير من كجيلينيت وفنجاسيت وملبدات الرصاص وتجبستات المغنيسيا وتيتانيات
 الزيرقون فلا عجب اذا تعذر لفظها على لسان الكن ولا حرج عليه بذلك

على ان كثيرين من ظرفاء المدينة كانوا يأتون المدرسة لجرد حضور مقالات
الاستاذ اوتوليدينبروك وكانوا يقفون له بالمرصاد عند المواقع الخطرة اي
الكلمات الثقيلة فاذا تعلم لسانه عندها طمتموا يصيحون فيزداد الاستاذ غيظاً
ويستشيط غضباً من تلك الكلمة المستعصية فاذا اعاد لفظها وهو في تلك الحالة
من الحدة ازداد شططاً ولم ينطق لسانه الا بقرعة عنيفة تنجلي بعد برهة عن
لعنة بسيطة

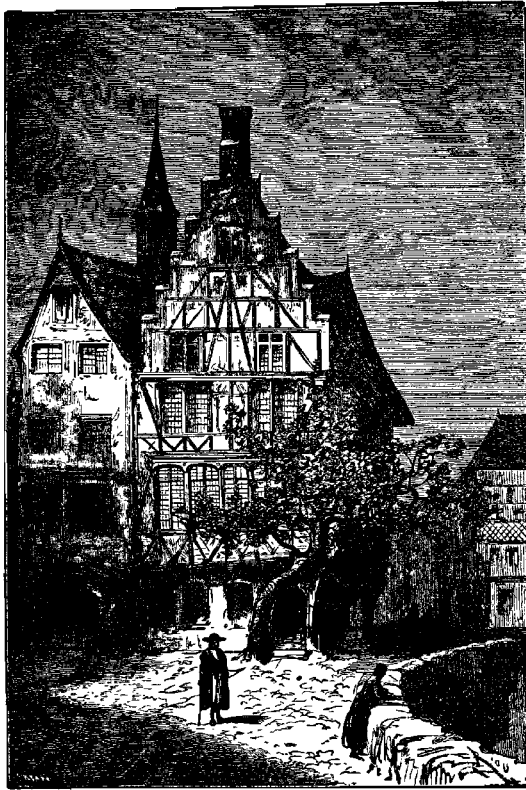
وكان عمي في الوقت نفسه متولياً حفظ مجموعة الموسيواستروف سفير الروسية
التي كانت من الاتيكينات المشهورة في جميع أوروبا

واما سكبه فكان في المنزل نمرة ١٩ بشارع كونيغستراس الذي نجم من حريق
سنة ١٨٤٢ : وهو اقدم شوارع المدينة وبيته من اقدم بيوت الشارع المذكور
نصفه مبني بالخشب والنصف الآخر بالطوب وكان مثلاً قليلاً بحيث ان
احد حيطانه كان مائلاً نحو الشارع وسطه منحنياً الى الورا كقبعة عساكر
البحرية ومع ذلك فقد افناه على تلك الحالة ولعله لم يستطع لانه كان متكئاً
على شجرة دردار قائمة بلصق الحائط

وما حسن بيت له زخرفه تراه اذا زالت لم يكن

وكان عمي قد اتخذني مساعداً له في امتحاناته وتحضيراته الكيميائية
وكتب مثلاً بالطبع الى علم المعادن ولذلك كنت اتلقى الدروس عنه باجتهاد
واقبائه زائدين ولم اكن امل من الاقامة بين شذور عجموته الثينة لاسيما اذا
كانت ابنة عمي معي

وبالمجمل فان ايماننا التي قضيناها في ذلك البيت كانت هنيئة وعيشتنا
فيه رغبة رغماً عما كان يخامرنا من الكدر بسبب حدة عمي وهياجه وشارب
غضبه لاسبابه كان يجني محبة شديدة هذا فضلاً عن اتنا مع الوقت افناه على
علائه وتعودنا على معاملاته وكما نعدره لملنا ان تلك الطباع متمكة منه متسلطة



واما سكة فكان في المنزل نمر ١٩ (صفحة ٦)

على نفسه فكان اذا زرع نباتا واستبطاء نموه يأتيه في كل يوم ويجذبه من اوراقه
بقصد تعجيل نموه واذا مشى قاصدا جهة من الجهات ينهب الارض نهبا
وهو يعدو الجهمزى وكفاه متبضتان شأن الرجل العنيف الطباع ولذلك كان
ينفر منه كل من يراه عند اول وهلة وكثيرا ما كان يكسر ادواته الكيميائية
لاستعماله اياها بالعنف والقسوة

يستحضر الجسم المراد بحكمة وينال من اعماله المطلوب
لكن اذا مس الجهاز بقوة اذرى الوفود وكسر الانبوا

الفصل الثاني

في يوم الخميس الواقع في ٢٤ مايو سنة ١٨٦٢ خرج عي من البيت صباحاً
 كبحاري عادته وكان لا يعود عادةً إلا لمناولة الطعام إذا اتصف النهار فممت
 بعد خروجه بساعة إلى شرفة من شرف المنزل اتسم الهواء النقي وأسرح الطرف
 في الخلاء وبينما أنا على ذلك حانت مني التفاتة إلى الشارع فرأيت عي
 عائداً إلى المنزل بسرعة غير سرعته الاعتيادية وكانت الخادمة مرتاً بجانبني
 فظننت أنها تأخرت في الطبخ عن الميعاد لان الطعام كان لم ينفج بعد بل لم
 يكن للتدر غطفلة فقلت في نفسي ان كالي عي جائعاً مع ما هو عليه من
 قلة الصبر فسرى منه الساعة شراً عظيماً ثم اكتمت مرتاً ان عي عا قبل
 ميعاده ولذلك لا حرج عليها اذا لم تكن هيأت الطعام فسكن جاشها وقالت
 واي داع اذن لحضوره في مثل هذه الساعة فوالله ما اتانا مرة قبل الميعاد
 الا الامر عظيم ثم انصرفت إلى المطبخ بعد ان اوصتني بتسكين غضبه انا ما
 اخذه الغضب على اني كنت ابعد الناس عن اتباع مشورة مرتاً لاني
 كنت اشراه بطعام عي وعنايه ولذلك عزمت على دخول غرفتي لا توارى عن
 نظره فلم اشعر الا وقد فتح الباب الخارجي ثم ردّ بقوة وعنف فاهتزت
 جدران البيت بينا كانت قوائم السلم الخشبية ترقص تحت وطأة الاستاذ
 وحينما دخل القاعة رمى بعضاه احدى زواياها والتي قبعتها الواسعة على الطاولة
 وابتدرني بهذه الكلمات : يا اكسيل انبغني ودخل مخدعه فهرولت نحوه
 مسرعاً خوفاً من ان يستبطنني ومع ذلك فما ادركته الا وقد فرغ صبره
 وكان مخدع الاستاذ متخفاً حقيقياً يخنوي على جميع اجناس المعادن
 بأنواعها وهي موضوعة فيه بغاية الترتيب والانتظام مقسومة إلى اقسام ثلاثة بحسب
 التقسيم العام قسم للمعادن القابلة للاشتعال وقسم للمعادن الغير قابلة للاشتعال
 للمعادن اللينة وكنت اعرف تلك الشذور والاركة حق المعرفة بل كنت

كلنا بها كلف العاشق بمشوقه فكم من يوم صرخته في تنظيها وفرزها بدلاً
من ان اصرفه في اللعب مع اقراني وكم من ليلة احببتها بالتأمل فيها اجل
الطرف بين الملباحين والانسيت والخث واللكيث والزفت والبيت
والحمز والكبريت والفساد يوم والروبيدوم والزركونيوم والليثيوم والغلوسيوم
والكلسيوم والستريتيوم والترييوم واليتريوم والاريوم والسيريم والديديوم
والروثينيوم والروديوم والنيوبيوم والباريوم والبلاديوم والاسميوم والاريديوم وسائر
المعادن الفلزية والاملاح العضوية وكلها متساوية في القيمة من حيث الفائدة
العلمية بيد اني لما دخلت المخدع على اثر عي لم انظر الى هذه الدرر ولا افتكرت
فيها لانني كنت مشغولاً عنها بعبي وكان وقتئذ جالساً على كرسيه محققاً نظره الى
كتاب بيده يتصفح مرددا عبارات الاعجاب والانتهاج وكان ولو عاباً بالكتب
مفرغاً مجهمها ولكنه لم يكن يعتبر كتاباً الا اذا كان نادر الوجود او كان على
الاقل بالياً رثاً بحيث تشعذر قرأته وبعد ان وقفت امامه برهة نظر الى بوجه
منهل فرحاً وقال ما قولك في هذا الكتاب انه لكثرتين وقد عثرت عليه
في هذا الصباح في دكان هينيلوس اليهودي فاجبته في الواقع هودرة تيمة
على اني لم اكن اعرف ما هو ذلك الكتاب ولكن لم يكن في وسعي الا
الافرار على رأي عي وكان يلقبه بين يديه ولوائح الرضا والانتهاج تلوح على
وجهه وهو يخاطب نفسه ويجاوبها قائلاً هل من كتاب اثنى منه كلا فلله در
مؤلفه ودر مجلده فما احكم جمعه واتقن صنعه وما اطوعه اذا فتح وما اضبطه اذا
اغلق فشتان بين مجلده وامر مجلدي هذا العصر بل من يراه ويظن ان
له في عالم الوجود اكثر من مائة سنة مع انه قد تجاوز عشرة الاجيال بخمسة
يد يد

وكان في اثناء ذلك يفتح الكتاب ويطبئه ويأخذ نارة باليمين وطوراً
بالشمال فلم يسعني الا ان اسأله عن موضوعه وكنت انظاه بالاندهاش لحسن

ذلك الكتاب مجازةً له ورغبةً في ارضائه فاجابني بعجب وانفجار قائلاً
تسألني عن هذا الكتاب فاعلم انه كتاب الحيوان تأليف ابي عثمان عمرو
بن بحر بن محبوب الملقب بالمجاحظ امام الفصحاء والمتكلمين الذي توفي في واسط
المجلد الثالث للهجرة

قللت أليس هو الذي قيل فيه
لو بسخ الخنزير مستحاً ثانياً ما كان الادون قبح المجاحظ
قال بل هو الذي قيل فيه ما فضل الله تعالى به امة الاسلام على غيرها من
الامم عمر بن الخطاب بسياسة والحسن البصري بعلمه والمجاحظ ببيان
قلت وهل هذه هي ترجمة ذاك التأليف الى اللغة الالمانية
قال أف لك وما هي قيمة الترجمة فهل تظن اني كنت اكثرت بها فاعلم ان
هذا الكتاب هو التأليف الاصيل الذي وضعه مؤلفه في اللغة العربية اشرف
اللغات واغناها وان هجرها الجاهل وعادها
قلت وهل حرفه جميل

فنظر اليّ الاستاذ شزراً وقال اتحسبه مطبوعاً يا غافل مع ما رأيت من شغفي
به فاعلم انه كتب اليد بالخط الكوفي الذي اخذته طي عن كاتب الوحي للنبي هود
عليه السلام

ثم اردف كلامه قائلاً انظر الى هذه الكتابة ايها الغر الجاهل وتأمل هذه
الحروف ايها الكافر ولتأخذك الدهشة من هذه الرموز الالهية
وكان يقول هذا الكلام بمجدة وحرارة ونظرة هائجة في قفار التصور وكانت حاله
اشبه بمجالة رجل سلب عقله او غاب رشده ولا حرج عليه فان العلم كان
معبوده والعلماء رسله وانبياءه واما انا فلما لم اجد لدي جواباً ابديه هممت بان
اجتو على ركبتي احتراماً للكتاب واجلالاً لرموزه غير انه عرض امر حوّل الحديث
عن موضوعه وكفاني عنه الركوع . ذلك انه سقط من الكتاب بينما كان عي قلبه

بيديه رقعة قذرة صفراء كانت محفوظة فيه فاتقضى عني عليها انمضاض البازي
على الياغات واتشلها ويدها ترتجفان ثم يسطها بجرص واعنائه على مكتبه وكان
ظولها نحو خمس اصابع وعرضها نحو ثلاث وعليها كتابة حروفها عربية الا ان
كلماتها بربرية

ولما كانت هذه الكتابة قد حملتني وعي على سفرة لم تخطر ببال عاقل من
اهل العصر التاسع عشر قد حفظت رسمها وهذه صورتها
مهران بتخاس سكهاها وليون نسلالا كفايظك سيوفير نريسيب
رطينة اضوره اريتاو نارلف الهكنف الشسيم

الفصل الثالث

تأمل الاستاذ هذه الكتابة برهة ثم نظر اليّ وقال لاشك ان هذه الاحرف
عربية ولكن كلماتها بربرية لا ارى لها معنى
فقلت له من اين لنا ان نحكم بانها عربية مع علمنا ان حروف اللغات العربية
والفارسية والتركية واحدة في الرسم

قال لا فان هاتين اللغتين تشتملان على حروف اربعة لا وجود لها في اللغة
العربية وهي الباء والجيم والزاى والكاف الفارسيات والحال اني لا ارى منها شيئاً
في هذه الرقعة مع انها تشتمل على اربعة وثمانين حرفاً

وكان الاستاذ يعرف جميع اللغات المألوفة لا اريد بذلك لغات الارض
اجمع التي يبلغ عددها نحو الالفين فضلاً عن الالسن التي تبلغ اربعة الاف بل
الشهيرة منها وبيننا نحن على ذلك دق ناقوس الظهور وفي ذلك الوقت ففتح مرتا
الباب وقالت سكبت الشوربا:

فاجابها عي لعنة الله على الشوربا والى لعنة على من طبخها وعلى من
ياكلها

المسند الحميري وكانت حروفها كلها منفصلة وكانوا ينعون العامة من تعلمها فلا يتعاطاها احد الا باذنهم حتى تعلمها مرمر بن مره واسلم بن سدره وعامر بن جدره وهم من عرب طي على كاتب الوحي للنبي هود عليه السلام فتصرفوا فيها ووضعوا الخط الكوفي وسموه بخط الجزم لانه جزم اي اقتطع وولد من المسند الحميري ثم علموه اهل الانبار ومنهم اشتهرت الكتابة في البلاد العربية ثم سمي بها بعد بالخط الكوفي وكان الخط غفلاً والمحروف مبهمه الى ان خالطت العرب الاعاجم وتغيرت الستم فكثرت اللحن والتصحيف في قراءة المصحف الشريف فوضع ابو الاسود الدؤلي الشكل في ايام معاوية ووضع نصر بن عاصم النقطة افراداً وازواجاً في ايام عبد الملك بن مروان منعاً للاشكال والابهام واستمرت الكتابة بالخط الكوفي الى اواخر القرن الثالث للهجرة اذ جاء ابن مقلة الوزير ابو علي ونقلها الى الطريقة المألوفة في ايماننا او ما يقاربها ثم جاء بعده علي بن هلال البواب الكاتب البغدادي فذهب طريقته ونجحها فصارت على ما هي عليه الان فعميت لسعة اطلاعه ورأيت حكمه في محله

ثم اضاف قائلاً يظهر من ذلك اذا ان شخصاً من الذين تداولوا هذا الكتاب حرر هذه الرقعة السرية ولكن من هو ذلك الشخص يا ترى ألم يضع اسمه على احدى اوراق هذا الكتاب قال ذلك ثم نزع نظارته واخذ عدسية قوية وامرّ نظره بواسطتها على الصفحة الاولى ثم الثانية من الكتاب فوجد في اسفلها كلفاً اشبه بلطخ من الحبر اذا نظر اليه بالعين المجردة فتأمل قليلاً وتبين له انه كتابة معقدة لم يبق منها الا الاثر وبعد انعام النظر والتدقيق قرأ اسم ارن سكوسيم مكتوباً بحروف الجملانية تعرف بحروف اودين وهذا رسمه

1111 4111111111

ولما قرأ ذلك الاسم تهلل وجهه بالفرح ثم قال بصوت الظافر

أرن سكوسيم هو من اهالي اينسلاندا من غناء العصر السادس عشر وهو
كيباوي شهير

ثم اضاف قائلاً ان هؤلاء الكيباويين كابن سينا وباكون وبرسليز هم علماء
زمانهم دون غيرهم فقد اكتشفوا اسراراً علمية لا تزال تعجب منها ومن المحتمل ان
يكون سكوسيم اكتشف امراً عظيماً وودع سره هذه الرقعة المبهمة نعم لا بد ان
يكون كذلك لان سكوسيم كان من اشهر العلماء ولولم يقصد اخفاء امر ذي
شأن عن ابناء عصره لما اختر لغة غريبة دون اللغات الاوربية وجعل الكتابة
على ما هي عليه من الاشكال

قلت ولماذا اختر سكوسيم اللغة العربية دون بقية اللغات الشرقية فلو
كان قصده اخفاء سر ما عن ابناء عصره لكان الاولى به ان يكتبه بلغة اقل انتشاراً
من اللغة العربية

قال لا بد ان يكون لذلك داع

ثم اطرق لحظة وقال لكل لغة عمر محدود وان طال فاذا انقضى اندثرت
اللغة واضمحلت او انتقلت من حال الى حال الا اللغة العربية فانها آمنة من
بوائق المحدثان ولا تتغير بغير الزمان لان الله انزل فيها كتاباً فدام على وجه
الارض مسلم فهي قائمة لا يخشى عليها من النسيان واظن ان ذلك هو السبب
الذي حمل سكوسيم على اختيارها دون بقية اللغات لانه لم يقصد ملاشاة امر
اكتشافه بالمرة بل اخفاه حيناً من الدهر

قلت لا بد ان يكون الامر كما قلت ولكن ماذا عسى ان يكون حمل ذلك
العالم على اخفاء اكتشاف من الاكتشافات الغريبة

قال وهل ادري ذلك اما اخفى غليبيوا اكتشافاته المتعلقة بزحل عن اهل
زمانه ومع ذلك فستنبلي لنا الحقيقة وحرام علي الطعام والتمام قبل ان اقف على سر
هذه الرقعة

فتأوهت لذلك فقال وعليك ايضاً يا أكسيل
فحمدت الله الذي الهمني التهام الطعام حين كان عي مشغلاً برقعته
يلعن الشوربا وطابخها ومن يأكلها



الفصل الرابع

بعد أن بقي الاستاذ برهة يعمل الفكرة وهو يناجي نفسه قال نعم هذه الكتابة
عربية لاشك فيها ولكن احرف الكلمة الواحدة مختلطة باحرف الكلمة الاخرى
ولا بد من الوصول الى فرزها

فقلت في نفسي ان تيسر لك ذلك يا عماه فانت ادعى من ابي مره
ثم رجع يخاطب نفسه فقال هذه الرقعة تحذوي على اربعة وثمانين حرفاً
مختلة التركيب اختلالاً واضحاً وكل سنة منها جعلت كلمة واحدة ولا اظن ابداً
ان هذا الوضع نتيجة الصدفة بل لا بد ان الكاتب اقتفى فيه قاعدة ما فلا بد ان
تكون العبارة كتبت اولاً كتابة صحيحة ثم اقلب وضعها بطريقة مجهولة وهي الطريقة
التي يجب علينا ان نبحث عنها فن وقف على مفتاح هذا المعنى قرأ هذه الكتابة
وفهم مضمونها ولكن من لي بهذا المفتاح عسى ان تكون وجدته يا أكسيل
اما انا فلم اجبه على سؤاله وذلك لان نظري كان قد وقع على رسم لائنة عي
غربية معلق على الحائط فمال النظر اليه والفكر في صاحبه بيني وبين الاجابة
وكانت يومئذ عند احدى اقاربها في ألثونا وهي قرية بجانب المدينة وكنت
حزيناً لفراقها كثيراً لبعادها لاني كنت كثير الشغف بها والميل اليها
ملاً القلب حبها وهواها يعلم الله صار اكبر هي
ونسيت الوجود طراً فلا غر وأنا ما نسيت اقوال عي
وكنت قد خطبتها بدون علم عي لانه لم يكن يدرك عواطف المحبة وعوامل
الفرام اذ ان كلفه بالعلوم قد اشغل فواده وعقله عما سواها



وكانت غريبة صبوحة الوجه وضاحة الجبين (صفحة ١٦)

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصباية الا من يعانيتها

وكانت غريبة صبوحة الوجه وضاحة الجبين شقراء الشعر زرقاء العينين بارزة
النهد مائلة الى الجد والرصانة بعيدة عن الهزل والطيش وهي مع ذلك شديدة
الولع بي فلما وقع نظري على رستها خفق فوادي لذكرها ونسيت عي ورقعته
وسكنوسم ورقاعته وغصت في بحار الافكار فذكرت ايام قرب حبيتي
والاوقات التي كانت تساعدني فيها في تنظيف مجموعة المم وكانت مائلة الى
علم المعادن راغبة في اتقائه فكم من ساعة صرفناها معاً نبحث في ادق المسائل
الجيولوجية وكم من مرة حسدت الشدور والركزان التي كانت تملها يداها اللطيفتان

وهل في عالم الانسان احلى من العلم المعزز بالجمال
لصاحبه على الارواح بطش فاما بالخلال او الدلال

ثم ذكرت اوقات الزهرة اليومية اذ كنا نسير سوية حيث لا عذول ولا
رقيب نجوس خلال الرياض ونحن نتجاذب اطراف الحديث واعطاف الكلام
وتتأرجح الروايات الادبية والابحاث العلمية حتى اذا بلغنا شاطئ البحيرة اثنتين على
ضفة نهر الألب فتقف هناك برهة نراقب الجمع يغتسل في مياهه ثم نعود الى المنزل
على قارب بخاري

وبينما كنت اذكر ذلك واتلف على تلك الايام الماضية ايام السرور والهناء
ضرب عي المكتتب بيده ضربة قوية فاتتهبت من غفلي مجفلاً اجفال الظلي
المدعور وغاب خيال ابنة عي عن عيني ورأيت شخص الاستاذ متصباً امامي كأنه
مارد من مرده الجن فكنت كمن سقط من جنة النعم الى قاع الحجيم
وكان عي اذ ذاك يكلم نفسه قائلاً اذا اراد احد ان يجل ترتيب احرف جملة
ما فاري ان اول فكر يطرأ عليه هو ان يضعها على خط عمودي بدلاً من ان
يضعها على خط افقي

فقلت في ذلك نظر

ثم خاطبني قائلاً سنرى نتيجة هذا الامتحان فخذ يا اكسيل هذه الورقة
واكتب عليها اي جملة خطرت ببالك ولكن بدلاً من ان تضع حروف الكلمات
متتابعة مرتبطة ببعضها ضعها منفصلة على خطوط عمودية سنة

فادركت قصده وفي الحال اخذت القلم وحررت بيتاً من الشعر كنت بفي
ذلك الوقت اردده بفكري ووضعت حروفه بحسب اشارتوني على الاسلوب الاقي

ب م ي و م ا
ا ي ب ا ي ك
ب ي ة ن ف ف

ي ا ف ا و د
و غ ا و ق ا
ا ر ك ع ذ ك

ولما فرغت من الكتابة عرضت الرقعة على الاستاذ فالتى نظره عليها
بدون ان يقرأها وقال احسنت فضم الان حروف كل خط اتي الى بعضها بحيث
يصير كل خط كلمة واحدة

ففعلت كما اشار وقرأت الالفاظ الاتية

بيوما ايمايك بيتنف بافاود وعاوفا اركعذك
ولم اتم القراءة حتى اخنطف عي الورقة من يدي قائلاً نعم نعم هذه الالفاظ اشبه
شيء بكلمات الرقعة السرية ولعل سهي اصاب الغرض
ثم نظرت الي وقال اني لم اقرأ الجملة التي كتبها فاذا اردت ذلك فليس لي
الا ان آخذ الحرف الاول من كل كلمة ثم الثاني فالثالث وهلمّ جرّاً فانال
المقصود

ثم فعل كما قال وقرأ البيت الاتي ولوائح الدهشة والتعجب ظاهرة على وجهه
ياي وامي ياغريبة فاكِ وانا واعي فوق ذاك فذاك
واما انا فكنت اشد منه حيرةً ودهشةً لاني كتبت ذلك البيت بدون اتباعه
ففصح نفسي واطلعت عي على سري وما زاد في الطين بلة هو اني جعلته فدياً
لغريبة فلعلت قريحتي ووقفت موقف الخجل المذنب انتظر من عي اشد التبكيت
وامر التعنيف

واما هو فبعد ان قرأ البيت نظرت الي نظرة المعلم الصارم وقال بصوت
المتوعد تحب غريبة وانا وانت وابوك وامك فدياً لها
فاردت المجاوبة ولكن ارجع علي وارتيكت الى ركني فقلت لا ثم قلت نعم
ثم قلت لا واماعي فبني يردد قوله تحب غريبة وتنديها بي ولكنه كان يقول ذلك

بدون انتباه وافكاره مشغلة بجل كتابة الرقعة فحمدت الله الذي حول غضبه
عني واثبتت على كاتب الرقعة التي شغلته ونسيت اني لولا تلك الرقعة لما فرط مني
ما فرط وكان عمي لا يزال يردد تلك الكلمات ثم نظر اليّ وقال
ان صح ذلك فاستعمل هذه الطريقة لحل الرقعة السرية
فقلت في نفسي ان كان حل الرقعة موقوفاً على صحة محبتي لغريبة فبشر الاستاذ
بفوز قريب

ثم اخذ يسرد عليّ حروف الرقعة السرية بحسب الطريقة التي وضعناها
فانعكست حروفها بالكيفية الاتية

م ي س و ن ك
س ن ر ا ا ن
ا ا ه ت ك ل
س ق ي ر ط ض
ر ا ل ا ب ل
ق ي ل ا و ي
ن و ي ر ه ش
ر خ ا و ا ي
ف س ي ر ت ر
ك س ا ا ه ل
ل ظ ي ي ت ل
ا ل ف ي ن س
ا ن ا ك ر ب
ه ه و ف ن م

وفي أثناء ذلك كان الأستاذ يضطرب اضطراباً هائلاً كالقأمر إذا راهن على جميع ماله دفعة واحدة وأزفت دقيقة فصل الخطاب وكانت عيناه تلعبان ويدها ترتجفان وكنت أنا مشاركاً لهُ بعض المشاركة في حاساته وإنفعالاته ولما أخذ الورقة من يدي حبست نفسي وأعرته أذنًا صاغية منتظراً منه كشف القناع عن سر تلك الرقعة

أما هو فبعد أن تأمل الكتابة برهة قال ميسونك سنرا آن آآآ... ما معنى هذه الألفاظ ثم أخذته الحدة وضرب المكتب بيده ضربة هائلة فستط القلم من يدي وأندفق الخبر من الدواة وبعد ذلك اندفع الأستاذ من الباب كحجر المنجنيق وخرج من البيت وهو يرغي ويزبد كالفتيق فسكن جاشي لانصرافه وإنفكت قيود أسري

وكانت مرثا قد سمعت قلقلة المفتاح في القفل فأسرعت نحوي وقالت أخرج عمك

فقلت نعم

قالت ولكنك لم يأكل بعد

قلت لن يأكل أبداً

ففزعت من ذلك وقالت كيف هذا

فقلت لها اعلمي يا عزيزتي مرثا أن عي قد حرم الأكل على نفسه وعلى كل أهل

بيته حتى يوصل إلى حل معي هو اعقد من ذنب الضب

فجذعت مرثا لذلك الخبر واصفر وجهها وارتعدت فرائصها وبعد أن اطرقت

برهة قالت قضي علينا أنن بالموت جوعاً

وكنت أخاف فعلاً أن يكون ذلك ما قدر علينا نظراً لما اعهدده في عي من

العناد ولما رأيته في الرقعة من الاشكال وإما مرثا فانصرفت إلى المطبخ وهي في

حالة بأس بين



واما مرنا فانصرفت الى المطبخ وهي في حالة يأس بين (صفحة ٢٠)

الفصل الخامس

بعد انصراف عي خطر بيالي ان اتوجه الى قرية التونا حيث كانت غريبة
اقص عليها الامر وكنت اعلم بانها لا تستطيع ان تحوله عن عزمه ولكن
كوى المصاب تخفف الم العذاب

يسرى عن الانسان ان يث حزنه ويرتاح للشكوى لمن يتعشق
غيراني خشيت من ان يعود الى البيت في اثناء غيبي لامتحان طريقة اخرى فلا
بدني وخوفاً من العاقبة بقيت في مكاني ثم تذكرت ان صديقاً لعي من علماء
الجيولوجيا كان قد اهدانا في امس ذلك اليوم بعض قطع سليكية وهي حجارة تبلور قلبها

فاخذت اشتغل بفرزها ووضعتها في المحلات المعدة لها ولما فرغت من ذلك
اتكأت على كرسي عمي واخذت ادخن ورأسي ملقى على ظهر الكرسي وعيناي
ترقبان صعود الدخان وكنت انامل صورة الحواريه المنقوشة على الحجر التي بعد
ان كانت تحاكي الثلج بناصع بياضها اصبحت زنجية حالكه السواد بسبب فعل الدخان
المسمر وكان لم يزل فكري مشتغلاً بامر الرقعة السرية وما نفع عنها فقلت با ترى
هل من عامل من العوامل الطبيعية قادر على تبديل حدة عمي بالاعتدال
وشدته باللين كما تبدل بياض تلك الصورة بالسواد وضعت ذلك السؤال
ولم استطع عليه جواباً ومهما يكن من ذلك فاني كنت معتقداً كل الاعتقاد ولا
اظنني مخطئاً ان عمي كان في تلك الساعة تائهاً في برة المدينة يهرع الشجر بعصاه
ويدوس الزهور برجليه وهو يقاتل خياله ويكافح سرهاله وما كنت ادري ايرجع
فاتراً منصوراً ام يعود كئيباً آيساً من حل تلك الكتابة التي كادت تسلب
عقله ثم اخذت بيدي الورقة التي حررتها بخطي وكنت بعد ان سمعت ما اقام عمي
من الادلة ايقنت ان تلك الحروف لم توضع عبثاً ولا كان اختلال تركيبها جزافاً
فقلت في نفسي اذا تقرر ذلك فلا بد ان يكون لهذه الكتابة شأن ولربما تحوي على
اكتشاف عظيم لان نفس تعقيدها بالكيفية التي هي عليها هو دليل كافٍ على ذلك
والا لما كان يحرص محررها على ما حوته فلا شك ان تعقيدها كان بقصد حفظ
وصيانتها من ايدي العامة ثم حاولت ان اركب من تلك الحروف كلمات مفيدة
فلم تيسر لي ذلك وبعد ان اشتغلت بها ساعة اعياني التعب وكنت عيناى فرفعت
نظري عن الورقة الا اني بقيت ارى الاربعة وثمانين حرفاً تحوم حولي كأنهم
شبه ناربة او خطوط فوسفورية وكان قد كلل وجهي العرق فصرت اتروح
بالورقة بحيث كان يقع نظري تارة على وجهها وتارة على ظهرها وبينما كان ظهره
متيحاً نحوى والكتابة تلاًلأ عليها متقلبة وقع نظري على السطرين الاخيرين منه
فقرأت (من فوهة بركان) فوقفت بيدي عن الحركة واضطربت جميع اعضائه

واحدة لاني في تلك اللحظة ادركت سر ذاك المعنى وعرفت ان العبارة كتبت
حروفها اولاً على خطوط عمودية ستة يحوي كل منها على اربعة عشر حرفاً ثم
نحت حروف كل خط اقلي الى بعضها بحيث صارت كلمة واحدة ثم وضعها كاتبها
على الرقعة منعكسة مبتدئاً من آخرها ومنتهاً بالاولا رغبة في زيادة الاشكال
لنحقق لي ان عمي محق في حكمه على لغة الكتابة بانها عربية مصيب في اختيار
القاعدة التي استعملت لتغيير ترتيب الحروف بحيث صارت الكلمات مبهمة
معقدة كما رأيناها وفي ذينك الامرين كانت الصعوبة الحقيقية وما كان باقياً
ينة وبين الفوز الاشئ يسير جداً فذلك الشئ اليسير الذي فات عمي ادركته
انا بمجرد الصدفة

ولربما كدح المحكم لفكرة وسواه ادركها باول نظرة
ففي تلك الساعة كنت مضطرباً اضطراباً رائداً وقلبي يخفق خفقاناً شديداً
لأن من فاجأه الظفر واندرته الامنية فانه لم يكن لي الا ان اقرأ الكتابة
بالقلب مبتدئاً من آخرها لكي اقف على السر الذي تضمنته ولكني تركت الرقعة
على المكتب وذهبت الى احدي نوافذ المخدم وتسمت الهواء البارد برهة حتى
سكن روعي وهذا اضطراب اعصابي ثم رجعت الى محلي وانتكأت على المكتب
نوق الرقعة وتلوتها منعكسة بدون ان اتوقف فيها البتة فجأت عبارة عربية
نصيجة صريحة وهذا نصها

(من فوهة بركان اسنفل التي يظللها اسكرتريس في اواخر شهر يونيو الى قلب
الارض طريقة سلكها انا ارن سكوسم)

ولم اتم قراءة العبارة حتى اخذتني الرعدة ثم لبثت برهة لا ابدي حراكاً كمن
غاب رشده وبعد ذلك انتهت كمن يستيقظ من حلم وظننت ان ما نظرت
مو مجرد رؤيا فقرأت الكتابة ثانية وثالثة حتى لم يبق عندي ريب في الامر فاخذني
لعجب الشديد من جسارة ذلك الرجل ثم داخلي الرب في صدق الرواية لاني

لم اكن اتصور امكان حصول ذلك الامر الغريب ثم تذكرت عني فوثبت من على الكرسي خائفاً مرتعداً لاني قلت في نفسي ان عرف هذا الامر فلا بد من ان يقتنى اثر سكونسيم فانه ليس دون المذكور جنوناً وهو مائل بالطبع الى الاكتشافات متمالك على مشاهدة المستغربات وكم يتخفى باستكشاف صغير فكيف بامر مثل هذا خطير فليس من سبيل الى تحويله عن عزمه بل لابدله من ان يأخذني بصحبته وليس بعد تلك الرحلة من رجوع وفي نفس ذلك الوقت افكرت في غربة والعذاب الذي افاقيه انا فارقتهما فاخذت على نفسي اخفاء الامر عن عني وقلت ان ابقيت هذه الرقعة فلربما توصل ولو بعد مدة الى حلها كما توصلت انا الى ذلك بطريق الصدفة وفي ذاك الوقت كنت ارى حلها سهلاً جداً كما يحصل لكل احد بعد اطلاعه على حل معي او لغز ولذلك عزمت على احراق الرقعة التي حررتها بيدي ورقعة سكونسيم ايضاً فاخذتها بيدي وتقدمت نحو الموقدة واذا بالباب قد فتح فرأيت عني داخلاً مسرعاً فارجعت الرقعتين الي محلها على عجل وسلمت الامر لله اما الاستاذ فدخل صامتاً وجلس على كرسيه امام المكتب وهو غائص في بحار الافكار ثم اخذ القلم بيده وشرع بحرر ارقاماً حسابية ومعادلات جبرية ويدا في ارتعاش فاخذت اراقب عمله وحركاته خائفاً من ان تؤدي تلك الطريقة الجديدة الى الغاية المقصودة على ان خوفي كان في غير محله اذ ان الطريقة الوحيدة التي تؤدي الى المطلوب هي التي توصلت بها الى قراءة الجملة فكل طريقة سواها فاسدة بالطبع فبقي عني نحواً من ثلاث ساعات يكتب ويشطب ويثبت ويعو فيجرب طريقة ثم يعدل عنها ويذهب الى رأي ثم يايي عنه فكلما عرض له فكر سار معه كالسائر التخييل وكنت اعلم جيداً انه اذا قلب وضع احرف الرقعة بكل الكيفيات الممكنة يتوصل الى تركيب الجملة على صحتها ولكني كنت اعلم ايضاً ان عشرين حرفاً فقط تتركب على ٢٤٣٢٩٠٢٠٠٨١٧٦٦٤٠٠٠٠ وجه فكيف باربعة وثمانين فلا ريب ان عدد الوجوه التي تتركب عليها يكاد لا ينطق به لسان الانسان ولذلك

كنت مطمئناً من ذلك القليل فجلست على كرسي بارز عني وتركنه يجبط في ارقامه
خبط عشواء

وكانت قد غربت الشمس فتفتحت مرثا الباب وقالت هل سيدي عازم على
تناول الطعام الليلة

فلم يسمها الأستاذ لأنه كان غائباً في بजार الأفكار فقفلت راجعة من حيث
انت وإما أنا فبعد ان بقيت ساعة تأخذني الأفكار وتجيء بي غلب عليّ النعاس ففتحت
على الكرسي حتى الصباح اذ افرسني البرد فاستيقظت وكان عني لم ينزل الى تلك
الساعة مكباً على عمله عاكفاً على شغله وعلى وجهه شعوب وفي عينيه احمرار
فعلت انه قاسى اشد العناء وهو يحاول الاستعيل وكان من وقت رجوعه اخر
مرة الى البيت لم يعاوده الغضب قط بل لم يفه ببنت شفة فاخذتني الشفقة عليه
وخشيت من ان يطرأ عليه عرض فجأة بسبب استمرار تنبيه افكاره وانحصار
الانفعالات النفسانية في فواده وكان في مكاني ان انشله من الضيق الذي كان
فيه بكلمة واحدة ولكني لم افعل ولم يكن سكوني عن قساوة مني فاني لما شاهدت
عني في تلك الحالة كاد قلبي يتفطر ولكن الحالة قضت عليّ بالتزام السكوت اصلحة
عني نفسه لاني كنت معتقداً كل الاعتقاد انه لو اطلع على ذلك لما تأخر عن اقتفاء
اثر سكوني ولو كان دون ذلك احوال ولهذا كنت مصيماً على اخفاء ذلك السر
الذي اطلعتني عليه الصدفة وقلت ان اطلع عليه عني من تلقاء نفسه فليفعل ما
يشاء وإما أنا فلا اريد ان اكون سبباً في هلاكه وبناءً على ذلك اقميت في مكاني
متظراً الفرج من الله

وفي تلك الساعة ارادت الخادمة مرثا ان تتوجه الى السوق لاجل شراء
بعض المأكول فوجدت الباب مقفلاً والمفتاح منزوعاً منه واطن ان عني فعل
ذلك حين رجوعه الى البيت في اخر مرة على اني لم اعلم هل فعل ذلك عمداً او
على غير ابتياه فقلت في نفسي ان كان في عزيمته ان يحرم الاكل علينا فعلاً فذلك

عين الجور ومنتهى الظلم لانه ابي يدري ولمرنا في السبب الذي حل سكوسيم على
على وضع سره في صورة ذاك المعنى واي ذنب لنا ان عجز عني عن حله وكيف
يحقق لهُ ان يجازينا بذنب غيرنا ان كان في المسألة ذنب ثم تذكرت انه سبق لعبي
ان ابقانا مرة بدون اكل مدى ثنائي واربعين ساعة وذلك من بضع سنوات حينما كان
يشتغل في ترتيب مجوهراته المعدنية وتذكرت ايضا ان ذلك الصوم العلمي
سبب لي آلاما شديدة في المعدة ولما لم يكن في اليد حيلة لم ارأولى من الاعتصام
بالصبر الجميل ووطدت العزم على كتمان سري مما بلغ مني الجوع وكنت في ضيق
من حبي في المنزل وعدم استطاعتي الخروج اشد من ضيقي من الجوع وذلك
لاسباب لا تخفى على فطنة القارئ اما مرثا فكانت في بأس شديد لا ترى من الموت
مناسبا واماعي فكان غائبا في مجار التامل ولذلك لم يشعر بشئ من الاحتياجات
الطبيعية وعند الظهر اشتد بي الجوع وكنت لهوما من طبعي الا اني سكت على مضض
وكانت مرثا قد اكلت في عشية اليوم السابق كل بقايا الطعام حتى لم يبق
للجردان ما تسد به الرق وعند الساعة الثانية بعد الظهر اشتد جوعي حتى كدت
استط على الارض مغشيا علي وصرت ارى الاشياء على غير الوانها وحينئذ قلت
في نفسي ان الالهية التي رأيتها للرقعة هي وهمة او بالاقل لبست في الدرجة التي
توهنتا وان عني لا يصدق بمحصول تلك الرحلة بل يعتبر المسألة من قبيل الكذب
والاخلاقى وعلى فرض انه اعتقد بصحة الرواية فلا يصعب توقينه عن السفر ولو
بالرغم عنه هذا اذا اراد السفر وانه من الممكن مع ذلك ان يقف على مفتاح المعنى
من تلقاء نفسه فاكون قد تحملت عذاب الصوم على غير فائدة على ان الهلاك كان
ميقوتا لو دام الامر على هذا الحال يوما ثانيا وهو في السفر مظنون فقط قلت
موت مظنون خير من موت ميقون ولو فرضنا تساوي الدرجتين فالولى من هلاك
معمل هلاك مؤجل فهذه الملاحظات لو عرضت لي في اليوم السابق لما اكثرث
بها ولكن للجوع تأثيرا على الافكار فرأيتها في تلك الساعة حرية بالاعتبار بل لمت



وبناء على ذلك اتمت في مكاني منتظرًا الفرج من الله (صفحة ٢٥)

نفسى على سكوني لحد ذاك الوقت

وبناء على ذلك اعتمدت ان اطلع عي على السر الذي شغل افكاره وبينما
كنت افكر في كيفية الفاء الامر عليه قام عن كرسيه واخذ قبعته بيده واستعد
للخروج فاضطربت وجلاً وقلت ان خرج وتركنا محبوسين فستقامي امر العذاب
لاسبما اذا طالت غيبته فلم بخط خطوة نحو الباب حتى ناديت قائلاً يا عمه فلم
يسمعي فكررت عليه الداء قائلاً بصوت عالٍ يا عمه ليد نبورك
فالتفت نحو ي كمن استيقظ من غفلة وقال مالك

قلت هل وجدت المفتاح

قال اي مفتاح تعني أمفتاح الباب

قلت بل مفتاح المعنى

فنظر اليّ بتأمل ورأيت عينيه شاخصتين اليّ من وراء نظارته ولعلمة نظر على وجهي علامة مرت فانهطف نحوني بسرعة واخذ ذراعي بيده ونظر اليّ وهو غير قادر على الكلام الا ان نظرت له كانت سؤالا غاية في الفصاحة

فجاوبه محرّكا رأسي من اعلى الى اسفل

اما هو ف اشار برأسه اشارة يدل على عدم اعتقاده بصدق قولي ونظر اليّ كمن داخله الريب في سلامة عقلي اني كررت اشارتي للتأكيد فلمعت عيناه ومد يده نحوني كأنه يتهددني ولولا اهمية الامر الذي كنا في صدده لفحكت من تلك المحاوراة الخرساء وكنت اردت المطاولة في المسألة خوفاً من ان يؤثر الفرح الشديد بعني تأثيراً وخيم العاقبة او ان يحمله السرور على معاتفتي فيضمني الى صدره بعنفه المعتاد فتذهب روحي شهيدة فرحه ولكنني اضطرت اخيراً الى الافصاح فقلت له نعم مفتاح المعنى وجدته بالصدفة فاضطرب وقال احق ما تقول

فقدمت له الورقة التي كنت حررتها بنظي وقلت له خذ واقرأ

فاخذ الورقة وجعلها باصابعه قائلًا واي معنى لهذه الكتابة لا معنى

لها البتة

قلت لا معنى لها ان قرأها كما هي ولكن اقرأها بالقلب مبتدئاً من آخرها فما اتممت كلامي حتى صرخ صرخة دونها زئير الضراغم وكان في تلك اللحظة قد ادرك سر المسألة ثم قرأ الكتابة على صحتها بصوت مرتعش ولم يفرغ منها حتى وثب من مكانه كمن لمس سلكاً كهربائياً واخذته خفة الطرب فصار يذهب ذات اليمين ويعود ذات الشمال وهو بهمهم ويحجم وينقل الكرسي من محلاتها ويجمع كتبه التي كانت على المكتب ثم يفرقها وكان يضرب باحدى يديه الحائط وبالأخرى الطاولة وبعد ساعة سكن هيجانه وهذا اضطرابه فاستلقى على كرسبه

وقد اعياه التعب ثم نظر اليّ وقال في اي ساعة نحن من النهار

قلت في الساعة الثالثة

قال فابالي اذن اجوع من ذؤالة قم بنا تناول الطعام وبعد ذلك ننظر

في تحضير معدات السفر

قلت أنت مسافر

قال نعم وانت ايضا

قال ذلك ودخل قاعة المائدة فاخذني القلق وقلت هذا ما كنت اخشاه

وكنت اعلم ان عمي لا يعدل عن السفر الا اذا افنعه البراهين العلمية بعدم امكان

تلك الرحلة فاخذت انظر في تلك البراهين فرأيتها قاطعة فاطمان بالي نوعاً

الفصل السادس

لما دخل عمي قاعة المائدة لم ير طعاماً على الخوان فاخذ يشتم ويلعن فافهمته ان السبب في ذلك هو تحريمه الاكل علينا منذ صباح اليوم الفائت وكان قد برح عن فكره هذا الامر قبل العذر خلافاً لعادته وسمع لمرتا بالتوجه الى السوق لشراء بعض المأكول والمشرب وبعد ذلك ببساعة جلسنا تناول الطعام وكانت لوائح الطرب والسرور ظاهرة على وجهه بادية في حركاته وكان يمزح ويضحك ولما فرغنا من الاكل اوما اليّ ان اتبعني ودخل مكتبه فتبعته ولما استقر بنا المقام نظر اليّ وقال بصوت لطيف انت نبيه جداً يا اكسيل وقد صنعت معي جيلاً لا اساه بارشادي الى طريقة حل المعى بعد ان اعياني التعب وعزمت على ان اضرب عنه صفحاً فتأكد يا بني ان لك حقاً في جانب عظيم من الفخر الذي سيعود علينا

قلت في نفسي ان الاستاذ الان في حالة صفاً ويمكنني معارضته في امر الرحلة
واقامة الادلة على عدم امكانها.

ثم اردف كلامه قائلاً اني اوصيك يا اكسيل بكمكان البر فان لي حسداً
واعداء كثيرين بين العلماء. وان علموا بالامر سبقونا الى السفر فيجب ان لا يدري
احد بامرنا الا بعد عودتنا

قلت وهل تظن يا عماه انه يوجد كثيرون من الذين يقدمون على مثل
هذه الرحلة

فقال من ذا الذي لا يخاطر بنفسه لاكتساب الفخر والشهرة فوالله لو عرف
العلماء بوجود هذه الرقعة ومضمونها لتمافتوا على اثر سكتوسيم تمافت الفراش
على السراج

قلت فيصيبهم ما بصيب الفراش
قال ماذا تعني بذلك

قلت هل تسخ لي بان ابدي كل ما لدي من الاعتراضات على صحة مضمون
هذه الرقعة

قال لك ذلك فانك لم تعد عندي بمنزلة التلميذ بل بمنزلة المثيل

قلت اخبرني اولاً ما هو جبل اسنيفل

قال اثني بالخارطة التي اهدانيها صديقي اوغسطس باترمان

فانتهى بما طلب فقال هذه الخارطة رسمها هندرسون وهي احسن خارطة
علمت لايسلاندا وسجدهما بروم الوقوف عليه

فانحيت فوقها فقال اتبعني بنظرك الى الجهة الغربية من ايسلاندا فانا
نظرت قصبتها ريكياويك اصعد خطه تلك القرى التي يتخلل البحر سواحلها
وقف تحت الدرجة الخامسة والستين من العرض وقل لي ماذا ترى هناك



فانحنيت فوقها فقال انبعني بنظرك الى المجهة الغربية من ايسلاندا (صفحة ٢٠)
قلت ارى شيئاً كشبه جزيرة تخاله عظمًا جُرد من اللحم يعلوه شيء كعظم
لرصفة
قال صدقت في هذا التشبيه يا ولدي أفلا تنظر شيئاً على ذلك العظم
قلت ارى جبلاً كأنني به قام في البحر
قال هذا هو اسنيل وارفعاه خمسة الاف قدم عن سطح البحر وهو من اعظم
الجبال الجزيرة وان كان من فوهته طريق الى قلب الارض فهو لاشك اشهر
الجبال الكرة
قلت وكيف الولوج به ان كان هائجاً

قال اعلم ان عدد البراكين الهاضمة اليوم على وجه الارض يبلغ الثلاثمائة تقريباً ولكن عدد البراكين المنطفئة أكثر منها بكثير فجبل اسنيفل هو من البراكين المنطفئة وقد مضى عليه اجيال عديدة لم يمحُ الامرة واحدة وذلك في سنة ١٢١٩ ومن ثم اخذ يهدأ رويداً رويداً حتى انطفأ تماماً فاطرقت برهة ثم قلت وما معنى كلمة اسكرتريس واي دخل لشهر يونيو في هذه القضية

فقال يظهر ان لاسنيفل فوهات كثيرة ولكن التي تؤدي الى قلب الارض واحدة ولما رأى سكونوسم ذلك اراد ان يعين الفوهة المؤدية الى قلب الارض تعييناً نافياً للاشتباه والغلط فرأى ان اسكرتريس وهو راس من رؤوس اسنيفل يظلل الفوهة المقصودة في الايام الاخيرة من شهر يونيو فذكر ذلك في رقعته فاذا سافرنا الى تلك الجزيرة صعدنا الجبل ونزلنا في الفوهة الموصلة الى قلب الارض بدون تردد فان اسكرتريس هناك يرشدنا اليها

فعجبت من ذلك عجي وفطنته وقلت في نفسي لم يبق لي الا الاعتراضات العلمية فان كانت كافية لتحويل عزمه عن السفر كان به واما ان دحضها فلا مناص من السفر لئلا الله عليك يا سكونوسم ولا وقيت من الشر يا هيفيلوس اليهودي

ثم نظرت الى عي وقلت انه سلمت ان الرقعة هي بخط سكونوسم وبانه توجه فعلاً الى جبل اسنيفل ونظر في اسكرتريس مظلة تلك الفوهة في الايام الاخيرة من شهر يونيو ولكني لا اصدق ابداً انه توصل من تلك الفوهة الى قلب الارض حتى ولا انه حاول الامر بل اظن انه سمع من شيوخ بلده ان تلك الفوهة تؤدي الى قلب الارض فذكر الامر في رقعة مدعياً انه سافر تلك السفرة المستحيلة فقال الاستاذ ولماذا هي مستحيلة

قلت لان القواعد العلمية تنفي امكان حصولها

قال بالله الصحيح ذلك فلعن الله هذه القواعد التي اذهبت تعبنا سدى
ومنعتنا من اتمام مشروعاتنا

فعلت ان الاستاذ يتهمكم علي غير اني صممت على تثبيت قدمي في مقام الجدل
فقلت انه لحق ان حرارة الارض تزداد درجة تحت كل سبعين قدماً من العمق
وبما ان نصف قطر الارض يبلغ نحواً من عشرين مليون قدم فالحرارة في قلبها
اكثر من مائتين وثمانين الف درجة وعلى ذلك فكل المواد التي فيه لا بد ان
تكون غازاً ملتهباً اذ لا معدن ولا صخر قادر على احتمال حرارة هذه شدتها فقل
لي بالله هل شوق نفسك الى الاقامة في ذاك العالم

فقال يظهر لي من كلامك با اكسيل ان الحرارة هي الشاغلة لفكرك
فقلت نعم لاننا اذا بنينا الى عمق خمسة فراسخ فقط نصل الى حدود القشرة
الارضية حيث تبلغ الحرارة نحواً من الف وثلاثمائة درجة
قال وانت خائف من الذوبان

قلت ان كنت تزعم ان جدي سمدل فخوفي في غير محله
فاجابني الاستاذ بجد قائلاً اما رأيي يا بني فوان ما من احد يعلم بالتحقيق
على ابي حالة قلب الكرة الارضية وذلك لان العلماء لم يتوصلوا بعد الى انساب
الكلية والجد المتوالي الا الى معرفة قسم من ممكها نسبته الى نصف قطرها نسبة
١٢ الى ١٠٠٠ فالعلم لم يزل في مهد الطفولة وكلما وضعت قاعدة جأت قاعدة
اخرى فدحضتها وقد كان يظن العلماء لحين ظهور فوربه ان النضاء الانثري
تزداد برودته كلما ازداد بعداً واما اليوم فقد علموا ان اشد برد الطبقات الانثرية
لا يبلغ اكثر من اربعين او خمسين درجة تحت الصفر فان كان للبرودة في الطبقات
الانثرية حد لا تتعداه فلماذا لا يكون لحرارة الارض الباطنية حد تنف عهده
بدلاً من ان تستمر على الازدياد حتى تندب المعادن والمواد الاصعب نوباناً
وقد قال بعض العلماء المشاهير ومن جملتهم بواسنون انه لو كان في قلب

الارض حرارة تبلغ مائتي الف درجة لتمددت الغازات الناشئة عن المواد الذائبة
تمددًا قويا حتى تنفزع قشرة الكرة الارضية كما تنفزع حيطان الخطين البخارية
بقوة البخار

قلت، انما ذلك رأي بواسون

قال ورأي كثيرين غيره من علماء الجيولوجيا الذين يحكمون بان قلب
الارض غير مكون من غازات او من مياه اذ لو كان الامر كذلك لاتفى ان
يكون ثقل الارض اقل ما هو عليه مرتين

قلت يمكنك بالارقام ان تثبت كل ما اردت فاسدًا كان ام صحيحًا ولكن
عند العمل يتميز المرعي من الهل

قال مالنا وللارقام فهل تنكر ان عدد البراكين الهائلة قد قل كثيرًا عما
كان في العصر الاول لعالمنا وليس في ذلك برهان على ان حرارة الارض الداخلية
ان كان هنالك حرارة آخذة في التناقص

قلت ان اردت الجولان يا عمه في ميدان الاحتمالات فلا تنظر مني جوارًا
قال وانا اخبرك بان مشاهير العلماء قد وافقوا على افكاري وارثاؤا رأيي
ألسنت تذكر ان الكيمائي الانكليزي الشهير همفري ديفي زارني في سنة ١٨٢٥

قلت لا لاني ما ولدت الا بعد تلك الزيارة بسبع عشرة سنة

قال اعلم ان ان همفري ديفي حين مروره بهمبرج في تلك السنة زارني مرة
وتباحثنا في امور عديدة وبالجملية بحثنا في مذهب القائلين بسيلان قلب الارض
فكنا كلانا متقين على ان ذلك المذهب فاسد لسبب لا يقبل المدافعة ولا يمكن
معة منازعة

فتحيت بعض العجب وقلت ما هو ذلك السبب

قال هو انه لو كان قلب الارض سائلاً لكأنت تلك المواد السائلة عرضة
تأثير جانبية التهر فيها كالأوقيانوس ولتغرب على ذلك حصول مد وجزر

داخليين يرفعان قشرة الكرة الارضية مرتين في اليوم فيجدثان فيها زلازل دورية
قلت نعم ولكن من المعلوم ان سطح الارض كان ملتهباً فيجوز لنا ان نفرض
ان القشرة الخارجية اخذت في البرودة اولاً بينما كانت الحرارة تتحصر في الداخل
قال ذلك عين الغلط فان الكرة الارضية انتهت الحرارة باشتعال سطحها فقط
وذلك ان سطح الارض كان يشتمل على كمية وافرة من المعادن التي تلتهب بمجرد
ملاستها للهواء والماء كالبوتاسيوم والصوديوم فهذه المعادن اشتعلت حينما تحولت
الابخرة الجوية الى ماء وسقطت على الارض مطراً ولما تثللت المياه قشرة الكرة
الارضية شيئاً فشيئاً حدثت اشتعالاً في داخلها فنشأ عنه تفرقع وقذف وتلك هي
علة البراكين وسبب كثرتها في الادوار الاولى للارض

فاستحسن ذلك التعليل وقلت حبذا ما قلت ان كان ذلك صحيحاً
فقال ذلك صحيح لاريب فيه وقد اثبتت هفري ديفي امامي في هذا المنزل
نفسه بطريقة بسيطة ذلك انه صنع كرة معدنية على شكل كرتنا الارضية وادخل
في تركيبها قسماً كبيراً من المعادن التي ذكرتها فكنا اذا القينا على سطحها قطعاً
صغيرة من الماء كقطر الندى يتنفخ سطحها ويكسده فيكون جبلاً صغيراً ثم يتفقع
في قمته فوهة وتأخذ في القذف فتبند الحرارة الى كل الكرة بحيث لا يعود يستطاع
امساكها باليد

وكان عني يتكلم بعزم شديد واعتقاد اكيد فاثرت في كلامه وانفعلت نفسي
بخطابه ورأيت الادلة التي اقامها جديرة بالاعتبار
ثم اردف كلامه قائلاً تبين لك اذن يا اكسيل ان اراء العلماء في هذه المسألة
متناقضة متباينة وليس لهم برهان قاطع يثبت رأياً منها وابعدها عن الثبوت هو
رأي القائمين بسيلان قلب الارض اما انا فاحتم بعدم وجود الحرارة الداخلية اذ
لا ارى وجودها ممكناً ومع ذلك فستغف على حقيقة الامر وبرى قلب الارض
رأي العين كما فعل ارن سكوسيم

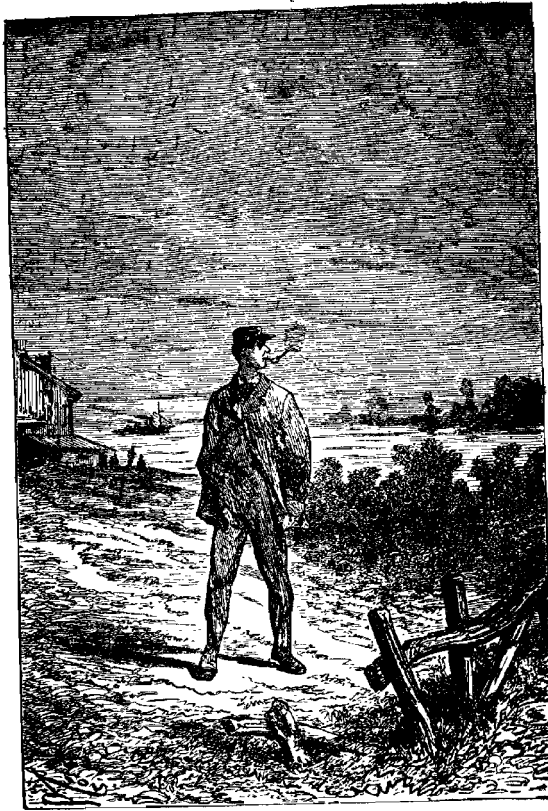
فطربت لهذا الكلام وخلق فؤادي كأن عني نفث في من روحه فملت
الى تلك السفرة بقدر ما كنت انفيها وكنت أرغب عنها فصرت أرغب فيها واجبت
الاستاذ بجملة قائلاً أجل لابد من العمل وإن كانت العين ترى في قلب الأرض
فسنرى ما هنالك

فقال ولماذا لا ترى فهل يستحيل وجود ظواهر كهربائية تبرز قلب الأرض
وفضلاً عن ذلك فإن الهواء نفسه عند قلب الأرض ربما كان كافياً للانارة بسبب
شدة الضغط الذي عليه

قلت نعم نعم ذلك ممكن
قال لا تهل ذلك ممكن بل قل ذلك واجب حقاً ولكن اياك ان تنوه
بكلمة واحدة عن امر هذه الرحلة فالنعم الصمت التام لئلا يسبقنا احد الى هذا
الاكتشاف

الفصل السابع

علمت ما كان من تلك المحاورة وما انتهى اليه امرها فلو دعاني الاستاذ
الى الرجل على اثرها احدث الى ذلك بنشاط وابتهاج ولكي بعد ان تركته
رأيت نفسي في حاجة الى استنشاق الهواء البارد وكانت شوارع المدينة ضيقة
في عيني فطلبت البر الفسج متوجهاً نحو نهر الالب وريثاً هذه غلمان دمي
وسكن تبيينه افكاري تذكرت المحاورة التي سردناها ونظرت اليها بعين التدبر
فراجعت الريب في صحة الامر ثم تذكرت الادلة التي اقامها الاستاذ فملت الى رأيه
بعض الميل ثم عدلت ايضاً الى الريب وبقيت ساعة بين الشك واليقين حتى
زال ما كان باقياً في من هيجان الافكار فتغير حكمي في المسألة تغيراً كلياً فترأى لي
ان عني على شطط بين وإن عزمه على السفر لا يوافقني عليه الا كل مجنون
ثم داخلني الريب في سلامة عقله وبعد برهة داخلني الريب في حصول المحاورة



فطلبت البر المسج (صفحة ٢٦)

نفسها فقلت كل ما سمعته ورأيت أنه كان في الحلم لا في اليقظة وفي أثناء ذلك كانت
رجلاي تذهب بي على غير قصد مني على طريق النونا ولما رجعت الى نفسي رأيت
ابنة عمي غريبة على قيد رحمين مني عائدة الى هيرج فخال ما ابصرتها ناديتها باسمها
ووثبت نحوها فنظرت اليّ باسمه وقالت مرحباً بك يا اكسيل فان كنت اتيت
لاستقبالي فلك مني مزيد الشكر

ثم نظرت على وجهي دلائل الاضطراب ولوائح الحيرة فقالت مالي اراك حائراً
مضطرباً

فاطلعتها بوجيز العبارة على وقائع المسألة واوقفتها على عزم عي وكنت اخال
انها لا توافق على رأيه غير انها بعد ان اطرفت برهة تتروى في الامر نظرت اليّ
وقالت نعم الرأي يا اكسيل ونعت الرحلة

فوثبت من محلي عند سماعي هذه الكلمات من فم محبوبتي فاردفت كلامها
قائلة نعم يا اكسيل ان هذه الرحلة جميلة وسينالك منها شرف رفيع وعز منيع
واعلم انه بحسن بالمرء ان يشتهر بين الخاص والعام بامر من الامور العظام فاذا
ذكرت طبقات الناس دخل في عداد الرجال والتحق بطائفة من الابطال
واذا نشبت بحسبه مخالف المنون بقي اسمه في متديات الفنون على ان المجد
لا سبيل اليه الا بالمخاطرة ولا مجال لادراك المنى بسوى الدأب والمنابرة أنسيت
قول الشاعر العربي

لا تحسب المجد تمرّاً انت آكله لا تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا
فاجبتها أهذا ما تقولين وقد كنت انتظر منك لو وجدتي مصمماً على السفر
ان تحوليني عن عزمي
قالت معاذ الله ان احول عزمك عن مشروع عظيم نبيل الغاية ولولم
يكن بوجودي معكما تثقيل عليكم لصحبكما في هذه الرحلة
قلت أتقولين الجدام انت تمزحين
قالت لا اقول الا المجد

فلما رأيت تلك الفتاة تشجعي على رحلة كنت منها في وجل علا وجهي
انحرار الخجل وفكرت في امر النساء وعلمت ان فيهن سرّاً لا يدرك فقد جعنت في
طبيعتهن كل قبض فاما ان تكون المرأة اجبن المخلوقات واما اجسرهما وكانت
غريبة مع ذلك تحبني محبة شديدة فقلت لها سننظر يا غريبة أتبعين على هذا الرأي
ام تعدلين عنه في الغد

فقات ان رأيي غداً يا عزيزي اكسيل هو رأيي اليوم

ثم توجهنا نحو المنزل صامتين وكنت في تلك الاثناء افكر في الرحلة وما يكون من امرها ثم قلت في نفسي بيننا وبين آخر يونيو زمن طويل فعسى الايام تشفي عني من جنوني غير ان الاستاذ كان قد صرف بقية النهار منذ فارقته بشترى الادوات اللازمة للرحلة من حبال وفؤوس ومعاول وغير ذلك فلما دخلت الدار رأيته بين جماعة من العتالين مشغلاً بوضع تلك الادوات في دهبز المنزل وهو يذهب بيناً ثم يعود شمالاً فلا يستقر له قدم والغبار قد كسا رأسه وعارضيه وعلا على اهدابه وحاجبه وكانت مرثا حائرة مندهشة لانها لم تكن تدري لذلك التأهب من سبب

فحال ما وقع نظر الاستاذ علي ناداني عن بعد قائلاً أسرع يا أكسيل ودع عنك التواني فهل حضرت امتعتك وثيابك وهل تجهل ان اوراقي تحتاج الى الترتيب ابحت عن مفتاح صندوقي فاني قد اضعته وكذلك لا ادري اين وضعت نعل السفر

فاخذني الحيرة وتبهد لساني عن الكلام ولم احر جولانا ثم قلت بتردد وصوت منخفض اذن نحن على اية السفر قال اي وريك لا مخصص عنه ولا مناص منه واراك بدلاً من ان تصرف هذا الوقت الثمين في الاستعداد للرحيل صرفه في التنزه والتجول

قلت في اي يوم نساfer

قال بعد غدٍ صباحاً

فلما سمعت هذه الكلمات علمت ان قد قضي الامر وصعدت الي غرفتي فصرفت تلك الليلة في قلق شديد ولم يغض لي جنن حتى الصباح اذ سمعت ابنة عي تناديني بصوتها الرخيم فخرجت اليها فقالت لي اعلم يا عزيزي اكسيل اني تباحث طويلاً مع عمك في شأن المسألة وقد رأيت منه عالماً جسوراً فاذا كرا ن دمه يسري في عروقك وقد اطلعني على افكاره وامانيه والاسباب التي يبر عليها آماله



فلما دخلت الدار رأيته بين جماعة من العتالين (صفحة ٢٩)

فلم يعد عندي شك في نجاح المشروع فما لجل خدمة العلم وما اعظم الشرف الذي
سينال الاستاذ ليدنبروك ورفيقه فاذهب اذن يا اكسيل وارجع سالمًا ليطير
صيتك في الآفاق وتصح من اقران عمك فبصير لك الحق اذ ذاك في التكم والعصر
ويمكنك حيشذ ان

وهنا وقفت عن الكلام وامسكت عن الاتمام وقد احمر وجهها فكان
لكلامها وقع حسن في فوادي قللت شهد الله يا غريبة ان الموت هين في سبيل
رضاك

ان كان في موقي رضاك فحذا قلمي وما قتل الحب حرام
ولكني لا طاقة لي على فراقك فامرك مطاع الا بما بعد عنك واذا فرضنا ان
عمي مصيب في رأيه ولم تحرقنا النار المناجحة في قلب الارض فهل اسلم من حريق
النار المستعرة في فوادي وافل ما اخشى فقد البصر من فرط البكاء شوقاً اليك
اخشى على عيني من فرط البكاء واخاف قدما ولو بهواك
ما الخوف من فقد العيون وانما خوفي باني لا اعود اراك
فقالته مهلاً يا اكسيل ما هذه الا تصورات شعرية والشعراء اكذب من على
البيضة الم تل بي مرة انك لو تنفست في البحر لتحول ماؤه الى بخار بسبب النار
التي في قلبك ومع ذلك لم تحترق بل بقيت والحمد لله متمتعاً بالصحة التامة وقد
كتبت الي مرة تقول

ما كنت اعلم كيف عمّ مقدماً طوفان نوح سائر الآفاق
فعلت حقاً بعد نأيك انه ما كان الا من بكاء العشاق

فان كنت صادقاً في القولين فلتبرد دموعك لطى فوادك
فاطرقت مغماً عن الجواب على انني كنت لم ازل اعلى نفسي بامل عدول
عمي عن عزمه فدخلت مخدعه برقعة غريبة وقلت له هل عرست اذن كل العزم
على السفر

فقال وبك يا اكسيل وهل عندك زوج في ذلك
فقلت لا ولكني لا ارى موجياً لهذه السرعة اذ اتنا في ٢٥ مايو وامامنا شهر
يونيو بطوله

قال اتظن ان السفر الى ايسلاندا سهل وما تدري انه لا يقوم من كونهما غن
الى ريكياويك الا مركب واحد في كل شهر وذلك في اليوم الثاني والعشرين منه
فان لم نساfer في الشهر القادم ونبلي الجبل قبل دخول شهر لوليوفاني لنا معرفة
الفرصة المصودة

فلما لم أر سبيلاً الى المحاولة رجعت الى غرفتي وكانت غريبة قد تبعتني فوضعت
لثياب اللزومة لسفري في صندوق صغير وكانت في أثناء ذلك تقيم الأدلة المؤيدة
لذهبي عي وهي مع ذلك باسمة لا يخالفها اضطراب ولا يعزوها انبهار كأننا نحن
على اهبة سفر الى البحيرة او الى ضفة نهر الألب

واما انا فكان يأخذني الحبحب احياناً على انها لم تكن تكثرت بذلك ولما
رغنا من اعداد لوازمي نزلت الى صحن الدار فرأيت عي كما في عشية الأمس بين
جماعة من العتالين حاملاً بعضهم اسلحة وبعضهم آلات علمية واجهز كهربائية وكانت
رتاني غاية الحيرة والاندھاش فلما نظرتني اقبلت علي وقالت لي همساً هل طراً
بارض على عقل الاستاذ

فاومأت براسي ان نعم

فقلت وهل يصحبك في رحلته

فابدت اشارة ايجابية

قالت الى اين

فاشرت بيدي الى قلب الارض

فقلت أ الى السرداب

قلت الى اعق من ذلك

قالت اذن الى الحبحم

قلت اي وايلك

وبعد ان وضع عي الادوات والآلات التي اشتراها في الصناديق المعدة لها
دخلنا قاعة المنزل فقال لي موعدنا بالرحيل صباح غد فكن على استعداد
وكانت غريبة بجانب فنظرت اليها متنفساً الصعداء وقلت همساً
لا مرحباً بغد ولا اهلاً به ان كان تفرق الاحبة في غد
وكان كلام الاستاذ في تلك الليلة يشف عن شدة شوقه الى الرحيل وفروغ



ورثنا دخلت العربية سارت بنا الخيل خبياً على طريق النونا (صفحة ٤٤)

صبره من الانتظار فكان لسان حاله يعارضني قائلاً

قالوا اللقاء غدا بمنعرج اللوى وأطول شوق المستهام الى غد
وعند الساعة العاشرة اضطجعت على فراشي فكان نومي متقطعاً وقضيت ليلى
أحلم بهوايا مخيفة فاستيقظ مذعوراً ثم انام فبأُتِني طيف الاستاذ بانياب حداد
وأظافر المناجل ويشتلني بخالبه كما يشتل العقاب فريسته ثم بهوي بي الى هوبة
لا قعر لها فافيق مرعوباً وبقيت على ذلك حتى الساعة الخامسة بعد نصف الليل
فخرجت من غرفتي وتوجهت الى قاعة المائدة فوجدت عي يتناول الطعام وغربية

بجانبه وكنت لم ازل تحت تأثير الحلم فاقشعريدي لما رأيته ثم خالسته نظرة شرسة
وجلست بعيداً عنه وعن الطعام وبعد برهة سمعنا دوي عربية وقفت امام باب
المنزل وكان قد طلبها عني لنقلنا وتقل لوازمنا الى محطة السكة الحديدية فخرجنا
من قاعة المائدة وفي برهة قصيرة شحن عني العربية بامتعة السفر ثم التفت
اليّ وقال اين صندوقك

فقلت انه حاضر وبقيت في مكاني لا استطع حراكاً
فدفعني بيده دفعة عنيفة وقال انت به حالاً لثلاث بقوتنا القطار
فقلت لم يبق الى النجاة من سبيل وعلت ان الله قضى عليّ بشر ميتة
فصعدت الى غرفتي واحضرت صندوقي ووكلت امري الى الله وكان عني اذناك
يسلم ادارة منزله لغريبة وبعد ان فوضها في امر بيته تفويضاً مطلقاً ودعها فقبلت
وجهه ثم دنت اليّ فعاتقتني وقد اغرورقت عينها بالدموع فضممتها الى صدري
وقد خفتني العبرة ثم نفرت منها تخلصاً من عذاب الوداع وريثاً دخلت العربية
سارت بنا الخيل خبيكاً على طريق ألتونا

الفصل الثامن

ألتونا قرية بضواحي مدينة هبرج وفيها المحطة الاولى من خط السكة
الحديدية المعروفة بسكة كيال وكان وصولنا اليها في منتصف الساعة السابعة
فنقلنا امتعتنا الى احدى العربات وعند ابتداء الساعة الثامنة سار بنا القطار
قاصداً سواحل البلت من مملكة الدانرك

يطوي القنادل لا يرام غباره سهم الى كبد الفلاة مفوق
كالشمس افق الغرب ودعها ولم يفض الدجى حتى حياها المشرق
وكنت لم ازل كارهاً تلك الرحلة غير جازم بنجاحها الا ان النسيم اللطيف
الذي كان يلعب بشعري وانا منكى على نافذة العربية والمناظر اليمينة التي

كانت تنتشر وتتطوي امام عيني الهني عن المصيبة التي كنت فيها
واما عي فكان غير مكثرت بهذه المناظر لا يبتغي الا سرعة الوصول واطمن
انه كان يرفس العربية برجله حيناً بعد حين لكي يعمل سير القطار وبعد مسير
ثلاث ساعات وقف بنا القطار في محطة كبال القائمة على شاطئ البحر وفي
الحال تقلنا ابتعتنا الى المركب البخاري المدعو آليونورا وكان وصولنا في الساعة
العاشرة صباحاً وموعد سفر المركب في الساعة العاشرة مساءً

ولما علم عي بذلك اخذه الغضب فصار يلعن الوابورات وادارتها وبذم
الحكومة التي تغض النظر عن مثل ذلك الاهال فضحكت في سري من حدة عي
ومذهبه في الملاحه الا اني وافقتة على رأيه في الظاهر وتددت بتصرف مصلحة
الوابورات التي تضيع الوقت سدّي غير مكثرة بمصالح العموم اما الاستاذ فقص
الربان وهو مخدّم غيظاً واراد ان يقنعه بوجوب السفر حالاً فظنه الربان مجنوناً
واعرض عنه غير مكثرت بكلامه فعاد وقد ازداد غيظه وبقي حتى وقت السفر
يقوم ويقعد وينظر نارة الى الشمس وطوراً الى الساعة ويلعن كل ربانٍ
على العموم وربان آليونورا على الخصوص

ولما ازفت ساعة الرحيل رفعت مرسة السفينة وكان قد اشتد ضغط
بخارها فسارت تشق عباب الماء وعي يجول على ظهرها وعيناه متجهتان نحو
سواحل اسلندا الغربية التي كما شاخصين اليها وكان الليل حالك
السواد فلم أر من مدينة كبال بعد ان ابتعدنا عنها ميلاً الا بعض انوار متفرقة
وفي تلك الليلة شاهدت منارة ساطعة النور في اثناء مسيرنا وذلك كل ما
اتذكره من تلك السفرة

وعند الساعة السادسة من الصباح رست بنا السفينة بالقرب من شاطئ مدينة
كورسور وفي الحال نزلنا اليها وكان شحن السفينة قليلاً فلم يمض الا ساعة من
الزمن حتى تقلبت ابتعتنا الى إحدى عربات قطار السكة الحديدية الممتدة بين

تلك المدينة وعاصمة الدانمرك وكانت المسافة بين المدينتين ثلاث ساعات فقط وبعد ان سار بنا القطار ساعة اشرفنا على جون فصرخ عى هوذا السوند وكان على شاملا بناية متسعة اشبه بمستشفى فاشار اليها احد المسافرين وقال هذا بيلارستان

فقلت في نفسي هذا هو المأوى الذي يحق لي وبعمى ان نصرهم بقية ايامنا فيه ومهما كان اتساعه فهو ضيق في جانب عظم جنون الاستاذ ليدنبروك وفي الساعة العاشرة وصلنا الى كوبنهاغن وفي الحال تقلنا الامتعة على عربة الى فندق يعرف بنزل فينيكس وبعد ان صرفنا ساعة في ترتيبها وتغيير ملابسنا خرجنا من الفندق قاصدين دار الايتيكانة لان مديرها كان صديقا لقنصل هيرج وكان عى مصحوبا بكتاب توصية له

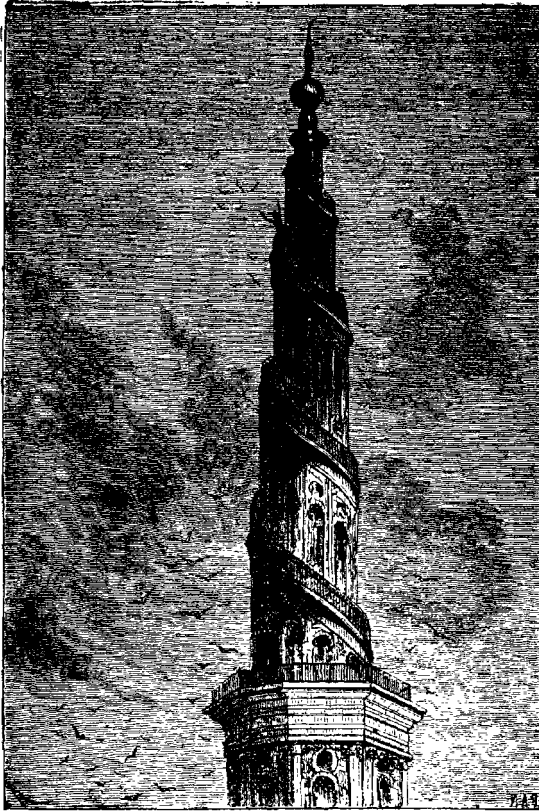
اما الايتيكانة الموماء اليها فتعرف باللاتيكانة الشمالية وهي شهيرة تخوي على آثار ثمينة من الدورين الحجري والبرنزي نادرة الوجود وكان مديرها من العلماء المعبرين وكنت اعلم ان العلماء على وجه العموم لا يحسنون استقبال بعضهم الا ان مدير الايتيكانة استقبلنا بخلاف ما كنت اتظر فاحبره عى باننا قاصدون الرحيل الى جزيرة ايسلاندا للتسوح فيها فقام في الحال معنا الى الميناء على امل ان نجد مركبا على عزم السفر الى تلك الجزيرة فقبل لنا ان سفينة شراعية دانمركية تعرف باسم فلوكيريا ستقلع من كوبنهاغن شاخصة الى ريكيافيك قصبة ايسلاندا في اليوم الثاني من شهر يونيو فقصصناها وقابلنا ربانها الموسوي بجرن وبعد ان تحقق الاستاذ منه صحة الخبر اعتنته وضمه الى صدر بطرب وسرور فتعجب الربان من ذلك لانه لم يأت امرا يستوجب الثناء اذ ان الملاحة بين الدانمرك وايسلاندا مهته اما عى فكان يرى ذلك منه عظيما خارقا للعادة فلما رأى منا الربان تلك الرغبة اخذ منا اجرة اظنها ضعف الاجرة الاعيادية ثم اخبرنا ان السفر يكون في الساعة السابعة من صباح الاثنين وبعد ذلك انصرفنا وعى يشكر لمدير

الاستيكانة سعيه المبرور وبني على نشاط الريان وهته وكان وجهه متهللاً فرحاً .
 بقي بحمد الصدفة التي اسعفت بحاجه حتى وصلنا الى لوكدرة فرنساوية بالقرب
 من نقطة عسكرية عند الساحة المعروفة ببيدان كونجنس نيتورو وفي تلك النقطة
 دفعان قديمان لم يوضعا الا للزينة او للتحويل فقط لانها معطلان قننا اولنا
 اطعام في تلك اللوكدرة بلدة وقابلية واعترفنا بفضل طبابخها المدعو فينسان
 ثم اخذنا نجول في اطراف المدينة وشوارعها وكان عمي يتبعني اينما سرت وهو
 غائص في بحار افكاره مشغول بها عن ابنة المدينة ومعاهدها الا انه بعد ساعة
 وقع نظره على قبة كنيسة في جزيرة اماك القائم عليها القسم الجنوبي الغربي من
 المدينة فانعم النظر فيها برهة ثم قال اتبعني وسار نحوها على عجل ولما وصلنا الى
 المعدة اخذنا سفينة تجارية وفي اقل من خمس دقائق حللنا بالجزيرة وسرنا في
 اركة ضيقة حرجة فرأيت فيها بعض المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة يشتغلون
 باصلاح الطرق وتمييدها وكانت اثوابهم طرزاً واحداً نصفها اصفر والنصف
 الآخر رمادي اللون ورأيت حولهم جماعة من العساكر المتوطنين يحفظهم وكانوا
 اذا تمهل احد منهم في شغله او اسرع يضر بهونه بالسوط ضرباً بالباطر في ذلك
 المنظر واشمازت نفسي من اولئك العساكر بقدر توجعها على حالة هؤلاء المحبسين
 فحولت نظري عنهم وبعد برهة وصلنا الى الكنيسة المتصودة وكان بناؤها بسيطاً
 عادياً الا ان قبتها تراحم الكواكب في احيازها وتباري النجوم بهلالها وسلمها
 المخارجي يلتف عليها من اسفلها الى اعلاها على شكل حلزوني وذلك ما استدعى
 عمي الى الالتفات اليها فلما وصلنا اليها دعاني عمي الى الصعود فامتعت خوفاً
 من الدوار

فقال لا بد من ذلك لانه يجب عليك ان تتغلب على الدوار بالمادة
 فتوقفت برهة ولكن الاستاذ اخذني بيده وسار امامي لا يلتفت الي ولا يصغي لكلامي
 فتبعته على وجل وكان قلبي يخفق ورجلاي ترتجفان على اننا كنا لم نزل

في السلم الداخلي فبعد ان صعدنا نحو مائة وخمسين درجة وصلنا الى الد
 الخارجى فوقفت هناك برهة انسم الهواء البارد ونظرت الى اعلى القبة فرأيت
 باسقة بنطح رأسها الى اعلى السحاب وسلها يزداد ضيقاً كلما ازداد ارتفاعاً وخيل
 ان لا نهاية له فوقفت مرتعاً وامتنعت عن التقديم فوجئني الاستاذ ووصفني بالجهد
 ثم اخذ يدي بيده وجرني بعنف وسرعة فلم يمكني الا للاعتماد فقبضت على يد
 باحدى يدي وعلى متكاه السلم بالاخرى وسرت وراءه ملتصقاً بعمود القبة
 مبتعداً عن طرف السلم جهد امكاني وفي تلك الاثناء حانت مني الغفلة الى الارض
 فرأيت بيني وبينها مسافة شاسعة راعيتني فاشتد بي الدوار وخيل لي ان الارض
 تميد بي ورأيت القبة تميل ذات البين وذات الشمال فوهن عزمي وطاش لي
 واقبلت رجلاً على الركبتين ادب ديبياً وعيناي مغضتان وكان الاستاذ يجرفني
 بيده وهو يسير امامي متصباً كأنه يسير في شوارع هرج فلما بلغنا قمة القبة نزل
 يده من يدي وكنت احسب اننا لم نزل في صعود فاخذني الخوف وقبضت على
 رجليه قبضة امني او غريق فخذني من اذني فانتصبت واقفاً رغما عني فنظر الى
 باسماء وقال انظر الى ما دونك بقومة وسكون وشرح الطرف برأ وجرأ فانت
 في حاجة الى هذا التميز لانك ستسير عما قليل على سلام لا متكاه لها ودونك
 اعالي لا يسبر النظر غورها

فسكنت جاثي وثبت قدمي ونظرت الى المدينة وكان ضباب المداخن منتشراً
 فوقها كالرؤى المدود فرأيت بيوتها معربةً بالخفض لاسماء التي كانت بالقرب
 من الكنيسة فاني كنت اراها غائرة جداً ثم نظرت الى السماء فرأيت فوق رأسي
 غيوماً خفيفة غير متصلة خيل لي انها ثابتة وان القبة سائرة بي وبعمى بسرعة
 الطير ثم سرحت طرفي يميناً فرأيت سهولاً شاسعة ورياضاً نضرة وجناناً بهيجة
 قد كساها الربيع حالاً مديجة بالازهار مطرزة بالانوار ونظرت شمالاً فرايت
 البحر ازرقي صافياً واشعة الشمس تنمكس عليه ساطعة والسفن الشراعية تملل



واقبلت زحفاً على الركبتين إِدب ديباً (صفحة ٤٨)

على مياه جون السوند مع الهواء كأنها طيور بحر نشرت اجنحتها وكانت سواحل
 اسوج تلوح على بعد من جهة الشرق كالغمامة السوداء وبعد ساعة نزلنا من القبة
 وبينما كنت احمده الله على خلاصي اخبرني عمي باننا سنعيد هذا التمرين في الغد
 وكان ما قال وبقينا على ذلك خمسة ايام متوالية حتى نجحت في ذلك الفن
 الجديد الذي كان يسميه الاستاذ فن التحلي وحيث كلف شره عني

الفصل التاسع

لما جاء وقت السفر ودعنا مدير الاتيكانة وكان قد اصحبنا بكتب للكونت
ترامب حاكم ايسلاندا وللقس يكترسون النائب الاسقفى والمسيو فنسين شيخ صلح
مدينة ريكاويك قصبة الجزيرة توصية بنا فشكره عي صنيعة واثني عليه ثناء
جيلاً وقبل حلول الساعة السادسة انتقلنا الى السفينة بامتعتنا وبوصلنا تقدم
عني الى الريان وسأله عن الريح

فاجابه في ربح الأريب وليس اوفق منها لرحلتنا
سأل متى نصل الى ايسلاندا فيما تظن

قال بعد عشرة ايام ان لم تقاومنا ربح الجرياء وراء جزائر فيروي
سأل هل اتفق لك فيما مضى ان تأخر عن الوصول أكثر من عشرين يوماً
قال لا ياموسيو ليدنبوك فكن مطمئن البال

وبعد ذلك بقليل اقلعت السفينة وساعتها الريح فسارت كالطير في السماء
او السهم في الهواء ولم تنقض ساعة حتى توارت كوبنهاغن عن اعيننا وراء
الامواج ومرت بنا السفينة بالقرب من سواحل السونور وفي المساء مررنا امام
رأس اسكاجن وهي النقطة الشمالية من بلاد الدانمرك وفي الليل تجاوزنا اسكاجراك
ثم رأس ليدنيس من اراضي مملكة نروج ودخلنا البحر الشمالي وبعد يومين مررنا
بالقرب من سواحل اسكوتسيا على قيد ميل من رأس بيترهيد ومن ثم سارت
بنا السفينة نحو جزائر فيروي مارة بين جزائر اوركاد وسيتلاند وكنا قد اخللنا
مياه الاوقيانوس الاثنتيكي فهناك هبت ربح شمالية قوية وجرت بما لا تشتهي به
سفينتنا فعارضتنا معارضة شديدة فابلغنا جزائر فيروي الا بعد اللثيا والتي وفي
اليوم الثامن من الشهر مررنا ازاء جزيرة ميكانيس ومن ثم سارت بنا السفينة نحو
راس بورتلند في جنوبي ايسلاندا فاقبلنا عليه في اليوم الحادي عشر ولما كانت
تلك الشواطئ خطيرة المسالك لم تقترب السفينة منها بل بقيت سائرة نحو الغرب

على خط مستقيم والحيتان تسيرها من اليمين واليسار وأحياناً تقابلها من الامام
وإذنا بها قائمة قيام دفة السفينة فصرنا تأمل في اشكالها البديعة ومناظرها
المريعة وتتحقق لي ما كنت اسمعه قبلاً من ان الانسان اهتدى الى اتخاذ السفن
بأشكال الحيتان

وبعد ساعة اشرفنا على جزائر ويسمن فقرضناها ذات اليمين ثم ازوررت
بنا السفينة نحو الجهة الشمالية مارةً امام رأس ريكيانيس وهو الزاوية الغربية
لايسلاندا وبعد ثنائي واربعين ساعة وقفت بازاء مدينة ريكيافيك على بعد ثلاث
ساعات من الشاطئ محذراً من الصخور الممتدة تحت المياه عند رأس اسكاجن فاتي
اليها ملاح ايسلاندي يقودها بين تلك الصخور الخطرة وبعد ثلاث ساعات رست
بنا امام المدينة في فريضة فيكسا

فخرج حيثذ الاستاذ من مخدعه وكان لا يصدق بالخلاص من سجنه لانه
فضلاً عن شدة شوقه الى الوصول فاسى في تلك الرحلة من الم الدوار اشده
غير انه قبل ان يبارح السفينة اخذني على ناحية منها وأشار بيده الى جبل عالٍ
وقال بصوتٍ منخفضٍ ذاك هو اسنفل مر عليه حين من الدهر زمن الشوبية
يقذف النيران من جوفه ثم جاءت ايام الشيخوخة فامست ناره رماداً واشتعل
راسه شيئاً فرأيت جبلاً شاهقاً كساه الثلج جلةً بيضاء وله راسان مخروطيا الشكل
كانها قرنان

انافا باعناء السماء واشرفا على الجواشراف السماء والنسر
وبعيد دخولنا ريكيافيك قابلنا الكونت ترامب حاكم الجزيرة والموسيق
فنسين شيخ صلح قصبتها وسلمها عني كتب مدير الايتيكخانه الشمالية فترجبا بنا
ورفعنا مقامنا ووعدا الاستاذ بمساعدته في كل ما يحتاج اليه واما النائب الاسقفى
فلم تمكن من مقابلته لانه كان غائبا عن المدينة يتجول في انحاء ابرشيته وفي ذاك
النهار زارنا احد اساتذة مدرسة ريكيافيك وهو شاب لطيف يدعى فريدرىكسون



رست بنا امام المدينة في فرضة فيكسا (صفحة ٥١)

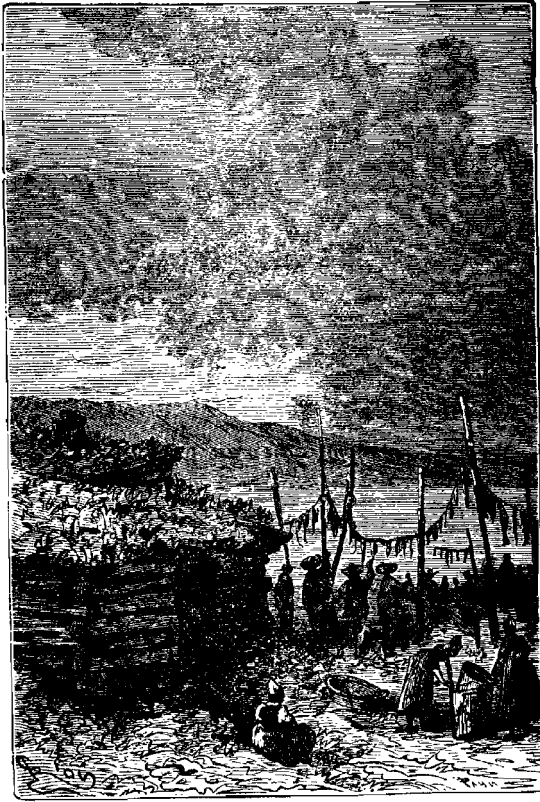
وكان لا يتكلم الا باللاتينية والايسلاندية فحالما نظرته مال قلبي اليه ولم نلبيث ان ارتبطنا بعري المودة الحقيقية فكان انيسي الوحيد في كل المدة التي اقمتها في ريكيافيك وكان لفريدريكسون بيت يشتمل على ثلاث غرف فاخلى لنا اثنتين منها والح علينا بالاقامة عنده فاجبناه الى طلبه شاكرين صنيعه وقلنا متاعنا الى منزله في ذلك اليوم نفسه

ولما خلا المكان بي وبعي نظرا لي بوجه متهلل فرحا وقال هان الامر يا اكسيل قلت ماذا تريد بذلك

قال أريد أنه لم يبق علينا إلا النزول الى قلب الارض
قلت وهل الرجوع الى ظاهرها ليس عندك بامر ذي بال او تريد ان
تقيم في قلب الارض ابداً
قال لا يهمني الان امر الرجوع فني تم لنا الذهاب ننظر في الاياب ثم اخذ
قبضته وعصاه وقال انا ذاهب الى المكتبة على اجد بها شيئاً لسكوسيم
قلت وانا ذاهب اتجول في المدينة واتعهد معاهدها فهل لك ان تفعل
مثل ذلك يا عمه

قال لا فان الذي تتوق نفسي اليه انما هو قلب ايسلاندا لا وجهها
ثم خرجت اتجول في اسواق المدينة سائراً حيثما سافنتي قدمي اما ريكياويك
فهي مدينة صغيرة قائمة بين رايتين وعلى احد جانبيها كتيب تألف من المواد
البركانية ينتهي الى البحر ومن الجانب الآخر فريضة فيكسا التي تمتد من الجهة
الشمالية حتى قاعدة جبل اسنيفل ولم يكن فيها وقتئذ من السفن غير السفينة
فلكيريا التي حملتنا الى تلك الديار ولريكياويك شارعان فقط احدهما يمتد على
خط مواز للشاطئ وهو مقر التجار وارباب المحرف والصنائع والآخر واقع في الجهة
الغربية منها وفيه دار الاسقفية ومنازل بقية الاهالي الذين لا يعاطون التجارة
وهو اصغر من الشارع الاول فتجولت برهة في ذينك الشارعين فرأيت منظرها
تقبض لة الارواح وتشتت منه النفوس

لا تكاد العيون تبصر فيه قط غصناً يهفو اليه النسيم
ومنى اتجت الى العين انسا بلدة فحلة وارض غيم
ولما وصلت الى نصف الشارع الثاني رأيت الجبانة العمومية وهي ارض
فسحة يحيط بها سور من تراب ومعظمها خال من القبور وعلى مسافة قريبة منها
سراي المحاكم وهي دار يدعى بالنسبة الى اكواخ الاهالي كما انها شبه بكوخ بي
جانب سراي هيج وللمدينة كنيسة واحدة قائمة بين ذاك الشارع وبحيرة صغيرة



بحيث ان سطوح المنازل هي في الواقع اخصب ارض المدينة واجودها تربة (صفحة ٥٤)

واقعة في الجهة الغربية وهي مبنية بتجار متكلسة قذفتها البراكين من افواهها
الملتببة وسطحها مسقوف بالطوب الاحمر واظن ان سقفها يتجدد مرة في كل عام
لان الرياح بالطبع تبدده في فصل الشتاء واما المدرسة الوطنية فهي مبنية
على كتيب بالقرب من الكنيسة وهي تخوي على اربعين تلميذاً ويهرس فيها
اربع لغات فضلاً عن العلوم وهي اللاتينية والانكليزية والفرنساوية
والدانمركية

وبيوت الاهالي مبنية باللبن وحيطانها قليلة الارتفاع مخفية الى الداخل

وسطوحها مكسوة بالعشب لان حرارة المنزل الداخلية تساعد على نموه وقد علمت ان الاهالي يقطعون ذلك العشب ويقدمونه علفاً لمواشيهم اذ ان برنة المدينة صلحاء جدباء لا يكثر فيها الا ما قذفته البراكين من الصخور النارية والمواد الكبريتية بحيث ان سطوح المنازل هي في الواقع اخصب ارض المدينة واجودها تربة وعند رجوعي الى شارع التجار رأيت كثيرين من الاهالي يشتغلون بتقديد السمك ومعظم تجارة المدينة بالسمك القديد

اما الاهالي فالرجال منهم اقوياء البنية ولكنهم بطيئون الحركة* فهم اشبه بالاملان من سوامم واللون الأشقر عمومي فيهم وهم ابعد الناس عن الهزل والحزن فلا ترى فيهم خفة ولا تسمع لضاحكهم قهقهة فكأن قلوبهم في حزن دائم وما ذاك الا لانفرادهم عن بقية العالمين في بلاد واقعة على حدود دائرة القطب واما لباسهم فتعبعة واسعة وعباء (سترة) من صوف وسروال (بنطلون) مخطط شريط احمر ونعل ذات قبال واما النساء فنظرن مقبول وعلى وجوههن حبات الحزن وانكسار النفس والبنات منهن يتبين الشعر ذوائب ويلبسن عراقية سمر تحيكها ايديهن واما من كانت ذات بعل فتعصب الرأس بعصابة ملونة تعلقها قطعة من نسج الكتان بهيئة ريشة نعام

وفي مساء ذلك اليوم بينما نحن على المائدة تناول الطعام دار الكلام بين الاستاذ والموسيو فريدريكسون على مواضيع علمية وكان الاستاذ يتقديني بعينه تنبيها لي الى التزام السكوت عما يتعلق برحلتنا

وفي اثناء ذلك سأله الموسيو فريدريكسون عما وجده في المكتبة من الكتب النفيسة فاجابه الاستاذ باثة لم يجد فيها كتاباً واحداً جديراً بالانثفات فاخبرنا الموسيو فريدريكسون ان المكتبة غنية تشتمل على ثمانية الاف كتاب قديمة العهد اكثرها نادر الوجود فضلاً عن الكتب الجديدة التي يزداد عددها سنة عن سنة غير ان الايسلانديين لما كانوا مائلين بالطبع الى العلم لا يجهل احد منهم القراءة

فهم يداولونها لمطالعتها ويرون ان تلفها بين ايديهم خير من ان تقضمها الجوفان وهي في طبقات المكتبة ثم سأل الاستاذ عن الكتب التي يروم الاطلاع عليها فاجابه الاستاذ هي مؤلفات آرن سكوسيم

فقال فريدريكسون آرن سكوسيم ذلك العالم الذي عاش في الجبل السادس عشر امام العارفين بالعلوم الطبيعية واستاذ الكيمياء بن واجسر السواح قال نعم هو بنفسه

قال فخر ايسلاندا واشهر رجال عصره

قال هو هو بعينه فأين مؤلفاته

وكان وجه الاستاذ متهللاً فرحاً عند سماعه مدح سكوسيم فاجابه فريدريكسون ان مؤلفات ذلك العالم غير موجودة

فتعجب الاستاذ وقال كيف لا توجد مؤلفات هذا العالم الشهير في ايسلاندا ووطنه

فقال فريدريكسون لا يوجد منها شيء لا في ايسلاندا ولا في سواها من البلدان وسبب ذلك ان آرن سكوسيم اتهم بالكفر واضطهد من اجل ذلك وفي سنة ١٥٧٣ احرقت مؤلفاته في كوبنهاغن بيد الجلاذ

فانبسط وجه الاستاذ وقال الآن انكشف لي سر المسألة وعرفت السبب الذي حمل سكوسيم على اخفاء اكتشافه

فسأله فريدريكسون بشوق قائلاً اي سر واي اكتشاف أوقفت على شيء من آثار هذا العالم

فبدت على وجه الاستاذ علامة الارتباك وقال لا ... ولكني ... افرض ...

فقلت مخاطباً فريدريكسون دار الكلام مرة بيني وبين عي على سكوسيم وعجبتا من كونه لم يهرك شيئاً من المؤلفات مع تضلعهم من العلوم وإفرادة بين رجال

عصره بفنون كثيرة

فقال الأستاذ نعم نعم كنت اعجب كيف ان هذا العالم لم يترك اثرًا يذكر به فانكشف لي الآن سر المسألة وعرفت السبب الذي قضى باخفاء اكتشافاته العلمية

فاكتفى فريدريكسون بهذا الجواب واقتصر عن استقصاء الحقيقة تأدياً وبعد برهة قال للأستاذ اظن انك لا تبارح جزيرتنا قبل ان تأخذ مجموعة من معادنها

اجاب لا بد لي من ذلك ولكن قل لي هل غادر العلماء الذين سبقوني اليها بقعة لم يستوفوا البحث فيها

فقال لم يأت جزيرتنا من العلماء حتى الآن الا عدد قليل جداً واجائهم قاصرة على قسم منها وعندنا كثير من الجبال المتجادة والبراكين المنطفئة لم تطأه ارجل العلماء حتى الآن وهنا جبل بركاني يدعى اسنيفل ذاك الذي تراه ينطح السحاب بقرنيه لا يقصده السواح الا في النادر مع انه اولى من غيره بالبحث والاستقراء فقباهل الأستاذ وقال هل هو منطفيء

قال منذ نيف وخمسمائة سنة

فاطرق الأستاذ برهة ثم قال انسي تحدثني بان ابدأ باستقراء هذا الجبل السنفل... السنفل... كيف دعوته

قال اسنيفل

اما انا فكنت اغالب الضحك وبغاليني حتى دمت عيناى واحر وجهي واهتز جسمي وكاد يستغني العجب لما رأيت عني يتظاهر بالجهل والسذاجة وهو يقنعس على كرسيه عجباً نفسه في اخفاء ظواهر النرج التي كانت بادية في حركاته وسكناته

ثم نظر الأستاذ الى الموسيو فريدريكسون وقال قد اعتمدت على اتباع

مشورتك وبودي السفر غداً بالنفس ان كان ذلك ممكناً
قال فريدريكسون يا حبذا لو كانت تسمح لي اشغالي بان اصحبك في هذه
الرحلة ولكن.....

فقطع الاستاذ كلامه قائلاً لا لا فاني لا اريد ان اتعب احداً على اني
لن انسى لطفك ابداً

قال فريدريكسون لا شك انك ستبقى في هذا الجبل ما تقربيه عينك
ولكن على اي طريق تذهب اليه

قال الاستاذ اظن ان السفر بنجر الأقرب الطرق واسهلها
قال نعم لو كان ذلك في الامكان ولكنك لن تجد في كل المدينة فارياً
واحداً خلا السفن المبرية المخصصة لخدمة المينا

قال كيف ذلك أياخلو ثغر تجاري من قارب
قال فريدريكسون تلك هي الحقيقة فليس لك انن الا السفر برّاً
قال ان لم يكن في اليد حيلة فعلينا ان نبحث عن دليل يصحبنا
قال اطمئن بالاً من هذا القليل فاننا آتيك غداً بدليل امين نبيه يعول
عليه في كل امر

فشكر له الاستاذ غيرته شكراً جزيلاً وكان قلبه طائفاً فرحاً لانه وقف في
ذلك اليوم على عدة امور مهمة الوقوف عليها منها قصة سكوسم وسبب كسبه
الرقعة السرية وعدم امكان الموسيو فريدريكسون مرافقته في سفره وحصوله على
دليل موافق في وقت قريب ثم انصرف كل منا الى مضجعه



الفصل العاشر

لما كان اليوم الثاني جاء الدليل الذي وعدنا به فريدريكسون وهو رجل
طويل القامة عريض الصدر والكنتين تلوح على وجهه علام الغدو والسكينة



وهو قوي البنية جداً (صفحة ٥٩)

وهو قوي البنية جداً بعينين زرقاوين صغيرتين فيها نور الذكاء والنباهة وشعر طويل ضارب الى الحمرة مرسل على اكتافه وصنعتة العادية جمع ريش الایدر الذي هو من اعظم اسباب ثروة الجزيرة واقوى وسائل رياسها والایدر طير شبيه بالاوز يألف الاقطار الشالية يطلبون ريشه لنعمته وهم يحجمونه بالكيفية الآتية تبني انثى الایدر وكرها في اوائل الصيف في الصخور القائمة على شطوط الخجان الضيقة ثم تكسوه بريش تنزعه من بطنها فيجمع الصياد ذلك الريش اخلاصاً فتعود الانثى الى نزع غيره والصياد الى سرقة حتى اذا صار بطنها

املط جاء الذكر ونزع من ريش بطنه ما يكسوه الوكر فيعرض عنه الصياد
لانه خشن لا قيمة له فبيض الانثى بيضها فيه وترني فراخها فاذا جأت السنة
التالية عادت الى العمل وعاد الصيادون الى الاختلاس

وكان اسم دليلنا هنس ابيالك وقد رأيت منه حين محاورته مع عي رجلاً
قليل الكلام بعيداً عن المحدة ضئيلاً بالمحركة جامعاً بين السكون والسكوت وهذه
الطباع بعيدة عن طباع عي بعد الضب عن الحوت الا انها رغا عن مياينة طباعها
توافقاً بسهولة فتعاهدا على ان الدليل يقدم لنا اربعة افراس لقلنا وتقل لوازمنا
الى قرية استابى التي بسفح الجبل ويبقى هو برفقتنا ما دام الاستاذ يرى لوجوده
معنا لزوماً وذلك بمقابل ثلاثة ريات في الاسبوع يدفعها له الاستاذ آجلاً في
مساء يوم السبت ثم اوصاه عي بالتأهب للرحيل بعد يومين وقبل انصرافه
عرض عليه شيئاً من الثود فأبى قائلاً ان ذلك مخالف للشروط

ولما خلا بنا المكان قال الاستاذ ان هذا الرجل قد جمع بين التباهة وقوة
البنية فيسكون لنا منه فائدة كبرى في رحلتنا

قلت أنزع ان نصعبه الى حيث تؤمل الوصول

قال نعم الى قلب الارض

ثم اخذنا تتقده الآلات والادوات التي اشتراها الاستاذ قبل قيامه من
هجر فوجدناها سليمة صحيحة خالية من الشوائب والعيوب فصرفنا قسماً كبيراً
من النهار نشغل في ترتيبها وربط كل نوع منها على حدة وهي كثيرة العدد
مختلفة الانواع اقتصر على ذكر الاله منها

اولاً ترمومتر (مقياس الحرارة) ستيكراد من عمل ايجل يتقسم الى ١٥٠
درجة وهذا العدد فيما ارى اما زائد عن اللزوم وذلك اذا كانت المقصود منه
معرفة درجة حرارة الهواء لاننا قبل الوصول الى ذاك الحد من الحرارة ننضج كما
ينضج الطعام واما اقل من اللازم وذلك اذا اردنا معرفة درجة حرارة البنابع

الحارة او غير ذلك من المواد الدائمة

ثانياً مانومتر (مقياس الضغط) قائم على الهواء المضغوط وموقع بكيفية
يتيسر بها تعيين درجات ضغط الهواء متى فاقبت على درجة الضغط على سطح
الاقويانوس وكانت هذه الآلة ضرورية لنا لانه من المعلوم ان الهواء يزداد كثافته
كلما تعمقنا في قلب الارض فالبارومتر العادي لم يكن وافياً بالغرض
ثالثاً كرونومتر (ساعة تعرف بقياس الوقت) موقع بغاية الضبط على خط
الطول المار بمخرج

رابعاً ابرة مغنطيسية

خامساً نظارة ليلية

سادساً مصباحان كهربائيان من مصابيح رومكوف وهي ساطعة النور
سهلة الثقل مأمونة الخطر

سابعاً بندقيتان من معمل بورليمور وغدارتان من ذوات الست طلقات
وكية وافرة من البارود والقطن البارودي الذي لا يطفئ بالرطوبة وقوة ذاك
القطن الدافعة عند الالتهاب اشد كثيراً من قوة البارود المعروف
ثامناً سلم من حريق طوله ثلاثمائة قدم وعدة حبال طويلة ذات عند منظمة
على ابعاد متساوية

هذا فضلاً عن الفئوس والسكاكين والمعاول والازميل والمسافير
والاسافين والمطارق والمسامير على اختلاف انواعها والآلات الجراحية بين
منصات ومشاريط ومحسات وغير ذلك والادوية المختلفة من الكحول عطري
ومحلول خلاص الرصاص واثير واخل ونشادر وبركلورور الحديد وما اشبه
وكان معنا من اللحم القديد والبقسماط مؤونة ستة اشهر الا ان قربنا كانت خالية
من الماء وكان يقول الاستاذ انه سيملاها من قلب الارض ولم يكثرث بما قلته
عن حرارة المياه الداخلية التي تكون كافية لسقي امعانا وعن امكان عدم وجود

ماء على الاطلاق.

وفي مساء ذلك اليوم أدب لنا الكونت تراب مأدبة حضرها كثيرون من وجهاء المدينة وأعيانها وكان كلامهم باللغة الدانيركية فلم أفهم شيئاً من الحديث سوى ان الأستاذ تكلم طول الوقت.

وفي اليوم الثاني اهدانا الموسيقو فريديريكسون خارطة لجزيرة ايسلاندا مصغرة الى $\frac{1}{100,000}$ وهي اوفى واخسن من خارطة هندرسون فسرّ بها الأستاذ كثيراً واثني على الموسيقو فريديريكسون ثناء جليلاً.

ولما جاء يوم السفر ودعنا الموسيقو فريديريكسون وذاع الصديق الحميم وانطلقنا على اثر هنس وكان خبيراً بمسالك الجزيرة عالمًا بمأواذها ومجاهلها فسار بنا على اقرب الطرق واسهلها وكانت مطايانا قوية على التعب متدربة على المسير في الاراضي الحجرية الا انها قصيرة جداً فكان الأستاذ يخط الارض بقدميه وهو متصب فوق جواده كأنه مارد من مرّة الجان.

فبعد ان سرتنا ساعتين على شاطئ البحر في اراضٍ مجدية صلعاء وصلنا الى قرية تعرف باسم جوفون فاقمنا فيها ريثما تناولنا الطعام ثم استأنفنا المسير على طريق صعبة تحمها الصخور من جانب والبحر من الجانب الآخر.

فوصلنا في مبدأ الساعة الرابعة بعد الظهر الى قرية سوربيورالي على شاطئ خور الولفيود وهو مرفأً طبيعي محاط بصخور هائلة يبلغ علو بعضها ثلاثة الاف قدم ولاصطدام الامواج عليها هدير مستمر ودوي مستديم وعرض الخور من الجهة التي كما فيها الى الجهة الاخرى يبلغ نصف ميل وكان لا بد لنا من اجتيازه الا انه لم يكن هناك الا قارب شرعي لا قوة له على مقاومة المد والجزر فلا يمكنه المسير الا اذا بلغ المد حده اذ يحصل فترة لا يكون فيها للمد والجزر فعل محسوس ولكن الأستاذ لم يشأ ان ينتظر الوقت المناسب فتقدم بنفسه في المياه زاعماً اجتياز الخليج على ظهره فأبى الفرس الانقياد فحمله الأستاذ



وكان الأستاذ يخط الأرض بقدميه (صفحة ٦٣)

بالمهاز فجمع به حتى كاد يلقيه الى الارض فاخذته الحدة واهلب الفرس بالسوط ضرباً فازداد جوحاً ثم انسل من تحته وتركه واقفاً فوق صخرين في وسط المياه كأنه صنم رودس فاخذ الأستاذ يشتم ويلعن وقد غشى وجهه الخجل فلم يمكنه ان املك نفسي عن الضحك لما رأيته على تلك الحالة ثم انتقلنا بجبلنا وادواتنا الى القارب وعند الساعة السادسة بعد الظهر بلغ المد الغاية المطلوبة فسار بنا القارب سيراً بطيئاً جداً فلم نبلغ الشاطئ الاخر الا بعد مضي ساعة ونصف وبعد ذلك بنصف ساعة وصلنا الى قرية تعرف باسم جردار

وكان وصولنا في الساعة الثامنة مساءً على أن الشمس كانت لم تزل ظاهرة في الأفق ولا تحجب فإن جزيرة أيسلندا واقعة في منطقة الخط الخامس والستين من العرض فلا ليل فيها مدى شهري يونيو ولوليو غير أني شعرت بالبرد ولا سيما بالمجموع فطرقنا باب أول منزل وصلنا إليه وهو لأحد الفلاحين فاستقبلنا الرجل بهشاشة عربية وإدخلنا قاعة الضيوف وهي أحسن قاعات المنزل إلا أن سقها قريب من الأرض جداً فكان الأستاذ إذا قام فيها لا يثني إلا مطأطأ رأسه ولطلك القاعة نوافذ قامت فيها جلود الغنم مقام الزجاج فكان النور ينبعث منها إلى الداخل ضعيفاً وللييت باجمعه رائحة السمك القديد وحامض اللبن فبعد أن وضعنا حقائبنا في زاوية دعانا صاحب المنزل إلى المطبخ لنصطلي فبعنا إلى حجرة نعيمت من الدخان وجلسنا حول نار وقودها السرجين والغمم الحجري وعظام الأسماك المجففة وحينئذ أتى إلينا صاحب المنزل وقبل كلاً منا بوجهه مستأنفاً السلام كأنه لم يربنا من قبل ثم جاءت امرأته وفعلت كفعله تلك عادة عندهم من تلقى الضيفان ما عرفتها قبل

ومن لم يسرين البلاد وإهلها يفتنه كثير من شهود الغرائب وفي هذا المقام أقول أن المرأة كانت أما لتسعة عشر ولذا جمعنا وإياهم النار نار المطبخ وكلهم دون سن البلوغ فهم أشبه بلفيف من الملائكة بشرط أن يكون مضى عليهم مدة لم يغتسلوا في مياه الكوثر فبششنا بوجه هؤلاء الاطفال فاستأنسوا وبعد برهة صعد ثلاثة أو أربعة منهم على أكتافنا ومثلهم على ركبتنا وأقام الباقون بين أرجلنا وكان القادرون منهم على الكلام يترحبون بنا كل منهم بنغمة غير نغمة الآخر وأما الاطفال فكانوا يصيحون صياح الفرح فعلمت ضجيتهم حتى لم يعد لغيرهم سبيل إلى الكلام وما زالوا على ذلك حتى جاء صاحب المنزل ودعانا إلى تناول الطعام فسكت الضوضاء دفعة واحدة وفي ذاك الوقت دخل هنس وكان قد اطلق الخيل في تلك السهول المحببة علي أمل أن تجد شيئاً من العشب



والهب الفرس بالسوط ضرباً فازداد جموحاً (صفحة ٦٢)

تسد به الرmq ولما دخل حي صاحب المنزل وامراته وقل وجهيهما ثم انعكف
 يقبل اولادها التسعة عشر ولما فرغ من عمله هذا الذي استغرق مدة من الزمن
 جلسنا على المائدة وكان عددنا اربعة وعشرين شخصاً اما عدد الكراسي فكان
 اقل من ذلك بكثير لان اكثر الاولاد جلس على ركبنا فاصاب الواحد منا
 اثنين على الاقل فاكلنا الرmq اولاً ثم جيء بجفنة رذوم من السمن القديم والسلك
 القديد والاسلانديون يفضلون السمن القديم على الجديد لحرارة طعمه وبعد
 ذلك جيء بطاجن يشتمل على نيف وثلاثين بيضة من بيض الدجاج فليت

بالسمن يتبعه قصعة من اللبن الرائب

وبعد الأكل ذهب الأولاد الى مخدعهم وبقينا نحن وصاحبنا المنزل حول الموقدة ساعة من الزمان نضوب من شدة البرد رأيت الجوس في عبادة النيران ثم قمنا الى القاعة لاننا كنا في حاجة الى الراحة فجات صاحبة المنزل لتزع احديتنا وسراويلنا بحسب العادة المألوفة عندهم فامتنعنا بلطف شاكرين لها مزيد التفاتهما فانصرفت وكان قد اعد صاحب المنزل لكل منا فراشاً من قش وغطاء من صوف فقمنا جميعنا نومة هنيئة

وفي صباح اليوم الثاني ودعنا صاحب المنزل وعرض عليه عي شيئاً من النقود فأبى اخذه رغماً عن الحاحه فدفع المبلغ مخالسةً الى احد اولاده وانصرفنا شاكرين لذلك الرجل كرمه

ولم نتبعد عن جردار قيد غلوة حتى دخلنا في وهدة على كثرة مباهها خالية من النبات ومساكنها مشبعة فكننا في كل برهة ثلاثي جدولاً تضطر الى الخوض فيه محتسبين على المؤونة والذخائر من الليل

اما المناظر التي شاهدناها في ذلك اليوم فعجزت عن تقبض لها النفس فان الارض التي مررنا فيها جدياء صلعاء خالية من العشب اليابس فضلاً عن الاخضر وكما نصادف حيناً بعد حين انساناً رماهم حادث البرد بدهاء البرص فحجروا العالم واهلوا تلك البرية المفردة وكان هؤلاء المساكين اذا ابصرونا عن بعد مقبلين عليهم يتوغلون بين الصخور القائمة على جوانب الطريق لكي يتجنبوا عن نظرنا واما اذا اشرفنا على احد منهم قبل ان يبصرنا فكنت ارى رجلاً متفخ الرأس لامع البشرة اعطى الوجه وكنت اشاهد من خلال اثوابه الرثة قروحاً دامية صديدية منتشرة في كل بدنه يؤثر منظرها في النفس واي تأثير

وعند المساء نزلنا في حظيرة مهجورة بعد ان تجاورنا نهرين هناك بعرفان بالآلأنا وإلهيتنا ولعل في هاته التسمية حكمة تاريخية غير معلومة اليوم بين القوم



فكنت ارى رجلاً متبغ الرأس لامع البشرة امعط الوجه (صفحة ٦٦)

فقضينا في تلك الحظيرة ليلة شديدة القرم
وفي اليوم الثاني لم نصادف في طريقنا غير ما صادفناه في ذلك اليوم وكان
مبيتنا في قرية كروزوليت .

وفي يوم ١٩ يونيو قمنا من تلك القرية صباحاً وما ابتعدنا عنها ميلاً حتى
دخلنا ارضاً كستها البراكين المجاورة ايام هيجانها مواد بركانية وقد تجمدت تلك
السوائل على شكلها الاصلي فهي اشبه شي بالامواج وبعضها ملتف على نفسه كالحبال
وفي ذلك اليوم صادفنا على طريقنا عدة بنايع حارة ولما كان الاستاذ لا يطلب

الاسرعة الوصول الى فوهة اسنفل لم يلتفت الى تلك المواد بل بقي سائراً الى الامام لا يلوي عنافاً ولم نزل نجد السير حتى وصلنا الى قرية بدير القائمة على شاطئ البحر فقضينا ليلنا فيها وكان نزولنا في بيت من اولاد عم دليلا هنس فآكرنا صاحب المنزل غاية الاكرام وكان بودي الاقامة عنده يوماً او يومين لانني كنت في اشد الاحتياج الى الراحة من نصب المسير وتعب الركوب واجتياز الانوار والانجاد فاشترت على الاستاذ بذلك ولكنه لم يلتفت الى كلامي

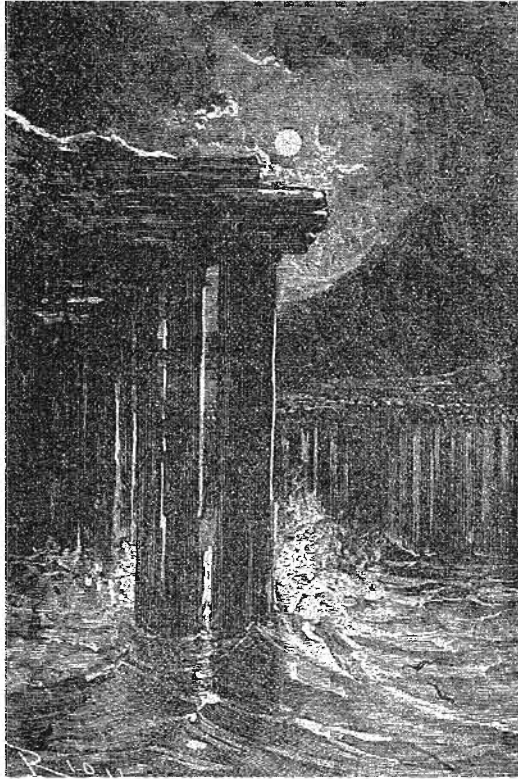
وفي صباح اليوم الثاني قمنا من بدير فاصدين قرية استاني وكان بيننا وبينها مسافة اربع ساعات فدخلناها عند منتصف النهار ووقفت بنا الخيل من تلقاء نفسها امام دار القس



الفصل الحادي عشر

استاني قرية تشغل على نحو من ثلاثين بيتاً وهي قائمة بسفح جبل اسنفل على آكمة تألفت من المواد البركانية وبجانبها فريضة صغيرة يحيط بها سور طبيعي من البازلت غريب الشكل عجيب التركيب

البازلت صخر اسمر اللون ناري الاصل وهو يتكوّن احياناً على اشكال منظمة تنظماً هندسياً تقضي بالعجب فقد قرأت عن عجائب بابل وسمعت وصف غرائب ابنية اليونان ولكنها ليست بشيء في جانب ما شاهدته ذلك اليوم في استاني فان الطبيعة قد اقامت على شاطئ البحر سلسلة من العمد البازلتية علوها ثلاثون قدماً وعددها لا يكاد يحصى وهي في غاية الضبط والتناسب وضعاً وشكلاً ولها سقف ممتد من اولها الى اخرها في غاية الاحكام والاتقان وكلها قطعة واحدة اما بيوت القرية فبنائها بسيط وجدرانها قصيرة كبيوت غيرها من قرى الفلاحين وبيت القس لا يختلف عن غيره بشيء فلما وقفت بنا الخيل في عرصة الدار رأيت رجلاً يعمل فرساً وقد شمر عن ساعديه حتى بان سواد ابطيه



وهي في غاية الصبط وانتاسب وضعاً وشكلاً (صفحة ٦٨)

وتنطق بمنطقة من جلد تدلت على حجرة فيها الدليل بالسلام وكان ذلك الرجل
 النفس بنفسه فبعد أن ناجى الدليل برهة ادخل اصابعه الوسطى والسبابة من كلتي
 يديه في فيه وصفر صفرة قوية فبرزت في الحال امرأة جاحضة العينين قبيحة
 المنظر مهزولة الجسم وهي اطول ما رأيت من النساء فخنقت من ان تقبلنا قبله
 الترحاب ولكنهما لم نفعل والحمد لله بل قطبت حاجبيهما لما بصرت بنا وعيسك
 بوجه تستعبد الجح منهُ وتنفر من بشاعته السعالى
 ثم ادخلتنا المنزل كارهةً وبقي النفس يباشر عمله

اما قاعة الضيوق فأردأ قاعات المنزل فهي قدرة منتهى ليس فيها شيء من
الاثاث سوى حصير تقادم عهده ومقعدة من خشب اظنهما من بقايا سفينة نوح
فعلت ان بيت القس ليس بيت ضيافة وريثا فرغ الكاهن من انعال الفرس
شرع في تصليح قفل لبعض الاهالي ثم اقلب نجارا ثم حدانا ثم صيادا ولم أره
ساعة واحدة كاهنا

نعم ان الشغل العالي غير محرم على القس لاسيما اذا كان في حاجة الى
السعي في طلب الرزق ولكن معاطاة بعض الحرف تستلزم غالبا الاتصاف بصفة
اربابها فالييطرة مثلا تستلزم زجر الخيل في كل آن زجرا عتيقا فاذا اعتاد المرء
ذلك صارت فيه الشراسة ملكة وقد ذهب بعضهم الى ان الزجر لا يجدي نفعا
الا اذا كان مصحوبا بلعنة وقد ثبت لي في تلك الليلة اذ اجتمعنا بالقس ان
الامر انتهى به الى تلك الحال

وكان في عزم الاستاذ ان يقيم بضعة ايام في استاني لاجل الراحة من عناء
السفر ولكنه لما علم بما هو عليه ذلك القس من قبح الطباع وسوء الاخلاق صم
على ان يعاجله بالفراق فاوعز الى هنس بالتأهب للسفر في صباح يوم ٢٢ يونيو
اي بعد وصولنا بيومين فاستأجر الدليل ثلاثة رجال من اهالي القرية لتشكل
على ظهرها الامتعة الى ضهر الجبل لان الطريق غير صالحة لمسير الخيل عليها
وفي نفس ذلك اليوم اي يوم وصولنا الى استاني انذر الاستاذ هنسا بان
عازم على استقصاء البركان الى اقصى حدوده الداخلية فحنى الدليل راسه بمعنى
انه مستعد لذلك اما انا فادركني الخوف والوجل وعادتني الحال التي كنت بها
في مبتداء الامر بعد ما كان شغلني عنها السفر منذ ثخوصنا من ههريج فاخذت
اهكر في الاخطار التي تكون غرضة لها اذا دخلنا في جوف الارض فخطري بالي
لمر لم يحل في خلدي من قبل زادني قلقا واضطرابا ذلك اني تذكرت انه مر على
بركان اسنفل في العصر الحالية حين من الدهر هادئا مستكنا حتى جعل في عداد

البراكين المنطفئة ثم عاد في سنة ١٢١٩ الى القدس والهيجان فاي شيء ثبت لنا الآن ان ناره انطفأت حقيقة واي بلاء نلاقه او مكروه وقع فيه اذا كانت ناره كامنة تحت الرماد واجمعها عامل من العوامل الطبيعية بيها نحن متوغلون في قلب الارض سائرون في مجاريها

وكنت اعلم ان الاستاذ لا يحول عن عزمه ولو حالت دون عاينه طوائف الانس والجن لاسما بعد ان صار عند قاعدة جبل اسنفل على اني اتيت اليه في صباح اليوم الثاني والقيت عليه المسألة بصفة فرض بسيط بعيد الاحتمال فاجابني قائلاً ان هذه المسألة جديرة بالالتفات وقد ترويت فيها البارحة طويلاً اذ لا ينبغي للعاقل ان يتورط في امر قبل التبصر في عقابه والتدبر به منتهاه

وكان الاستاذ يتكلم بحمد قلقت لعله ترك العناد وانبع طريق الرشاد ثم استطرد الكلام قائلاً نعم انه مضى على هذا البركان ستة اجيال ولسانه منعجم ولكن من الممكن ان ينطلق يوماً ما غير ان لذلك دلائل معروفة ومظاهر معينة تنذرت قرب الهيجان فقد استقصيت الاخبار من بعض الاهالي وبجنت في الارض وراقبت المظاهر الجيولوجية فلم ار شيئاً من تلك الدلائل فعلت انه لا خوف علينا مما نخشى

فلما سمعت منه ذلك الكلام وقفت حائراً فقال ان كان عندك ريب في كلامي فاتبعني ثم خرجنا من القرية وسرنا صعوداً حتى بلغنا رابية اشرفنا منها على سهل شاسعة ترصعت بالصخور النارية من بازلت وصوان وترثيت وغير ذلك من المواد البركانية كانها برد امطرته عليها السماء لو عصابة من حبيب بستها الصهباء وقد شج جبينها بالماء ورأيت عن يميني وشمالتي عدة بتابع حارة يتصاعد منها بخار ابيض كثيف فاشار اليها الاستاذ وقال رأيت هذا الدخان يا اكسيل



تصاعد منها بخار ايض كئيف (صفحة ٧١)

قلت نعم وكئيف هو دليلاً على أن خوفنا في مثله
 قال لا بل هو الدليل الناطع على أن خوفنا في غير مثله
 فاخذني العجب من كلامه وقلت كيف تستنتج هذه النتيجة مع أنه لا شيء
 يبي عن وجود النيران أكثر من تصاعد الدخان
 حقق الامر بالدليل وفكر فدخان من غير نار محال
 فقال هذه اقوال تركن اليها الرعايا لا تليق بملك من الصناديد
 ولقد حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء أما تعلم أنه من الحق للعبان الثابت

بالمشاهدة في كل زمان ان مثل هذا الدخان اذا اقترب هيجان البركان
يزداد كثافة من دققة الى اخرى حتى اذا ابداء القذف يقطع كلياً وذلك لان
البخار ينبعث اذ ذاك من مجرى البركان بدلاً من ان يتخلل قشرة الكرة الارضية
وفضلاً عن ذلك اذا زلت ساعة الهيجان انقطع المطر وسكنت الريح وثقل الهواء
والحال اننا لا نرى شيئاً من هذه الدلائل فاذن يمكننا ان نحكم بانه لا خوف من
هيجان قريب

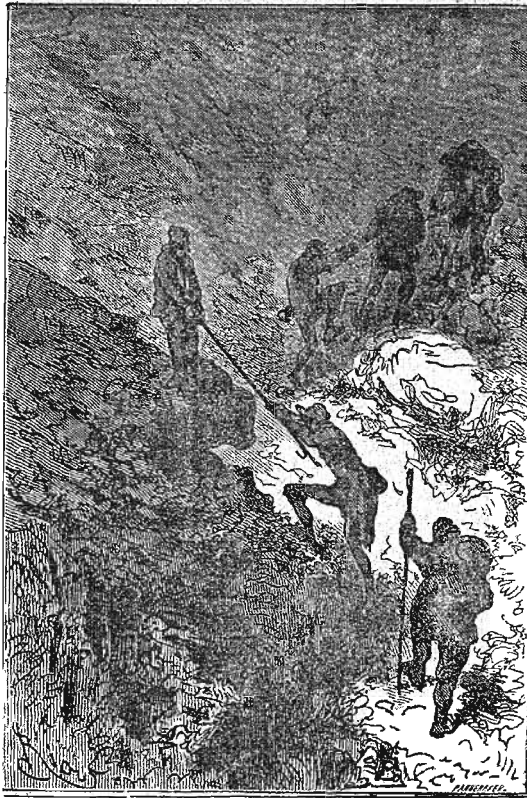
فعميزت عن الجواب ورجعت الى القرية حزيناً كثيراً آتياً من السلامة
وكت قد عللت نفسي بامل فارغ قضيت تلك الليلة في قلق واضطراب تروعي
الاحلام وتفرغي الخيالات وكت انا غفوت رأيت نفسي متقدماً من فوهة
البركان الى اقصى كواكب النظام الشمسي تارة بصورة صخر ناري وطوراً بصورة
سائل ملتهب واذا استيقظت لا ازال اري لسان اللهب مندبلاً نصب عيني
ولما جاء اليوم الثاني خرجنا مشاة طالين رأس الجبل وكان القس وامراته
يتظرانا في فناء المنزل فلما اقبلنا نودعها قدما لنا قائمة المصاريف التي تكبداها
بسببنا وهي تشمل على قيمة الهواء الفاسد الذي تنشقاه في قاعة الضيوف فضلاً
عن قيمة ما لحق بالحصير والمتعة من التلف بسبب جلوسنا عليها فتقدما عى
المبلغ بدون ان يبدي اعتراضاً وانطلقنا على اثرهنس والاشخاص الثلاثة المحاملين
لادواتنا وقد تأبط كل منا قرية ممثلة ماء وتقلد عصا ملبسة حديدآ وما
ابتعدنا عن القرية قيد فرسخ حتى دخلنا منجماً من الفم الحجري تخلف عن الفياض
القديمة وهو يشغل بقعة طويلة عريضة وسمكه في بعض الحالات يبلغ السبعين
قدماً وفيه من الفم ما يقوم باحتياج الجزيرة جيلاً كاملاً على انه لم يزل يكرأ
ومن ثم انتهينا الى طريق حجرة فسرنا عليها الواحد وراء الآخر بحيث كان
يتمتع علينا المحادثة فاخذت افكر في تاريخ الجزيرة الجيولوجي وفعل البراكين
فيها وتذكرت ما ذهب اليه اكثر مشاهير العلماء من ان جزيرة ايسلاندا حديثة

العهد أي أنها برزت من تحت المياه من مدة قريبة وأرتأى بعضهم أنها لم تزل ترتفع شيئاً فشيئاً حتى الآن بحركة غير محسوسة فان صدق قولهم فهي ناشئة عن فعل النيران الداخلية وإن صح ذلك فقد ثبت فساد مذهب هفري ديني وكذبت رقعة سكونسيم وأضح خطاه الاستاذ

أما اكتشافها فكان في سنة ١٦٠ وهي واقعة بين ١٢٦٤ و ١٦٢٣ من العرض الشمالي و ١٢٢١ و ١٧٢٤ من الطول الغربي وقد وافق اسمها مساهها وطابق لفظها معناها لان ايسلاندا معناها ارض الجليد ومساحتها ٣٠٥٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ٧٠٠٠٠ نفس وهي ارض بركانية يشغل القسم الأكبر من سطحها سلسلة رسوبات كلسية بالاغونية مرتفعة بتخللها تراشيت وفي جوانبها كثير من البارزات والبارزات أقدم تلك التراكيب ويليه البالاغونية ثم السوائل البركانية المتجمدة وينطوي تحتها الطبقات التي تكونت بفعل البراكين الحديثة وبعض جبالها مكلل أبداً بالثلج كجبل اسنفل وفي داخلها بركة كبيرة مغطاة بمواد بركانية والفعل البركاني ظاهر في بقعة عريضة منها ممتدة من رأس ريكناس في الجنوب الغربي الى كرفلا في الشمال وفيها من المعادن النحاس والحديد والرصاص والفضة والكبريت والفلدسبار والكورتز والتالكيدوني والبنفش والزبرجد والدهنج والخبث الساقى والأوبال وغير ذلك

فبعد ان راجعت جميع ذلك في فكري ودققت النظر في تربة الارض التي كنا نسير عليها اقتنعت كل الافتناع بصحة رأي اولئك العلماء وايقنت ان قلب الجزيرة لم يزل ملتصقاً وان كل المواد التي فيه سائلة فاطمان بالي نوعاً من الاطمئنان وعلمت ان الاستاذ سيكره على الرجوع بخفي حين اذا توغل بضعة اميال في جوف الارض اذ تبلغ درجة الحرارة مبلغاً لا نسمح له بالتقدم هذا اذا كان من فوهة البركان طريق الى قلب الارض

وبعد ان سرنا ثلاث ساعات في صعود مستمر وصلنا الى قاعدة الجبل



فاخذنا تسلق الصخور البازخة وتصور الجنادل الشامخة (صفحة ٧٥)

الحقيقية فاقمنا هناك ريثما تناولنا الطعام ثم استأنفنا المسير بهمة ونشاط وكانت طريقنا هذه اوعر من طريقنا الاول فاخذنا تسلق الصخور البازخة وتصور الجنادل الشامخة مستعينين بالعصي التي بايدينا وكان الايسلانديون الذين صحبونا يسرون امامنا بسهوة غريبة مع انهم حاملون من الاثقال احمالا ومن الاحمال اثقالا وكذلك الاستاذ مع انه غير معتاد على المسير في الاراضي الوعرة وكان سائراً بالقرب مني لا يغفل عني طرفه عين ولولاه اسقطت مرة او مرتين في هوايا بعيدة القعر

ولم نزل .تسئم غوارب الصخور محاذرين من سقوطها بنا الى ان وصلنا
بعد مسير ساعة الى منطقة الجليد المنتشر على القسم الاعلى من الجبل فسهل علينا
المسير لان الجليد تجمد على الحجارة فصيرها كالدرج المشد وعند الساعة
السابعة وصلنا الى قاعدة المخروط القائم على رأس الجبل

وكان قد اعياني التعب واضناني النصب حتى لم يعد لي قدرة على نقل
رجلي الا بشقة عظيمة ولما رأى الاستاذ مني ذلك اشار الى هنس بالوقوف فابى
الدليل الا المسير فسأله الاستاذ عن السبب فاشار بيده الى السهول الممتدة في
اسفل الجبل وقال (اعصار) فرأيت عجاوبة سوداء تألفت من الرمل الاسود
ودقيق الحصى وقد اتصبت كالعمود طرقتها الاسفل في الارض والآخر في السماء
وهي تدور على نفسها بسرعة تدهش البصر مرتفعة نحو الجبل وامثال تلك العاصفة
كثيرة في ايسلاندا اذا هبت الريح من الجبال المتجلدة فلما رأها قومنا الايسلانديون
اضطربوا خوفاً لانها كانت مقبلة علينا بسرعة غريبة فقصصنا الجهة المخالفة من
رأس الجبل وقد رجعت اليّ قواي فاخذنا نعدو عدوّا غير مباين بما دوننا من
الهوايا ولا مكترئين بما فوقنا من الصخور المتدلية علينا وهي على شرف السقوط
وكان الاعصار مقتنياً اثرنا حاجباً عين الشمس فابتعدنا عن محل الخطر قيد
غلوّة حتى انطبق على الجبل بقوة الصاعقة فكان لانطباقه دوي كقص الرعد
المواصل وثار الغبار في السماء حتى خيم على الارض فاقطع الصخور الهائلة
ورفعها في الجوّ ثم رمى بها الارض فتدحرجت الى سفح الجبل بقرعة تصم الاذان
وفي تلك الساعة عرفت عظم الخطر الذي نجونا منه لاننا لولا نباهه هنس
لانطبق الاعصار علينا ومزق اجسامنا كل ممزق وتركنا هباءً منثوراً

وكان لم يزل بيننا وبين رأس القمة علو ١٥٠٠ قدم الا ان الطريق صعبة
جداً فكنا لا نرتفع قدماً الا بعد ان نسير عدة خطوات يميناً او شمالاً فلم نصل
الى اعلى الجبل الا عند نصف الليل وكانت الشمس اذ ذاك في الافق ترسل



ونار الغبار في السماء حتى خيم على الأرض (صفحة ٧٦)

اشعة ضعيفة لا حرارة فيها فوقفت هناك برهةً أناملها ثم لحقت باصحابي الى
الوكر الذي اخاروه للمبيت فتناولنا الطعام الذي حضره لنا الدليل وما فرغت
من الاكل الا وانا اتمابل من النعاس فقمنا الى فراشي اتهادى في مشيتي كالنشوان
وانطرحت كالقنبل حتى الصباح



الفصل الثاني عشر

ما قضيت في العريلة حلا لعيني فيها مواصلة الكرى وراق يجني معانقة

الغص مثل الليلة القائمة مع اني لم افترش غير صخر من الصوان ولم اتوسد
سوى رزمة من الحبال ولكن التعب كان قد اهلك قواي فوجدت للنوم لذة
لم اعرفها من قبل وما استيقظت من نومي الا وقد اقبل البحر بكواكبه يتهادى
بين مواكبه من طلّ فحالى وهو بارد ويخفف وهو جامد ونسيم يؤلم بموخز الجلود
ويخلل مسام الجسد فيبث فيه سم الجليد ولما فتحت عيني رأيت نفسي نشيطاً
فاتصبت على قدمي وقمت اسرح الطرف في المناظر التي كانت منبسطة امامي
وكنت اذ ذاك على قمة اسنيفل الجنوبية وهي تشرف على القسم الاكبر من الجزيرة
فرأيت اوديتها كالآبار وبحيراتها كالدرام وانهرها كالجدول وجداولها كالافاعي
وجبالها المكلفة بالثلج كالامواج الملاطمة ورأيت الاوقيانوس بكل عظته ممتداً
في الجهة الغربية وآخره مختلط بالسماء اخلاط الخمر بالماء او العين بالنضياء
فكأن السماء بحر محيط وكأن البحر المحيط سماء

وكانت اشعة الشمس ساطعة تنكسر على رؤوس الجبال المتجلدة فترى العين
الواناً باهرة تزيى بقوس السحاب فاخذتني الدهشة من تلك المناظر العظيمة وبنيت
انا على ذلك دنا مني الاستاذ وقال مشيراً بيده الى الغرب اي شيء هذا الذي
تراه يا اكسيل

قلت سحابة بيضاء منتشرة على سطح البحر
قال اعد نظراً ما هي سحابة وانما هي جزيرة غرينلانده وهي لا تبعد عنا
اكثر من تسعين ميلاً وكثيراً ما تأتي منها الى ايسلاندا الدباب فرادى وزرافات
تسير بها قطع من الجليد سير السفن تزجها الرياح
ثم نظر الاستاذ الى هنس وسأله عن اسم القمة التي نحن عليها فقال هي
قمة اسكرتريس فتبسم الاستاذ تبسم العجب ثم قال هلنس هيا بنا الى القوهه
اما قوهه اسنيفل فهي على شكل مخروط منقلب وهي اشبه بقع او خرطوم
فيل وقطرها من اعلاها يبلغ الميل تقريباً وعمقها نحو النفي قدم وقطرها من اسفلها

خمسائة ولما وقفت على حافتها افتركت في الايام التي كانت غاصة فيها بالنار واللييب فارتعبت فرائصي واضطربت جميع اعضائي على ان هناسا ر اماننا بدون خوف ولا تردد فتبعته مع بقية القوم وكنا نسير على مهل محاذرين من العثار لان الطريق منحدره انحداراً خفيفاً وكان بعض الحجارة قد حرج من تحت ارجلنا فيسبح له صدى غريب يستمر زمناً ومن الفوهة قسم متجلد فكلنا لا نسير عليه الا بغاية الاحتراس وفي المفاوز الخطرة كنا نربط بعضنا بجبل طويل حتى اذا عثرت رجل احدنا يتمكن الباقون من اتشاله على ان تلك الطريقة كانت من جهة اخرى شديدة الخطر لانه من الممكن ان يترتب على سقوط الواحد سقوط الجميع

وعند منتصف النهار وصلنا الى اسفل التمع سالمين ولم يستطع منا الا رزمة حبال افلتت من يد احد الايسلانديين فسبقتنا الى حيث كنا قاصدين متبعة اقرب الطرق

وفي اسفل التمع ثلاث فوهات يبلغ قطر الواحدة مائة قدم تقريباً ومنها كانت تندفق المواد البركانية في ايام الهيجان فتأمل الاستاذ مواقعها برهة ثم نرح طرباً واحداً مجهز من امام الواحدة الى امام الاخرى كالليث في وثباته وثباته وهو بهمهم ويجمع وكان هنس ورفقاؤه الايسلانديون جالسين على صخري ينظرون اليه كمن داخله الريب في سلامة عقله وبعد بضع دقائق صرخ الاستاذ صرخة دوت لها الهوية فظننت انه سقط في احدى الفوهات فالتفت اليه مرعوباً فراهجه وافقاً امام صخر من السوان وعلاماً الدهشة ظاهرة على وجهه فهرولت نحوه فاشار بيده الى كتابة رسمت على الصخر وقال انظروا اكسيل وقل لي ان كنت لم تنزل في ريب من صحة الامر فنظرت الى الكتابة واذا هي اسم آرن سكوسيم فراجعتني الخوف من ان تكون الرواية صادقة ثم رجعت حزينا الى المحل الذي كنت فيه واعتمدت رأسي بيدي واخذت افكر في امر تلك الرحلة وما لاقيت



فظهرت الى الكتابة واذا هي اسم ارن سكتوسيم (صفحة ٧٩)

بسيها من الانعاب وما عسى الاقيه فبقيت مدة طويلة تائها في قفار الافكار
ضالاً في غياهب الخيالات ولما رجعت الى نفسي لم أر حولي الا هنساً والاستاذ
وكان الايسلنديون الثلاثة قد عادوا الى قريتهم
اما هنس فكان راقداً بجانب صخر متوسداً جنداً من السوائل المتجمدة واما
الاستاذ فكان يدور في ارض القمع كأنه نمر في فقس ولم يكن لي همة ولا قوة على
اتباعه فاضطجعت حيثما كنت موثراً الاقتداء بهنس ولم يطب لعيني في تلك
الليلة منام اذ كان منقطعاً خبير هنيئاً وكان يخيل لي تارة اني اسمع دويماً مربعاً

وطوراً ان الارض ترتجف من تحفي ارتجافاً خفيفاً

ولما اصبح الصبح استيقظت من نومي فرأيت السماء مغيرة الوجه والغيوم
منتشرة فوق الجبل كالسرايق الممدود والافق حاجب عين الشمس بغيته وكان
الاستاذ مطباً وجهه وظواهر الكدر بادية عليه لانه كان يخشى من ان يستمر
الطقس على تلك الحالة حتى دخول شهر لوليذ فيضطر الى تأجيل رحلته الى
سنة اخرى اذ ان معرفة القوة المؤدية الى قلب الارض موقوفة على وقوع ظل
اسكرتريس عليها وذلك لا يتيسر ما لم تبرز الشمس من وراء الغيوم فكان حكم
تلك القمة حكم الزولة لا فائدة منها الا اذا كانت الشمس ظاهرة في السماء فسررت
لذلك الاتفاق الذي لم آكن انتظره واما الاستاذ فاقطع عن الاكل والشرب
والكلام وبقي من الصبح حتى المساء ممدقاً نظره بالسماء وكان وجهه ينقبض مرة
ويتبسط اخرى بحسب تكاثف الغيوم وانتشاعها فكأنه مرآة تتلألأ عليها الغيوم
او آلة يعرف بها مقدار تراكبها على ان النهار انقضى ولم تظهر الشمس دقيقة
واحدة

وفي اليوم التالي وهو السادس والعشرون من شهر يونيو امطرت السماء
والثجت من الصباح حتى المساء فامتلى هنس بيتاً من الصخور البركانية على تقطة
مرتفعة لا يصيبها السيل واستمرت الغيوم حاجية عين الشمس في اليوم الثاني ايضاً
فبلغ الغيظ من الاستاذ مبلغاً عظيماً لانه رأى مساءه في خطر الحبوط بعد ان
قاسى ما قاسى من التعب وبذل ما بذل من النفود حتى بلغ القوة المؤدية
الى قلب الارض فكان اشبه براكب سفينة قاوم العواصف وصادم الرياح ونجا
من اشد المخاطر ولما دخل المرفأ اعتانته المنية وابتلعت له الجحار اما انا فبت تلك
الليلة في سرور عظيم وكنت انصرع الى الله ان يقي الطقس على تلك الحال
يومين اثنين فقط حتى اذا انقضى شهر يونيو والشمس محبوبة بالغيوم يفعل بعد
ذلك ما يشاء فيحبس المطر عن ايسلاندا الدهر ان اراد وبحرقها بوجع الشمس اذا

شاء ولكن ابت المتأدبر الا معاندني وما جاء اليوم الثلاثون من الشهر الا والسماء
رائقة صافية فبرزت الغزالة في الافق ساطعة الانوار تمزق بسهام اشعتها اديم
الضباب وتنادي عي بلسان حالها

لييكَ لييكَ هذي طلعتي برزت وزا محبائي منه الضؤ يزهر
فراقب الظل واصنع ما اردت ولا يضع هباء عليك السير والسفر
وطب اذا انت احسنت الغراس في يطيب في الخافقين الحب والفر
فجيها لسان خالي

اذا استريت بك السحب وجهك عن عيوننا بعض ايام فما الضرر
وانت شرقية والشأن عندكم ان الملاح ذوات الحسن تستر
ولما بلغت الشمس غاية ارتفاعها ارسلت حبلا الى قعر الفوهة فجاء كل
صخر بظله وكان ظل اسكرتريس شاعلاً المحل الاعظم من ارضها فتهايل وجه
الاستاذ فرحاً واخذته خفة الطرب فصار يجهز حول الفوهات ويرقص حتى
خفت عليه من السقوط واما انا فكنت بعكس ذلك حزبن النفس متنبض
الصدر فوقفت مطرقاً وقد استولى على قلبي الخوف والوجل وعاودني اليأس
بعد الامل

بذا قضت الايام ما بين اهلها مصائب قوم عند قوم فوائد
وما زال ظل ائمة يدور مع الشمس كيفما دارت الى ان اتصف النهار
فتوقع على طرف الفوهة الوسطى واذ ذاك صرخ الاستاذ قائلاً ما هي الطريق
المؤدية الى قلب الارض ثم نظر الى هنس وقال هيا بنا واثار بيده الى الجاوية
فاضطربت جميع اعضائي مرة واحدة عند سماعي تلك الكلمات واما هنس فكان
هادئاً ساكن البال كأن السفر الى قلب الارض من الامور العادية عنده فتصعب
على قدميه عند سماعه كلام الاستاذ وتقدم نحو الفوهة واخذ يستعد للتزول بدون
ان ييدي اعتراضاً او يسأل سؤالا وكان لم يزل سفي وسعي الامتناع عن المسهر

ولكني لم افعل بل لم افه بينت شفة لاسيا اذ رأيت اقدام هنس مع انه اولى مني
بالامتناع

قلت ان قطر الفوهة يبلغ مائة قدم وكنت لم انظر بعد الى جوفها فتقدمت
اليها وانحنيت فوق صخر تدلى على حافتها فتبين لي ان جدرانها الداخلية تكاد
تكون عمودية الا ان فيها صخوراً بارزة تساعد على النزول انا كان الانسان
ممسكاً بيده حبلاً مربوطاً باحد الصخور التي على طرف الفوهة غير اننا لو فعلنا
ذلك لتعذر علينا حل عقدة الحبل انا انتهينا الى اخره ولكن الاستاذ لم يكن
من يجلبون بشعرة ويعثرون بالنوى فانه بعد ان تبصر في الامر بهمة وتروى
فيه لحظة عمد الى حبل طوله اربعائة قدم وغظه كاهبهم اليد وجعل وسطه
على صخر مرتفع الرأس مشرف على الهوة وارخى طرفيه احدها عن يمين الصخر
والاخر عن شماله بحيث صار في امكاننا اذا تدلينا الى عمق مائتي قدم قابضين
على طرفي الحبل معاً ان نجبره من احد طرفيه ثم نعيد العمل بهذه الطريقة الى
ما لا نهاية

وبعد ان فرغنا من تركيب الحبل بالكيفية التي ذكرناها قسمنا الآلات
والادوات التي يخشى عليها من الكسر الى ثلاثة اقسام جعلنا كل قسم منها رزمة
واحدة ثم شدناها الى ظهورنا فخص الاستاذ بالآلات اللطيفة مع شيء من
الزاد واخذت انا شيئاً من الاسلحة وقسماً آخر من الزاد واما بقية الادوات والزاد
فكانت لهنس ثم عمد الاستاذ الى الملابس والحبال والسلام وجعلها رزمة واحدة
واقامها من الفوهة بدون تردد ثم انحنى فوق الهوة يراقب سقوطها الى ان غابت
عن بصره فوقف وعلام الرضى تلوح على وجهه وبعد ذلك نظر الينا وقال
هيا بنا نحن الان

الفصل الثالث عشر

مضى اوان المشاق والمناعب وجاء وقت الاخطار والمصاعب مضى علينا منذ قيامنا من هيرج خمسة وثلاثون يوماً قضيتها بين لعل وعسى تتنازعني عوامل الخوف والوجل ودواعي الاطمئنان والامل الى ان وقفنا على حافة الفوهة المؤدية الى قلب الارض فعلت ان قد قضى الامر ونفذ المقدور فسلمت نفسي للاستاذ ووكلت امري لله

اما هنس فاعتلى الصخر المشرف على الفوهة بيجان ثابت وجمع طرفي الحبل بين يديه وتدلّى امامنا ثم تبعه الاستاذ ولما جاء دوري ارسلت الى خيال ابنة عمي قبلة الدواع وتدلّيت وراء الاستاذ وكان نزولنا بغاية التأني والاحتراس فما كنا نسمع الا صدى وقع الحجارة التي كانت تنفتق من الصخور من تحت ارجلنا وتساقط الى عالم الظلمات وكان هنس يجس الصخور برجليه قبل ان تستقر قدمه عليها فيحذرنا ما كان منها غير متين وبعد نصف ساعة وقفنا على صخر بارز في حائط البئر وكنا قد اتينا على اخر الحبل فاخذ هنس احد طرفيه بيده وتمكك تنكاً فافلت طرفه الآخر من الصخر فسقط علينا وهو يكس كل ما صادفه في اثناء سقوطه من فتات الحجارة ودقائق الحصى ثم ثبناه نصفين حول الصخر الذي كنا عليه كما فعلنا في المرة الاولى وتدلّينا ثانية حتى اتينا على اخر الحبل وبعد ان سرنا بهذه الكيفية ثلاث ساعات كاملات وقفنا برهة لترتاح وتقضي لاجسامنا حقاً لا تعبث بوجوبه مظنات الفلاح

روح التي رأس ماله فاناً ضاعت فلا رج بعد يتظر
وكان قعر الهوة لا يزال محجوباً وراء الظلام ليس لمراي الانظار لاصاحه
من مرام فقال لي الاستاذ كلما تعمقنا في الارض ازداد ثمة بالفتح فان وضع
هذه الاراضي البركانية وتركيبها يومئذ مذهب ديفي ويدحضان مذهب الفائلين
بالحرارة الداخلية فالترربة التي نحن عليها الان هي التربة الاصلية التي حصل



وكان نزولنا بغاية التأني والاحتراس (صفحة ٨٤)

فيها التهاب المعادن بانحادها بالهواء والماء

اما انا فكان لي في توقع الاخطار في نزولنا ما يكفي لاشتغالي عن مراقبة
انواع الاراضي التي تجاوزناها فلم انظر اليها نظرة واحدة بعين الجيولوجي بل لم
ادر اعمدية هي ام نباتية ام حيوانية ولذلك بقيت صامتاً فحسب الاستاذ سكوتي
دليلاً على اقتناعي

وبعد نصف ساعة استأنفنا المسير وكما اذا اعبانا التعب تنف بضع دقائق
طلباً للراحة ثم تعود الى التدي ولم نزل على ذلك حتي الساعة الحادية عشرة

مساءً فسمعت هتافاً يقول انتهى فامسكت عن النزول وقلت لهم

قال الأستاذ وصلنا الى قعر البئر العمودية

قلت أليس منها طريق ما

قال بلى فاني ارى دهليزاً من الجهة اليمنى وسنستقصيه غداً اما الآن فعلينا

ان نهتم أولاً بالاكل ثم بالنوم

وكان الظلام غير حالك فتدليت حتى استقرت قدمي ثم قفح هتس جعبة

الزاد فاكلنا حتى اكنفينا واخذ كل منا مضجعة تنسداً بوسادة اعدّها لنفسه من

فئات الصخور البركانية وكما قد تدلينا في ذلك اليوم بواسطة الحبل اربع عشرة

مرة فعلت ان علق البئر ٢٨٠٠ قدم تقريباً لان طول الحبل مثلياً مائتاً قدم

كما سبق غير بعيد

ولما جأت الساعة الثامنة من الصباح استيقظت من نومي ونظرت الى

اعلى الفوهة فرأيت دائرتها بيضيه الشكل وذلك لما في الجدران من الاعوجاج

وكان ضوء النهار يدخل منها فيقع على جدرانها اللامعة ثم ينعكس على سطوح

الصخور الصوانية والسوائل البركانية المتجمدة فيرسل اشعته البنا كالشرر في

حالك الدجى على ان ذلك النور كان كافياً لمعرفة الاشياء المجاورة لنا وحالما

ابصر في الاستاذ واقفاً تقدم نحوي وقال بوجه ياش ما قولك يا اكسل هل

قضيت عرك في هيرج ليلة هادئة مثل هذه فابن نحن من ذوي العربات

وضياح التجار وضجة الملاحين

قلت نعم نحن في راحة من كل ذلك في قعر هذه البئر ولكن السكون

ذاته الذي يحيط بنا هو مخيف في حد نفسه وله تأثير في القلوب

قال ويحك يا اكسل الم بأن لك ان تعرك هذه الاقاويل فان من لازمه

حب الحياة فلما يبرح من ضائير الخمول او يحظى ببلوغ المأمول

حب السلامة يثني عزم مناجحة عن المهالي ويعري المرء بالكنيل

فان حجت اليه فاتخذ نقاً في الارض او سماً في الجو فاعتزل
فتبسمت قائلاً واي نفق اعق ما نحن فيه حتى انخذله واي فسمع اوسع من
ظاهر الارض حتى اتبسده

قال دع عنك هذه التصورات يا اكسيل فان كنت تحدث الان بمنزل
هذا الكلام حال كوننا لم تبطن من الارض شبراً فما بالك اذا توغلنا في
احشائها

قلت ماذا تعني بقواك لم تبطن من الارض شبراً
قال اعني بذلك اننا الآن على مساواة سطح الجزيرة فان هذه الانبوية
المعدية التي تنهي الى بركن اسديفل يساوي طرفها الاسفل سطح الاوقيانوس
اويكاد

قلت هل انت على يقين من ذلك
قال نعم وما هو البارومتر واقف فيه الزئبق على الدرجة التاسعة والعشرين
وذلك هو معدل ثقل الهواء على سطح البحر وكلما تعمقنا في جوف الارض يزداد
ثقله بازدياد الضغط عليه وبما قليل لا يعود البارومتر كافياً لتحديد درجته
فتستعوض عنه بالمانومتر

قلت ولكن اذا استمر ثقل الهواء على الازدياد باستمرارنا على التوغل في
جوف الارض أفلا يكون استنشافه مضرًا بنا

قال لا لان نزولنا بطيء فتعتاد رئاستنا على استنشاقه بالتدريج ولأن نشكو
كثرة بلواه خبيرلنا من ان نشكو قلته فحالتنا افضل من حالة راكبي الرياح
الذين يثقل عنهم الهواء كلما ارتفعوا في الجو بعكس ما نلاقه نحن

ثم اخذنا نبحث على رزمة الحبال التي اقيناها من اعلى القومة قبل نزولنا
فرأيناها عالقة بصخر على علو مائة قدم تقريباً فوق رؤوسنا ففي الحال نزع هنس
حذاءه واخذ جسور جدار البحر بخفة ومهارة نهمز عنها القطار وما مضت لحظة

حتى وصل اليها واقامها الى الارض وبعد رجوعه جلسنا تناول الطعام فاوصانا
الاستاذ بان ناكل كنوز الواجب للقيام بالمشاق التي تنتظرنا ولما فرغنا من الاكل
اخذ من جيبه دفترًا سماه بدفتر الملاحظات وحرر عليه النتائج الاتية بعد ان
نحقق من صحتها بواسطة الالة المتنوعة

يوم الاثنين اول لوليو

كرونومتر في ١٧ س ٨ صباحًا

بارومتر شعره ٧ قيراط ٢٩

ترمومتر درجة ٦

وجهة شرق الجنوب الشرقي

وكان القصد بالوجهة وجهة الدهليز المظلم وقد عينتها الالة المغنطيسية
وبعد ذلك نظر الي الاستاذ طربًا وقال الان ابتدأت رحلتنا الحقيقية في
جوف الارض

ثم اخذ مداح روميكوف بيد وكان معلقًا برقبته وفتح الحجر الكهربائي
باليد الاخرى فسطع نوره قوتًا في الدهليز وسطًا بكتائبه الخافية على جيوش
الظلام النجاشية وبدد تلك الكتائب احزاب الغيايب وكان هنس حاملًا
المصباح الآخر ففعل كفعله وهذه المصابيح فائدة جلية اذ يمكن ابرور بها في
وسط الغازات القابلة للاشتعال بدون ان يخشى منها ضرر ثم سرنا في الدهليز
حاملًا كل منا الرزمة التي تعينت له وكان هنس يتقدمنا وهو يدحرج
رزمة الحبال امامه وقبل ان ننوارى فوهة البئر عن نظري تزودت من سماء
ايسلاندا بنظرة كانت نظرة الوداع وقد قدر علي ان لا اراها بعدها

اما الدهليز فبطن بقشرة سمكة من السوائل المتجمدة وهي شديدة اللعان
فكان النور الكهربائي يتعكس عليها فيزداد سطوعًا وارضى مخدرة على خمس
طربعين درجة تقريبًا الا ان فيها قطعًا شاحصة واخرى منخفضة مما يسهل

المسير عليها قليلاً فهي أشبه بدرج تقادم عهده فقرضته أتياب المحدثان، ولعبت به أيدي الزمان وعلى جانبي الدهليز اعمدة متدلية من سقفه بعضها متصل بالأرض والبعض الآخر ينتهي على علو يضع أقدام أما السقف فرصع بصخور من بلور الكورنز غير الشفاف المعروف بدب الملح وعلى هذا البلور كريات من الزجاج الصافي فكانت إذا وقعت عليها أشعة مصابيحنا تنير حالاً بنور ساطع يبهير البصر ويغشي النظر فكاننا نلتهب التهاباً والناظر إليها يحسبها ثريات زين بها جن الهاوية مسكنهم أكراماً لنا واحفلاً بقدومنا

فلما ابصرت تلك المناظر اخذني العجب فقلت للاستاذ لله ما أجل هذه المناظر وما أبدعها ألا ترى كيف أن هذه السوائل التجمدة تدرج من اللون الأحمر القاني إلى الأصفر الفاقع

فما زهر الرياض إذا تبدى بالهيج قط من تلك المرآئي
ولا قوس السحاب إذا تجلى ولا الأفار في كبد السماء
وكيف لا تندعش من هذه الكريات البلورية المنيرة فوق رؤوسنا كالبدور في منازلها والشموس في بروجها

فتبسم الأستاذ وقال الحمد لله اذراقت هذه المناظر في عينيك على أنها ليست بشئ في جانب ما ستره من العجائب إذا وصلنا إلى مركز الأرض وكانت طريقنا متجهة إلى الجنوب الشرقي بغاية الضبط لا تغرف يميناً ولا يسرة أما الحرارة فلم ترتفع إلا قليلاً جداً وبعد أن سرنا ساعتين نظرت إلى الترمومتر فرأيت أن الحرارة لم تبلغ إلا الدرجة العاشرة فاخذني العجب من ذلك ثم قلت لعل الطريق التي سلكناها كانت اقوية أكثر مما ظننتها وكان الأستاذ يسر زوايا الانحراف والانحدار في أثناء مسيره ويعلق نتيجة عمله على دفتر للملاحظات السابق الذكر بحيث يتوصل متى شاء إلى معرفة العمق الذي وصلنا إليه بغاية الضبط والدقيق

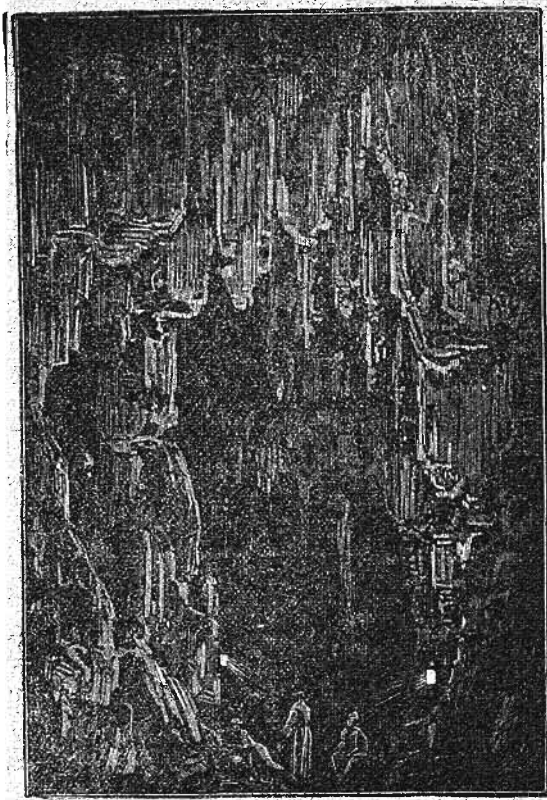
ولما جأت الساعة الثامنة بعد الظهر أمر الأستاذ بالوقوف وكذا إذ ذاك في محل أشبه بفقارة فعلقنا مضامينا على الجدران وجلسنا بالقرب منها وفي ذاك الوقت شعرت بنسيم لطيف يمر علينا فحجيت من ذلك ولم أعلم ما هو المحرك للهواء في ذاك المحل على أني لم أطل البحث في أمره لاني كنت في شدة من السغب وحاجة الى الاستراحة من التعب ثم أخرج هنس شيئا من الزاد ومدته على صخر من السوائل المتجمدة فاكلنا بقايلة لا مزيد عليها وكان معنا من الزاد ما يكفينا لمدة طويلة الا ان الماء الذي اذخرناه نفذ أكثره ولم يكن باقيا معنا الا مونة خمسة ايام وكان الأستاذ يؤمل ان يملا القرب من البتايح التي في قلب الارض فينبهته الى ذلك لانتا منذ دخولنا في جوف الارض لحد ذاك الوقت لم نجد للماء اثرًا

فقال الأستاذ هل في عدم وجود الماء ما يقضي بالعجب
قلت بل ما يقضي بالعطب

قال اطمن بالآ فاننا سنجد من الماء فوق ما نشتهي
قلت متى يكون ذلك

قال متى انتهينا من هذه القشرة المتخلقة عن السوائل البركانية ألا ترى كيف ان هذه القنأة طليت بها فكانت كالملاط لا ينفذ منها الماء
قلت اجل ولكن من الخجل ان هذه القشرة تنتهي الى عمق بعيد ونحن لم نزل فيها ارى على عمق الف قدم تحت سطح البحر او اكثر من ذلك بقليل
قال ماذا حلك على هذا الظن

قلت لو كنا على اكثر من هذا العمق لكانت درجة الحرارة فوق ما هي الان
قال ذلك لو صح مذهبك ولكن اي درجة بلغ زيتق الترمومتر
قلت هو على الدرجة الخامسة عشرة وكان على السادسة قبل دخولنا في
الدهليز فالزيادة ليست الاتسع درجات



فعلقتنا مضاجعتنا على الجدران وجلسنا (صفحة ٩٠)

قال وماذا تستنتج من ذلك
قلت ثبت بالتجربة ان الحرارة تزيد في جوف الارض درجة تحت كل
سبعين قدماً وقد يختلف هذا العدد باختلاف التربة من حيث صلاحيتها
لتوصيل الحرارة فقد تبين بالامتحان ان الحرارة في مدينة باكوست من مدن
سبيرييا تزداد درجة لكل ٢٦ قدماً واما اذا كان الحفر في تربة نيسية بجوار
البراكين المنطفئة فلا تزداد درجة الاربائة وخمس وعشرين قدماً فلتتخذ اذا هذا
المعدل الاخير قياساً از انه يصدق اكثر من غيره على الارض التي نحن فيها

قال افعل وقل في ما هو الحق الذي وصلنا اليه على زعمك
 فاخذت رقعة ورقمت عليها العدد ٩ وهو عدد درجات الحرارة التي زادت
 منذ دخولنا في الدهليز وضربتها في العدد ١٢٥ فكان المحاصل ١١٢٥ قدما
 واذا ذاك قرأها على سمع الاستاذ
 فقال اصبت في الضرب ولكن هيئات ان يصدق قولك
 قلت كيف ذلك
 قال نحن الآن على عتق عشرة الاف قدم تحت سطح البحر
 قلت اذلك ممكن

قال ان صح ان مجموع اثنين واثنين اربعة فحسابي صادق لا ريب فيه
 وكان حساب الاستاذ صادقا حقيقة فالحق الذي وصلنا اليه في ذلك اليوم
 يزيد ستة الاف قدم على ابعاد الاعماق التي توصل اليها الانسان من قبل كما جرم
 ريتزال في ولاية تيرول ومناجم وتبرج في ولاية بوهيميا وكانت الحرارة
 مع ذلك في الدرجة الخامسة عشرة بدلا من ان تكون في الحادية والثلاثين فداخلي
 الريب منذ ذاك الوقت في صحة مذهب القائمين بالحرارة الداخلية



الفصل الرابع عشر

لما جاء اليوم الثاني من شهر لوليو استأنفنا المسير وكانت طريقنا لم نزل
 هي منه من حيث الوجهة والانحدار والتركيب وعند الظهر انتهينا من القناة
 التي كنا فيها الى فسحة رحبة يفرع منها طريقان احدهما الى الشرق والاخرى
 الى الغرب فوقف هنس ريثا استعلم من الاستاذ عن ايها تتبع فاشار الاستاذ بيده
 الى الطريق الشرقية بدون تردد كأنه على معرفة تامة بها وذلك لكيلا
 يظهر على نفسه الرب امامي وامام الدليل على ان التردد لم يكن يفيد شيئا اذ
 ان كلتي الطريقين على شكل واحد وكلاهما ضيقة وليس من اثر او كثافة او

رسم يميز أحدهما عن الأخرى فلم يكن لنا أولى من الانتقال على التنادير وترك
 التعلق بجبال التدابير فسرنا على الطريق الشرقية وهي كالقناة الأصلية مطلية بالسوائل
 البركانية المتجمدة إلا أنها اضيق منها جداً حتى أننا في بعض الأحيان كنا ندب
 على الأرض دبيباً لقرب سفنها وكان أكثر مسيرنا تحت سلاسل من القناطر
 الطبيعية أو بين صفوف من العد المختلفة الأشكال كأننا في هيكل عظيم يمتد
 الجبارة الأول معاصرو الموتى والكركدن القديم وغيرها من الحيوانات المائلة
 التي لم يبق منها إلا الآثار

وبعد أن سرنا على تلك الطريق ميلاً أو أكثر أخذنا نحدارها بنحف شيئاً
 فشيئاً حتى صارت أفقية بجنّة وكانت الحرارة لم تنزل على درجتها الأولى لم تتغير
 إلا تغيراً خفيفاً لا يعبأ به ولما جأت الساعة السادسة بعد الظهر انمر الاستاذ
 هنساً بالقاء عصا التسيار كعادته عندما يتهار النهار على أن النهار والليل عدنا
 سيّان فما دامت مصابيحنا معنا فنحن في نهار دائم وإن المت بها عوارض التلف
 أمسينا في ليل لا صباح لئولما تناولنا الطعام التفت كل منا بعباء واضطجعنا للنّام
 آمنين من الوحوش الكاسرة والقبائل المتوحشة التي يخشى شرها على سطح
 الأرض وكذلك كنا لا نخاف البرد إذ أن الهواء في قلب الأرض ساكن مستمر
 على درجة واحدة من الحرارة ليلاً ونهاراً

وفي صباح اليوم الثالث من الشهر عدنا إلى المسير بهمة وعزم إلا أن الطريق
 صعب سلوكها وعثراتها جعلها إذ بعد أن كانت أفقية صارت ترتفع بالتدرج
 حتى صار المسير عليها منعياً وما جأت الساعة العاشرة إلا وقد استماني التعب
 فتأخرت عن الاستاذ بضع خطوات فنظرت إلى وقال بفروغ صبر مالك لا تتقدم
 قلت لقد أخذ مني التعب مأخذه وإدرك التعب غايته حتى كلبت

أعضائي ووهنت قواي ولم يعد لي طاقة على المسير

قال أهذا ما تقول بعد مسير ثلاث ساعات على طريق سهلة مخدرة كهذه



وكان أكثر مسيرنا تحت سلاسل من القناطر الطبيعية (صفحة ٢٢)

'قلت مهلاً أنت تقول مخدرة ولكني أرى أنها صاعدة وإذا استمرت على ذلك فلا يبعد أن نعود إلى سطح الأرض
قال لا بد من المسير ولأن تنتهي بك هذه الطريق إلى سطح الأرض
أحب إليك من أن تنتهي إلى قلبها ثم اعرض عني وإشاراً إلى هنس بالمسير فعلمت
أنه عارف بتغير الطريق ولكن غيظه من ذلك وعناده حملاه على المكابرة فكأنما
رأى الاعتراف بالخطأ زلة وحسب التردد مذلة على حد قول الشاعر
إذا اخترت من بين المذاهب مذهباً فإياك أن تعاض عنه بديلاً

وما عشت لا ترضَ التردد انه يعود به المرء العزيز ذليلاً
ولما لم يكن لي عن متابعته مندوحة سرت على حسب الامكان على اثر
هنس وكانت الطريق تزداد صعوبةً بازدياد ارتفاعها

ولما صار وقت الظهر اخذ النور المتكسر على الجدران يضعف انعكاسه
بالدريج فعلت اننا انتهينا من القشرة المتخلقة عن السوائل المتجمدة وتفرست
في الصخور التي حولنا فعلت انها من الصخور النارية وهي عديمة الحياة اي لا
اثر فيها للحياة والنبات على اننا لم نتقدم الا قليلاً حتى دخلنا في الصخور
المائية وهذه الصخور تكونت من حبات الصخور النارية وفتاتها بحك المياه وغيرها
لها وجرف الماء حكاكها الى حيث رسبت وتجمرت منضدة طبقة فوق طبقة حتى
بلغ سمكها اميالاً ولذلك يقال لها المنضدة كما يقال للنارية غير المنضدة فبينت نوع
تلك الصخور وانما هي من الصخور التي تعرف باللورنشية وهي الرتبة الاولى من
الصخور القديمة الحياة وما لبثنا ان دخلنا صخور الرتبة الثانية منها وهي الكبرية
فوجدت فيها اثار نبات بحري وحيوانات دينية الرتبة كالمرجان والأسفنج والحيوانات
الرخوة الصدفية وذوات القشرة وثقوب ديدان بحرية فاستدعيت لفقات الاستاذ
اليها لكي اثبت له اننا كلما توغلنا في تلك الطريق ابتعدنا عن قلب الارض
ولكن الاستاذ ابي الا المكابرة لشدة غيظه وعناده فلما اريته الاثار التي ذكرتها
والترتبة الطباشيرية المتكونة من مصداف الحيوانات والمرجان وبقايا حيوانات
اخرى قال وعلى اي شي يدل هذا

قلت على اننا بعد ان كنا في الصخور النارية صرنا في تربة الدور
الذي اجدها فيه ظهور الحيوانات والنبات على الارض وهذا يثبت ان طريقنا
صاعدة لا منحدرة

قال أظن ذلك

قلت لم يعد محل للرب فانظر بنفسك الى هذه المياكل المرسومة على الصخور

وتأملها .

فلم يكتمث بكلامي بل بقي سائراً الى الامام لا يلتفت يمينا ولا شمالاً ولا
اظهره الا اقتنع بصحة قولي ولكنه ابي الا التقدم اما من قيلول العناد فقط واما
لاجل استقصاء الطريق حتى آخرها

ثم بعد ان تقدمنا نحو ميل وانا اراقب تغيرات الصخور وآثار الدفائن التي
عليها رأيت انواعاً اخرى من الحيوانات التي لم تظهر الا في الدور الثالث للصخور
القديمة الحياة كشنق البجر والتوتيا و صليب البجر فعلت اننا في الصخور السيلورية
وذلك الدور كثر فيه انواع الاصداغ والابواق والمرجان وحيوانات اخرى
من الحيوانات الشبيهة بالنبات وفي اخره ظهرت الاسماك وهي ادفى ذوات
الفتحات رتبةً واما نباتاته فاعشاب بحرية من ادفى النبات رتبة وجراثيم نباتات
اعلى منها كالحطاب فاحذت بوقاً محفوظاً على حاله الاصلية وارجيه للاستاذ
فقال هذا البوق من نوع التريلوبيت اي المثلث النصوص وقد انقرض
الآن من عالم الحياة

قلت ألم نزل مرتباً في كوننا تجاوزنا الصخور النارية وصرنا في الصخور
المنضدة

قال من المحتمل ان اكون اخطأت في اتباع الطريق الشرقية ولكني لا
اقتنع بغلطى الا اذا بلغنا آخرها
قلت لولا ان ما اذخرناه من الماء على وشك النفود لما كنت اعارضك
فيما تنقل

قال ان كان ماؤنا قليلاً فستتصر في الشرب على القدر اللازم لحفظ الحياة
وكيف كان الامر لا بد لي من استقصاء هذه الطريق

فقلت انفسى لم يبق لي الا الرضى بالقضا وضرب الصفع عن التفكير فيما مضى
ما قد قضى بانفسى فاصطبري لى . ولك الامان من الذي لم يهدر

وتبقى ان القدر كائن حتماً عليك صبرت ايام تصبري
ولم يكن معنا من الماء الا مؤونة ثلاثة ايام فقط فلما جاء وقت العشاء
سكب الاستاذ لكل منا مقدار عشرة دراهم او اقل وفي اليوم الثاني عدنا الى
المسهر تحت سلاسل من القناطر لا نهاية لها وكانت الطريق لم تزل اقنية وهي
مخوفة على المجانين بصخور من الرخام والطباشير وعلى اكثر ذلك الرخام آثار
حيوانات دنيئة الرتبة الا انها اعلى رتبة من الحيوانات التي رأينا دفائننا في
اليوم السابق فكأنما كانت تلك الطريق تاريخ الحياة الحيوانية منذ ظهورها
فكنا كلما تقدمنا فيها خطوة نشاهد آثار حلقة من حلقات تلك السلسلة التي
اولها الاسفنج والمرحان واخرها الانسان

وفي اليوم التالي الذي هو اليوم الخامس من الشهر دخلنا بعد مسير ميل
واحد في الصخور الديفونية وهي الرتبة الرابعة من الصخور القديمة الحياة وفي
ذلك الدور تكاثرت انواع الابواق والاصداف والمرجان عما قبله واختلفت
عنها في التركيب فالحيوانات القشرية المشابهة للسرطين أبدلت بمجوانات كبيرة
الحجم هائلة المنظر يختلف طولها بين اربع اقدام وست ورأيت من آثار الاسماك
انواعاً عديدة بعضها مغطى بصفايح عظيمة والبعض الآخر بمجرأشف صلبة جداً
ولبعضها حسك كبير عظمي في رأسها لا اظنه الا آلة للهاجة والقتال وللبعض
الآخر رؤوس كالقروش او مدروع عظيمة محبة نقي بها سر الاول
وما زلنا سير بين الصخور الطباشيرية والرخامية وانا اراقب دفائن حيوانات
ذلك الدور حتى المساء فتغيرت هيئة التربة تغيراً يسيراً فبعد ان كانت تنكسر
عليها اشعة مصابيحنا بنور ساطع صارت قائمة اللون فاقدت من الحائط ولمسته
بيدي فاسودت فعلت اننا في منجم من الفحم الحجري وكنا قد انتهينا من الصخور
الديفونية الى الصخور الكربونية وهي صخور الرتبة الخامسة وهو الدور الذي تعاضلت
فيه الانهار واتسعت مصابيحها وكثرت فوائدها فحجرات التربة وكثرت الرطوبة واعتدل

الماء فكثير النبات واخصب حتى صارت اعشابه كالاشجار العظيمة في زماننا وكست سطح الارض فصارت غياضاً متسعة تكوّن منها الفحم الحجري وفي ذلك الدور تكاثرت الزحافات والاصداف والاسماك وتعاظمت جنبها وكثر هيجان البراكين واقلاب البحار وخسوف الارض وشخصها

وكان قد جاء المساء وحان وقت العشاء فاكلنا ولكن قليلاً مخافة ان يشتد بنا أوار العطش وما معنا من الماء لا يبرد غلة ظمآن ثم لعب النوم باجفاننا فاثقلنا وبرؤوسنا فثقلنا فاضطجعنا للرقاد على فراش شديد السواد كانا في حداد قضينا ليلنا في وسط ذلك المنجم وفي اليوم الثاني اى السادس من الشهر استأنفنا المسير قيل الساعة السادسة من الصباح وكنا جميعنا ملتزمين الصمت اما الاستاذ فلغبطه من بقاء الطريق اقية واما انا فلكدري من عناده وخوفي من نفوذ الماء واما هنس فلكون السكوت من طبيعته وكانت الحرارة باقية على الدرجة التي كانت عليها قبل خروجنا من مجرى السوائل البركانية واما طريقنا فكانت سهلة غير متعبة الا اني كنت متضايقاً بعض المضايقة من رائحة بي كربونات الهيدروجين المنبعثة من انجم الحجري ولو كانت مصابيحنا من المصابيح العادية لامتد الغاز المنتشر في ذلك المنجم واحداث تفرقاً هائلاً كما يحدث احياناً في المناجم التي يستخرج الفحم منها وكانت انضمت بقايانا الى دوائن المحبوبات التي عاشت قبل الانسان بلايين من السنين بحيث لو دخل احد ذلك المنجم بعدنا ورأى اثارنا لاتخذها دليلاً على ان الانسان وجد على الارض في الدور الكربوني

وقرب المصرتين لي ان لون الفحم اخلف عما قبل فانه بعد ان كان اسود حالكاً براقاً صار اسمر كالحما فتأملته عن قرب واذا هو لم يزل في حالة اللكيت الظاهر فيه كل بناء الخشب فاخذت فلذهمة بيدي وتفرست نيفه جوبصلاتها فانتفع لي انها من شجر المصنوبر فعلت انا دخلاً في صفوف الرتبة



فعلت انا في منعم من النعم المحجري (صفحة ٢٧)

السادسة من الصخور القديمة الحياة وهي المعروفة بالبرمية وذلك الدور هو آخر
ادوار الصخور القديمة الحياة

وبينما انا غائص في بحار الافكار الجيولوجية اناأمل في كيفية تحليل النعم
المحجري بفعل الطبيعة وانعجب من عظم اتساع ذلك النعم الذي لم تنظره عين
الانسان من قبل وقف الاستاذ وهنس عن المسير فاستبهرت لوقوفها وانا نحن
في آخر القناة وبعد البحث تحقق الاستاذ ان طريقنا مسدودة لا منفذ لها فقال
وقد علا وجهه بعض الخجل الان طاب لي الرجوع فقد ايقنت اني لست على

الطريق التي اتبعها سكتوسيم فليس لنا الا ان نرجع على اعدائنا وبعد ثلاثة ايام
 نكون في مجمع الطرق فتتبع الغربية منها وهي توصلنا الى قلب الارض
 قلت هذا اذا بقي قوتنا قدرة على السير او مسكة من الحياة
 قال وما تخاف وماذا عسى نخشى

قلت غداً لا يبقى عندنا من الماء لا قليل ولا كثير
 فنظر اليّ شزراً وقال . أو ما يبقى عندك ايضاً شيء من الشجاعة
 فلم اجسر على المجاورة وكان قد جاء وقت العشاء فتناولنا الطعام بنفس
 متقبضة وصدر ضيق ثم اضطجع الاستاذ وهنس فنسيا اتعابها بالنوم وإما انا فلم
 يغمض لي جفن حتى الصباح



الفصل الخامس عشر

لا ارى لزوماً للاسهاب في الكلام على الاتعاب التي فاسينهاها في رجوعنا
 بل اقول بالاختصار اننا كنا نصل سرى الليل بسير النهار خوفاً من ان
 تدركنا المنية قبل وصولنا الى الطريق الغربية حيث علمنا بالامال بوجود الماء
 على ان زيادة التعب زادت عطشنا وكان ماؤنا قد نفذ في آخر اليوم الاول فامتنعت
 عن الاكل واستولى عليّ اليأس وانحطت قواي فصرت اجر نفسي بكل عناء وانا
 آيس من الحياة وكان الاستاذ يشجيني بالكلام ويجهد نفسه في احياء بعض
 الامل في فؤادي وكان هو نفسه في ضيق عظيم من شدة العطش والتعب
 الذي انهك قواه الا انه كان يتجلد مظهرآ من الضعف قوة وإما هنس فكان
 يسير لماننا صامتاً كما دته لا يعرف للشكوى مذاقاً ولا يدري للألم طعماً
 استوت عنده الامور وامسى عنده السهل والسعاب سواء

وما زلنا نغالب العطش والتعب حتى وصلنا في صباح اليوم التاسع من
 الشهر الى ملتقى الطرق وكنت على آخر رفق فسقطت على الارض كالتفيل وقد

طاب الموت في عيني فخلصنا من المذاب الذي كنت فيه اما الاستاذ فبعد ان تناول شيئاً من الطعام مع هنس تقدم الي واخذني بين ذراعيه والى علي نظرة ملائمة شقة وحنوا وكنت اعلم انه منزله عن التخليق فعرفت انه لم يظهر ما اظهر من الشقة الا بعد ان طلع فواده محبة فادر كني هزة حركت اليه جوارحي فاخذت يديه يدي المرتجعتين ونظرت اليه وانا غير قادر على الكلام فاغرورت عيناه بالدموع ثم اخذ السقاء عن جنبه وادناه بعد فك وكائه الى في وقال اشرب وكان قد حفظ تلك الجرعة من الماء لمثل هذه الساعة فشرتها بلذة لا يقوم القلم بمق وصفها فاتعش فوادي ورجعت الي قواي فوقعت على يدي الاستاذ اقبلها شاكراً لانه صنيعة لاننا كنا كلانا في حالة واحدة من العطش الا انه اقوى مني على الصبر واقدر على التجلد فبدلاً من ان يبرد غليل ظاه بتلك الجرعة جاد علي بها فكأنما جاد علي بروحه

وكان قد انطلق لساني فقلت للاستاذ لم بعد لنا الان الا الرجوع على اعتنا سريعا لعلنا نبلغ فوهة البركان وفيما بقية رمق فحول الاستاذ وجهه عني بينما كنت احاطبه وصار يتعاشي ان يقع نظره على نظري فكررت عليه الكلام بالحاح فاطرق برهة ثم نظر الي وقال كنت آمل ان الجرعة التي استيتك اياها تحيي فيك النخوة والشجاعة فما رأيك الا ارددت ضعفاً وبأساً

فجمعت من كلامه لاني ما كنت اظن انه يمانع في الرجوع بعد ان صار هو نفسه على شرف الهلاك من شدة العطش وقلت له ألم تزل مصما على التقدم في جوف الارض بعد ان صرنا على الحالة التي نحن عليها قال عمرك الله يا اكسيل ماذا تقصد بهذا الكلام أتريد ان اعدل عن هذه الرحلة بعد ان صرت على يقين تام بنجاحها

قلت حياتنا رهن اشارتك فان كان لا بد لك من التقدم فاعلم ما تريد ولكن اعلم انك انت الذي قضيت علينا بالموت



فشرتها بلذة لا يفوم القلم بحق وصفها (صفحة ١٠١)

قال معاذ الله ان استصحبك كارهاً فعد مع هنس ودعني وشأني فاني قد
آليت أعلى نفسي ان لا اعود من هذه الرحلة ما لم أتمها
فنجيت من قوة عزيمته رشدة صبره على الشدائد ووقفت حائراً متردداً بين
الرجوع الذي كانت تدفعني اليه احكام الطبيعة قانون التثبيت بالحياة وبين
البقاء معه الذي كانت تقتضيه واجبات المروءة والولاء الا ان الرجوع كان
عندي ارجح الكفتين واغوى الاحتمالين
اما هنس فكان واقفاً ينظر الينا بسكونه المعتاد ويسمع محاورتنا بسكينة

الله يهده غير مكترث بما يؤول اليه الامر مستعداً للاقبال والاحكام بحسب اشارة
 الاستاذ فكانه ليس يدي شأن في المسألة او كان حياته ليست عنده بشي عفتقدت
 اليه واخذت يده بيدي فتركي 'فعل فاشرت له الى فوهة البركان قائلاً هذه
 هي الطريق لا طريق الاهبه فاشار الى عي قائلاً هوذا صاحب الامر فاخذتني
 المحدة وقلت له وبمك أعلى حياتك هو صاحب الامر يا مغفل ام انت تجهل
 ابي حالة نحر فيها من الخطر الا تعلم انه لا مناص لنا من الموت ان واقده على
 غبه الا ترى ان العناد قد اعنى بصيرته فهو لا يعقل ماذا يفعل فاعلم انك اذا
 جاريه ترتكب انما فظيماً وحيواً كبيراً اذ تكون انت الجاني على نفسك وعليها
 فيها بما ترجع به رغما عنه

الله في ارواحنا ياهنسُ ولى الرجاء ونولى اليأسُ

فعد بنا فقد ازيل اللبسُ وان تفض ياهنس منا النفسُ

لا طلعت من بعد ذاك شمسُ

ثم جذبه بيدي فبقى ساكناً ساكناً ~~كله~~ صخر اصم

واذ ذاك تقدم نحوي الاستاذ قال دع عنك هذه المحدة يا اكسيل واصغ
 لكلامي فانك لن تتال شيئاً من هذا الرجل الامين فملت بجانبى نحوه مصغياً
 فقال اعلم يا هداك الله انه ليس من مانع يحول الان دون بغيتنا الا الماء
 فان كالم نر منه نقطة واحدة في الطريق الشرقية بين المواد البركانية والصخور
 الكلسية وطبقات الفحم الحجري فليس في ذلك ما يقطع باننا لا نصادف منه بقدر
 ما نشتهي في الطريق الغربية

فاوامات براسي بمعنى اني غير موئل ذلك فاستطرد الكلام قائلاً اعلم اني
 بينما كنت انت منطرحاً هنا على الارض فاقد الشعور توغلت قليلاً في هذه
 الطريق استكشف تربتها واستطلع تكوينها فرايتها تتخلل الصخور الاصابة
 وهي شديدة الانحدار فاذا اتبعناها لا نسير الا بضع ساعات حتى نبلغ منطقة

الصخور الخفية حيث لا بد من وجود بتايغ غزيرة فان طبيعة تلك الصخور تستلزم وجود الماء وقلبي دليلي على ذلك

ثم اردف كلامه قائلاً اذكر ان خريستوف كولومب لما كان يبحث على العالم الجديد وطلب رجاله الرجوع الى بلادهم لشدة الضيق الذي كانوا فيه والامراض التي استولت عليهم سالم مهلة ثلاثة ايام فاجابوه الى طلبه وفي خلاها اكتشف قارة اميركا اما انا مكشف هذه الارض الجديدة فلا اسالك الا يوماً واحداً فاذا انقضى ولم نجد ما نبتغي اعود معك الى حيث تشاء

* فلما رأيت عمي يقابل شدي برخاء ويلتقي زعزعي برخاء ويعاملني باللين الذي لم يكن في طبيعته رق لة قلبي رغما عن الحدة التي كانت مستولية عليّ قلت لة لك ما طلبت واني أسأل الله ان يحقق املك

ثم تقدمنا الى الطريق الغربية يتقدمنا هنس بمسب عادته ولم نتعد مائة خطوة حتى دنا الاستاذ من حائط السرداب وقال هنا تبديء التربة الاصلية فدنوت منه وانعت النظر في الصخور فتأكدت صحة قوله وكنا اذ ذاك في طبقة صخور الشبست اولى الطبقات الثلاث المركبة منها التربة الاصلية وهي منضدة ركاماً على ركام تلالاً بين الاخضر والازرق كعتق الحمام بتخللها خيوط من النحاس والمنغيس والذهب والبلاطين وكنا ندوس بارجلنا تلك المعادن ونطأها بنعالنا اذ هي على ارتفاع قيمتها العزفية التي قدرها لها الانسان تسهيلاً للمبادلة التجارية عديمة القيمة عندنا اذ ذاك وجرة من الماء كانت خيراً لنا منها وما اصدق من قال

والنهر كالنهر ملقى في اناكه والعود في ارضه نوع من الحطب

والله در من يقول

احب لقله الظان يوماً مسيل الماء من سيل النصار

ولبعد قليل انتهينا من صخور الشبست الى طبقة التيس المناسبة بتناسب

صفائحها وانتظامها الهندسي ثم الى الميكانيست الذي يدهش البصر بتناصع بياضه
ولم نزل نسير حتى الساعة السادسة بين تلك الصخور المبلورة كأننا نسير
في قلب ماسة مجوفة أو كأننا في قصور الجنة الا انه نضب كونها ثم تغيرت
هيئة الصخور تغيراً بديعاً وضعف انعكاس النور عليها وكنا قد دخلنا منطقة
الصخور المحببة اصلب الصخور واقواها

ولما حانت الساعة الثامنة من المساء اعياني التعب واشتد في العطش ولكنني
لم اظهر شيئاً على نفسي اسفاقاً على الاستاذ من ان يضطر الى الوقوف فيستولي
عليه اليأس لاقضاء المهلة التي طلبها بدون ان يجد شيئاً من الماء غير اني بعد
ان تجلدت ساعة غلب عليّ التعب والأين حتى لم اعد قادراً على ثقل رجلي
كأننا ادركني حين الحين فصرخت صرخةً وسقطت على الارض فاقد القوى
فاثني نحوي الاستاذ ووقف يتألمي برهة وعلاناً الحزن ظاهرة على وجهه ثم
قال بصوت الآيس قطع الرجاء وفي ذاك الوقت غبت عن الهدى ولما عاد اليّ
رشيدي رأيت عمي والدليل مضطجعين على قيد رمح مني ملتقاً كل منهما بعباء فلم
ادرهما في بقطة ام في منام لما انا

فكان التمس عن عيني بعيداً وكان مجافياً للنوم جفني
وكيف ينام من يرى شخص الموت قادماً اليه ما يملأ بين عينيه وقد صدق
عمي ان قال قطع الرجاء لاني في الحالة التي كنت فيها من الضعف لم أكن
قادراً لا على التقدم في قلب الارض ولا على الرجوع الى سطحها
وكان فوقنا من القشرة الارضية سمك ثلاثة اميال فخيّل لي انها متعاملة
على نحري بكلكها مرتكزة على صدري بكل ثقلها وكنت اجهد نفسي لكي اقلب
من جنب الى اخر فلا استطيع حراكاً وبينما انا في تلك الشدة قام هنس من
منجعه واخذ المصباح بيده وسار في الدليل حتى توارى عن عيني فاضطربت
وجلاً لذهابه وحسبت انه تركنا فاصداً الرجوع الي سطح الارض وكان الاستاذ



كاننا نسير في قلب ماسية مخوفة (صفحة ١٠٥)

لم يزل راقداً فاردت ان اوقظه ولكن لساني العجم عن الكلام فصرت انادي
ولا اسمع لصراخي صوتاً فكنت كمن ينادي في حلم غير اني بعد برهة تعقلت الامر
فحجبت لسؤ ظني في ذلك الرجل الذي لم تر منه حتى ذلك الوقت الا الامانة
والولاء ثم فطنت الى انه توجه نحو قلب الارض فلم يبق عندي محل للريب في
امره اذ لو كان قاصداً الرجوع لذهب الى الورا وليس الى الامام

الفصل السادس عشر

بعد ذهاب هنس اخذت افكر فيما عسى ان يكون السبب الذي حمله على الانسلاخ تحت حجب الدجى فترجع عندي بعد الاخذ والردائه مع هدير يسوع من الماء في ذلك الليل الهادي فذهب يستقصيه

وبعد ان مضى على ذهابه ساعة قضيتها بين عالمي اليأس والامل سطع نور مصباحه في اقصى الدهليز فرائده مقبلاً على عجل فتوسمت في ذلك خيراً وما زال نظري يرافقه حتى وصل الى الاستاذ وايقظه فقال له عي خيراً يا هنس فهل من شيء حدث

قال نعم ما سمعت هديره

فلما سمعت تلك البشرى زالت في الحال اوجاعي وانطلق لساني قائلاً

يا هنس بشرت بخير دان وعدت باليمن وبالامان
احييت في نفوسنا الاماني شكر المسعك مدى الزمان
بالقلب يا هنس وباللسان

ثم وثبت نحو الدليل واخذت يديه بيدي وجعلت اشكره سعيه واجتهاده وكان الاجدر بي ان اطلب عفوه جائئاً على ركبي لاساقى الظن به بيما كان يسعي في سبيل اتقادي من الهلاك ولكن انجبل معني من ذلك

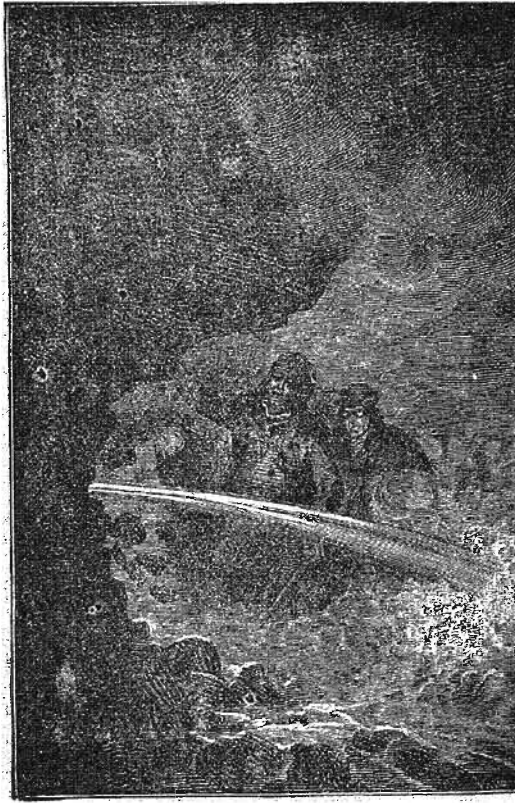
ثم سأله الاستاذ ايان يوجد الماء فاشار يده الى اسفل الدهليز فانطلقنا في الحال على اثره ونحن لا نصدق بالنجاة وبعد ان سرنا ميلاً سمعت نوباً بعيداً في قلب الصخور التي تغلها الطريق ثم اخذ ذلك الدوي يزداد بالندرج بتقدمنا حتى صار كهدير البحر الزاخر فقال الاستاذ نعم هذا صوت نهر غزير يجري في قلب هذه الصخور القائمة حولنا ثم اخذنا نجد السير وقد احبى الامل قلوبنا رجاء ان نثر على مصبه او نهتدي الى منبعين منه فنبتع الصدى ونكون قد وجدنا على الصوت هدى

اما النهر فبعد ان كان يجري فوق رؤوسنا تحول الى يسارنا وقرب منا
مجره حتى لم يعد بيننا وبينه الا حاجز من الغرايت سمكه قدمان او ثلاث
فصرت امرّ يدي على الحائط حيناً بعد حين على امل ان اصادف صخرًا راسيًا
فارطب بنداه لساني ولكني لم اجد للماء عيناً ولا اثرًا

ثم سرنا ميلاً آخر بدون ان نصادف الماء فعلمت ان الدليل لم يتجاوز في اثناء
غيبته المحل الذي وصلنا اليه بل قفل راجعاً حالماً بتحقيق ان الدوي الذي سمعته
هو هدير ماء وبعد برهة تبين لنا ان الطريق اخذت تبعد شيئاً فشيئاً عن
مجرى النهر فرجعنا على اعقابنا الى ان وصلنا الى المحل الاقرب من صوته واذ
ذاك دنا هنس من الحائط ووضع اذنه على الصخر واخذ يبحث عن النقطة التي
يسمع منها هدير الماء اقوى مما يسمع من غيرها ولم يكن كحل عقال حتى اهتدى
اليها وهي في الحائط الايسر على علو ثلاث اقدام من الارض

وكنت في اثناء ذلك اراقب عمله غير عالم بما يقصد ولكني لم البث ان
فطنت الى مراده وذلك لما رأيته عمد الى المعول فايقنت ببلوغ الامال ثم ضفك
بنحت الصخر نحتاً بضرب خفيف متواصل حذراً من ان يتكسر فتتطبق علينا
صخور الدهليز بما فوقها من طبقات القشرة الارضية فتسحقنا سحقاً او ينفتح في الحائط
فوهة كبيرة فيتحول النهر الى الدهليز فنضطر الى الشرب فوق ما نشتهي على انه
كان يخيل لي اذ ذاك لشدة ما بي من الظاء اني قادر على شرب ماء النهر
باجمعها مما كان غزيراً

ولم يمض ساعة من الزمن حتى بلغ عمق الثقب قدمان وانساعه بضع
اصابع وكان صوت الماء يزداد قوة بالتدرج على اثر الضرب وبينما نحن على
ذلك واذا بصوت كصغير الخلقين البخارية خرج من الصخر وانجيس الماء
على اثره بشدة فوقع على الحائط الامين وكاد يلقي هنساً على الارض بقوة اندفاعه
فصقت قائلاً



والبحس الماء على اثره بشدة (صفحة ١٠٨)

يعيش هنس ويرقي أوج السعود ويبقي
ولا يزال دوماً يسعى لخير ويلقى

وفي الحال مددت راحتيَّ لآخذها من الماء ما ابرد به غليل الظاء
ولكنني اضطررت الى ارجاعها صفراً لان الماء كان في درجة الغليان وبعد دقيقة
تعيج السرداب من البخار وجرى الماء جدولاً يتعرج بين الصخور منساباً انسياب
الافعى فاخذنا منه شيئاً وشرعنا نبرده بتفريغه من ركوة لشكوة وريثاً صارت
حرارته في الدرجة الخمسين اخذنا نعب عباً كالحبال حتى اكفينا فاثمشت

أرواحنا بعد أن كانت تزهى وأشرحت صدورنا بعد ما استسكنت أن تترقى من
الحرج فصرنا نخرج ونضحك ثم قدمنا لهنس فروض الشكر وتوافقنا على تسمية ذلك
المجدول باسمه فدعي منذ ذاك الوقت بمجدول هنس

وبعد ذلك جلسنا تناول الطعام وكنت قد اعطمت عنه منذ ثلاثة أيام
فاكلت بمنايعة بل بشراهة عظيمة ولما اكتفينا قلت للاستاذ يجب علينا الآن
أن سد الفوهة التي فتحناها لكي يكون لنا مخزن من الماء نعود إليه وقت الحاجة
فقال لا أرى لذلك لزوماً لاني اظن أن هذا الينبوع دائم لا يتقطع

قلت دعنا نفعل ذلك احتياطاً فما المحاذير بخاسر وليس في الاحتراز من
باس

ثم ملأنا القرب جميعها وشرع هنس بمحاول سد الفوهة ولكنه لم يتمكن من
ذلك لقوة اندفاع الماء فلم يزل إلا احراق اصابعه

فقلت للاستاذ يظهر من شدة الضغط الذي على الماء أن سطحه عال جداً
قال لا شك في ذلك فإن كان منبعه على مساواة سطح الأرض فيكون علوه
اثنين وثلاثين ألف قدم وقوة ضغطه تعادل قوة ضغط ألف جلد
ثم قال دعنا من هذا فقد خطر ببالى امر حري بالانقذات
قلت هات

قال أرى أن سد الفوهة هو عين الغلط لاننا اذا نفد الماء من قربنا ولم
نجد ينبوعاً آخر غملاً بها منه لا يمكننا الرجوع الى هنا لاننا نكون اذ ذاك على بعد
عشرة أيام من هذا المحل فالاولى أن تترك المجدول جارياً امامنا فانا نتهدي به
الى طريقنا ونستقي منه وقت الحاجة

قلت بارك الله فيك يا عمه ونعم الرأي رأيك فوالله ان كان هذا المجدول
مؤنباً لنا في رحلتنا فلا بد من نجاتها

فتبسم الاستاذ فرحاً لما رأيته قد نبتت عن قلبي اليأس ووقفت بالتحاح



فيونسنا بهديره ويطربنا بجزيره (صفحة ١١٢)

وقال هكذا احب ان اراك
ثم تأبطت قربي استعداداً للسير فقال مهلاً يا اكسيل ماذا تفعل فان
النهار لم يطلع بعد ونحن في حاجة الى النوم
وكنت قد نسيت الوقت فنظرت الى الكرونومتر وعلمت اننا في الساعة
الثالثة بعد نصف الليل فاضطجعنا للرقاد منشرحي الصدر مرتاحي البال
ولما استيقظت من نومي في اليوم الثاني عجيت في بادئ الامر من زوال
عطشي لاني كنت قد ألفت الظاء في الايام الاخيرة كما يألف السقم السقيم غير

اني لم البث ان انتهت لخرب الماء فتذكرت ان ايام الشدة انقضت فانتصبت على قدمي بنشاط وجعلت انتقل فوق الصخور التي تغلغل مجرى الجدول وانا منشراح الصدر منبسط الوجه وكنت ارى نفسي خفيف الجسم قوي العزم علي الهبة فلودعاني الاستاذ اذ ذاك الى الرجوع على اعتابنا لعارضته اشد المعارضة وافرشت جعبة البراهين في سبيل افنائه بوجوب اتمام الرحلة على انه لم يجوزني الى ذلك بل ريثما تناولنا الطعام امرهنساً بالتقدم وسار على اثره فتبعتهما والسرور ملء فوادي

اما الطريق التي سلكتها في ذلك اليوم واليوم التالي فتكاد تكون افقية الا انها كثيرة الاعوجاج والانحراف ومرجعها الى الجهة الجنوبية الشرقية وكان عمي لا يزال يراقب انحدار السطوح وانحرافها ويعاين نتيجة حسابه على الدقة المخصصة بذلك وكان جدول هنس بصحبنا فيونسنا بهديره ويطربنا بخبره فيخيل لي اني اسمع صوت مناجاة الارواح التي تأهل المياه

كان خرب الماء يجري على الحصى وقد نشر المليل البهم جناحه وخيم فوق الارض والارض بلفح مناجاة ارواح أهلن صفاحه ولما جاء المساء مساء اليوم العاشر من شهر لوليو راجع الاستاذ حسابه فتبين له اننا على عمق خمسة وثلاثين الف قدم تحت سطح البحر وعلى بعد اربعين ميلاً من ريكيابوك الى الجنوب الشرقي

وفي صباح اليوم الحادي عشر من الشهر اخذت الطريق تزداد الانحدار اشيقاً فشيئاً حتى كادت تصير عمودية فصرنا تارة تدرج الى الامام ونحن نتوكأ على عصينا وطوراً تندلى بواسطة الحبل بالكيفية التي ألفناها وكنت قد تعودت التدلي فيما مضى فلم اصادف في ذلك اليوم صعوبة لا سيما ان التسم الاكبر من الطريق على شكل لولب فكنا نسير عليها بسهولة كأننا نسير على درج بمتة الجبارة الاوائل بالمجادل وما جاء اخر النهار الا ونحن على عمق عشرة اميال تحت سطح

البحر

ولم نزل طريقنا على الدرجة نفسها من الانحدار او ما يقاربها حتى اليوم الخامس عشر من الشهر فاخذ انحدارها يقل حتى صارت بين الاقنية والعمودية ولما جلسنا للغداء في وقت الغداة اخبرني الاستاذ اننا صرنا على بعد خمسين ميلاً من ريكيماويك فقلت له ان صح حسابك فلم نعد تحت جزيرة ايسلاندا

قال انظن اننا الان تحت الاوقيانوس

قلت ستتحقق من ذلك ثم اتيت بالخارطة واخذت قياس الخمسين ميلاً بالبيكار وقست تلك المسافة من ريكيماويك الى الجنوب الشرقي فأتضح لي اننا تجاوزنا راس، بورتلند وصرنا تحت مياه الاوقيانوس

ولما اخبرت الاستاذ بذلك اهتز طرباً وقال اذن نحن الان تحت البحر تسير فوق رؤوسنا السفن وتصادم الامواج وتلاعب الاسماك

اما انا فاخذني القلق لما تبقت اني اتجول تحت مياه الاوقيانوس على انه في الحقيقة لا فرق بين وجودي تحت الجبال او تحت المياه ازا كان الدهليز متيناً اما اذا خسف سطحه تحت الثقل فالموت واحد سواء كان سحاً او غرقاً ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تنوعت الاسباب والموت واحد

ثم تذكرت ان في مدينة نيوكاستيل مناجم من الفحم الحجري تمتد تحت البحر الى مسافة بعيدة والناس مع ذلك تدخلها بلا خوف وتستخرج الفحم منها فسكن جاشي واطمان بالي

وفي مساء اليوم التاسع عشر من الشهر وصلنا الى مغارة فسيحة وكان ذلك اليوم يوم سبت فقد استاذ هنساً ثلاثة ريلات بحسب الشروط المبينة بينهما ونواعدنا على ان نقضي نهار الاحد في ذلك المحل لاننا كنا في اشد الحاجة الى الراحة



وطورًا تندلى بواسطة الحبل بالكيفية التي انشاها (صفحة ١١٣)

الفصل السابع عشر

من لم يزل يذكر عهد المدرسة وما يلحق الصبيان من الفرح عندما ينضم
رئيسها يوم اجازة غير معتادة يمكنه ان يتصور مقدار ما المي من السرور وقت
ما سمعت بشرى الاستاذ بالانقطاع عن المسير في اليوم التالي فتمت في تلك الليلة
جزلاً منشرح الصدر لاني كنت في اشد الحاجة الى الراحة اذ اننا منذ دخولنا
في جوف الارض لم نتقطع يوماً واحداً عن المسير ولما جاء الصباح اخذت اقمجول
في المغارة التي كنا فيها وهي فسيحة الجوانب عالية السقف مسطحة الارض وفي

وسطها جدول هنس يستل استلال الافعوان وقد بردت مياهه لبعده المسافة
بين منبعه والمفارة

ثم اخذت اتفكر في كيفية تكوين السرداب الذي سرنا فيه كل المدة
الماضية فقلت من المعلوم ان الارض كانت ملتهبة فلما بردت قشرتها لكثرة ما
اشعت من الحرارة انكمش جسمها واخذ في الصغر محجها فتباعدت اجزاؤها من
جهة وتقاربت من جهة اخرى فحدث فيها شقوق عديدة صارت تنبعث منها
المواد البركانية التي كانت تقذفها الحرارة الداخلية وما الذهبيز الذي نحن فيه
الا واحد منها على اني عجيت كيف ان السوائل البركانية لم تترك اثراً على
جدران القسم الاسفل منه كما فعلت في القسم الاعلى وبينما انا في وادي التفكير
اجوب واجول وارسل رائد التأمل بين عرضه والطول دعاني الاستاذ لتناول
الطعام وما فرغنا من الأكل حتى اخرج دفتر الملاحظات اليومية من جيبه وقال
يجب عليّ الان ان اعين النقطة التي نحن فيها بغاية الضبط والدقة لكي يمكنني
بعد رجوعي ان ا رسم خارطة الطريق التي سلكناها والحتمها بالكتاب الذي
ساحرره في شرح رحلتنا هذه

قلت سيكون هذا الكتاب جليل الفائدة ولكن هل تكون تلك الخارطة
على جانب كافٍ من الصحة

قال نعم فاني قد اخذت قياس كل انحدار وكل انحراف في الطريق منذ
خطونا فيها الخطوة الاولى وانا واثق بصحة تلك القياسات
ثم نظرا الى الالة المغنطيسية وبعد ان حرر بعض ارقام بوجه السرعة قال
نحن الان على بعد واحد وثلاثين فرسخاً من قاعدة جبل اسنيفل الى الجنوب
الشرقي وعلى عمق ستة فراسخ من سطح البحر

فقلت وقد اخذني العجب أعلى عمق ستة فراسخ نحن الان

قال نعم

قلت ستة فراسخ ثمانية عشر ميلاً هاشمياً
قال ثمانية عشر ميلاً هاشمياً وإن شئت قل خمسة وثلاثين كيلومتراً أو
مائة وخمسة آلاف قدم

فبقيت شاخصاً الى الأستاذ ولوايح الدهشة ظاهرة على وجهي
فقال مالك

قلت انن قد تجاوزنا اقصى الحدود المقررة للقشرة الارضية
قلت هذا ما لا ريب فيه
قلت وكان من الواجب بناءً على مذهب القائلين بالتهاب قلب الارض
ان تكون الحرارة هنا على درجة الف وخمسمائة
قال كذا لولا ان ذلك المذهب فاسد
قلت وإن تكون هذه الصخور التي حولنا ذائبة
قال ها قد رايت رأي العين فساد هذا المذهب وكيف ان الحوادث جآت
بحسب العادة مكذبة اقوال العلماء

وكم زاعم ان الحقائق خفيت لديه ويأبى الدهر تصديق زعمه
فيجب ان الحق لم يعد رايه ويرجع عنه بعد حين برغمه
قلت لم يعد لي سبيل الى المناضلة والانكار ولكي لا ازال متعجباً مما ارى
قال من يعشيراً ما لم يكن في الحساب فكم درجات الحرارة الآن
فنظرت الى الترمومتر وقلت سبع وعشرون
قال ليس الفرق بين الحقيقة واقوال العلماء الا ١٤٧٣ درجة فقد اتضح
لك اذن يا اكسيل ان مذهب تدريج الحرارة فاسد وان هنري ديفي لم يغلط في
حكمه واني لم اركب متن الشطط بموافقتي لرأيه فبما نأحيب
قلت قطعت جبهة قول كل خطيب
وكنيت في الحقيقة متعجباً غاية العجب مما رأيته لاني كنت ابعد الناس عن

الاعتقاد بصحة مذهب ديني وبعد ان فكرت في الامر برهة قلت في نفسي لم لا
يجوز ان تكون التربة التي نحن فيها ليست كغيرها وما المانع من ان تكون لها
احوال خصوصية من حيثية التركيب بحيث لا تنفذ منها الحرارة على اني لم ابد
ذلك الفكر خوفاً من ان يعده الاستاذ من قبيل المكابرة والمقاومة في الحق الواضح
ثم قلت له اني معتقد كل الاعتقاد بصدق حسابك فاسمع لي ان ابني
عليه حكماً بهما النظر في امره

قال قل ما يدالك

قلت ان نصف قطر الارض في المنطقة التي نحن فيها منطقة ايسلاندا
يلغ نيافاً وسبعة ملايين قدم

قال سبعة ملايين وستة وثلاثين الفا وبضع مئات

قلت قل سبعة الاف كيلومتر

قال ابني

قلت من اصل السبعة الاف كيلومتر تجاوزنا خمسة وثلاثين

قال نعم

قلت بعد ان سرنا مائة وستة وثمانين كيلومتراً اقلياً

قال نعم

قلت وذلك في مدى عشرين يوماً

قال ابني

قلت فالمسافة التي قطعناها ليست الاجزاء من مائتي جزء من نصف

قطر الارض فاذا استمررنا على المسير بهذه الكيفية لا نبليج مركز الارض الا بعد

اربعة الاف يوم اي احدى عشرة سنة تقريباً

فاطرق الاستاذ واحجم عن الجواب

فاردفت كلامي قائلاً وهناك ملحوظ اخر جدير بالانفات وهو اننا اذا كنا لا

تتعق فرسحاً الا بعد ان نسير مسافة خمسة فراسخ افقياً فسفخرج من دائرة الكرة
الارضية قبل ان تبلغ مركزها بزمان طويل
فاخدم الاستاذ غيظاً وقال بمجدة شديدة ما هذه القياسات الكاذبة
والاستنتاجات الفاسدة والسفسطة العمياء والحجاجة الشنعاء او ما انت الذي كنت
قست الطريق التي نحن فيها بالطريق الشرقية وطلبت الرجوع الى ظاهر الارض
فاثبت ان كذبتك العيان وليس بعده برهان
قلت بلى

قال ومن اين علمت اننا لا نصل قريباً الى طريق عمودية تنتهي الى مركز
الارض على خط مستقيم على انه قد سلك هذه الطريق رجل قبلي وانتهى منها الى
قلب الارض وانا سائر على اثره فلا بد لي من ان افوز بالنجاح كما فاز هو من قبلي
قلت ذلك ما ارجوه غير انه يجوز لي
فقطع كلامي قائلاً لا يجوز لك الا السكوت متى اردت ان تأني بمنزل
هذا الهذيان

فعلمت ان عني على وشك الظهور بمظهره المعهود ووقفت منه على حذر
ثم بعد ان سكنت برهةً نظر اليّ وقال على اي درجة ترى المانومتر
قلت على درجة عالية جداً
قال ألم تر كيف اننا نعودنا بالتدرج استنشاق الهواء الكثيف وانا اناشدك
الله يا اكسيل هل تجد نفسك تشكو من هذا الهواء ضرراً
قلت لا اللهم سوى بعض الالم في الاذنين
قال ذلك لا يعباء به ويمكنك ازالة هذا الالم بسرعة التنفس بحيث لا ينحصر
الهواء في صدرك طويلاً

وكنت قد آليت على نفسي ان لا اعارض الاستاذ في شيء فقلت اجل
واني لواجد لذة في الاقامة في وسط هذا الهواء الكثيف ألا ترى باي قوة يتنقل

فيه الصوت

قال بلى واطن ان الرجل الاصم اذا اقام هنا زمناً يسيراً يعاوده السمع
فقلت في نفسي بل اظن ان الرجل الصحيح يصيبه الصم بعد مدة ثم قلت
بصوت عالٍ لا بد ان هذه الكثافة لا تزال تزداد شيئاً فشيئاً كلما اقتربنا من
مركز الارض

قال نعم ولكن ثقل الاجسام يخف بالتدرج ايضاً فانك لا تجهل ان
الثقل ليس الا نتيجة فعل الجاذبية في الاجسام وذلك الفعل يبلغ اشد قوته على
سطح الارض ويتلاشى تماماً في مركزها حيث لا ثقل للاجسام البتة
قلت نعم كما انه لا ثقل لها في المنطقة المحيطة بين الارض والقمر فهناك الكوكبان
يتنازعان الجسم فيبطل فعل الواحد فعل الآخر وفي قلب الارض تتنازع الجسم
اشعة الجاذبية المنتشرة حوله واذا كانت كلها متساوية من كل الجهات فتتوازن
القوى ويقال اذ ذاك ان الجسم في حالة توازن

فقال ايه

قلت أفما يصير الهواء بقوام الماء اذا استمرت كثافته على الازدياد شيئاً فشيئاً
قال بدون شك وذلك تحت ضغط سبعمائة جلد وعشرة اجلاد
قلت وماذا يكون منه وراء ذلك
قال تستمر كثافته على الازدياد بالتدرج
قلت وكيف تتمكن اذ ذاك من التقدم
قال ثملاً جيوبنا حصى لتثقل اجسامنا
قلت لله درك يا عمه فانت فكاك المشاكل وعندك اكل سوال جواب
وكأنما عناك من قال

سله عما شئت فيما شئت وتعجب بعد ذا ما يساق

ووقفت عند هذا الحد من البحث لانني خشيت من ان انتهى الى وجود

مانع بحول دون الوصول الى مركز الارض فتعاود الاستاذ الحدة على انه من الامور المقررة ان الهواء اذا بلغ ضغطه بضعة الوف من الاجلاد يتجمد فيصير كالصخر فعلى فرض اننا نجد وسيلة لاجيازته وهو بقوام الماء بدون ان تتمزق رئاتنا من ثقله فهل من سبيل الى التقدم بعد ان يصير بقوام الجليد غير انني لم ابين للاستاذ هذا الاعتراض ولو فعلت لجوابني بان سكوسيم سار قبله ونجح الخ مع انه من المعلوم ان البارومتر والمانومتر لم يكونا معروفين في الجبل السادس عشر فكيف تحقق سكوسيم من وصوله الى قلب الارض ثم صرفنا بقية النهار في المباحثة والمداولة وكنت اوافق الاستاذ على جميع ارائه واغبط هنساً على راحة فكره لانه لم يكن يكثر بما نحن في صدده ولا يعيب فكره وقلبه في البحث عن العلل والتائج بل كان يسير خلي البال كيفما ساقته المقادير



الفصل الثامن عشر

بعد قيامنا من المغارة التي كنا فيها اخذت طريقنا نزداد انحداراً شيئاً فشيئاً حتى صارت اقرب الى العمودية منها الى الافقية فصرنا نتعق في الغالب مسافة فرسخ او اكثر في اليوم اما الزربة فلم تختلف بشي عما كانت عليه في الايام الاخيرة ولذلك اصبح السير في تلك الطريق مملاً فلا مناظر تلهو بها العيون ولا حوادث تساق اليها الاحاديث والحديث نونجون

اذا طال الطريق عليك يوماً وضقت به ولم تنطق المسيرا فشد من الحديث له جياداً . تكاد من الفروحة ان تطيرا وكنا نسير في كل يوم اثنتي عشرة ساعة لا يتكلم الواحد منا في اثنتائها الا بضع كلمات تدفع اليها الضرورة

فكأننا خرس بدون اشارة وعلى الاحق جوامد تتحرك ولم نزل على ذلك اياماً عديدة بدون ان يحصل لنا فيها شيء يستحق

الذكر حتى اليوم السابع من شهر اغسطس يوم نحس مستمر لا ازال حتى الان
اضطرب لذكره اضطراباً وارتعش لهوله ارتعاشاً

كان ذلك اليوم يوم خميس وكنا قد بلغنا من العمق اثنين وعشرين
فرسخاً اي انه كان فوق رؤوسنا من الصخور والمدن والبحار ما يبلغ سمكه مائة
ونيفاً وثلاثين كيلومتراً وكانت طريقنا في ذلك اليوم قليلة الانحدار فبينما انا
سائر في المقدمة ويدي مصباح من مصابيح رومكوف مرّ ذكر ابنة عمي في
خاطري فتأججت في فؤادي نيران الاشواق اليها ونيت ساعة افكر فيها وفيما
عمى ان يحل بها انا طالت غيبتنا عنها ولما انتهيت لنفسي لم اسمع اءاحي حساً
ولا جرساً فالتفت الى الوراء فلم اجدتها فقلت لعلي اسرعت في المسير على غير
اניהاء حتى تواريت عن نظرها او عرض لها امرأقتها عن المسير فالتفت راجعاً
على عقبي لاثنتين خبرتها ولكني سرت نحيواً من نصف ساعة بدون ان اصادها
فوقفت مرتاباً في امري ثم اخذت اناديها باعلى صوتي فلم اسمع سوى رجح الصدى
وعقبه سكوت مخيف

ففي تلك الساعة داخل نفسي القلق وخامر قلبي الوجع واقشعر بدني
لوحدة في جوف الارض ثم اخذت اسكن جاثي فقلت بصوت عال مهلاً
يا اكسيل فليس في الامر ما يوجب القلق فانت على الطريق التي عليها صاحبك
ولا خوف عليك من ان تضل اذ لا طريق سواها فانا استمررت على المسير
تلقى بها بدون شك لانك متأكد انك كنت سائراً امامها هداً روعي بعد
ذلك ثم سرت نصف ساعة ووقفت منصتاً علي اسمع نداء او حسيماً والهول على
ذلك العمق ينقل الصوت بقوة غريبة لشدة كثافته فلم اسمع شيئاً على الاطلاق
مع ان المسافة التي قطعتها اياهاً منذ انتهيت لنفسي تزيد على المسافة التي قطعتها
ذهاباً منذ وقع نظري على صاحبي آخر مرة فراجعت اذ ذاك المخوف واشند
خفقان قلبي حتى صرت اسمع ضرباته المداركة باذني وكنت لا اريد ان اتنع

باني تهت عن الطريق فقلت لربما ان عبي وهنسا لما افتقداني ولم يجياني رجعا
 على عقبهما كما فعلت انا ظننا منها اني متأخر ورائها وان كان الامر كذلك
 فسادركما عن قريب قلت ذلك وانا غير موقن بصحة ظني على اني اخذت اعدو
 عدواً غير مبالٍ بالصخور المنذرية التي كنت اسير عليها ولا شاعر بتعب المسير
 وفي اثناء ذلك تذكرت جدول هنس زاعما اني سائر وايه غير ملتفت الى انقطاع
 خريه اليه فحمدت الله الذي اهل الاستاذ ان يطلقه على طريقنا واطمان بالي
 لعلمي اني اذا سائرته لا بد ان اهتدي الى محل وجود رفيقي ثم تنبهت الى اني
 غير سامع صوت خريه فوقفت مضطرباً ونظرت الى الارض فلم ار للماء
 من اثر فطارت اذ ذاك نفسي شعاعاً وانخاع فؤادي وجلاً وارتباعاً وبقيت برهة
 تخبط في رأسي الافكار اخباط الامواج في البحار فلا اقدر على جمع شتاتها ولما
 هدأ اضطراي بعض الهدوء تعقلت الامر فعلمت اني بينما كنت سائراً امام صاحبي
 غارقاً في البحر افكاري دخلت شقاً بفرع من الدهليز ولم انتبه لانقطاع خريه
 الماء وبقي الجدول سائراً مع صاحبي على الفرع الاخر الذي لا بد ان تكون
 ارضه اشد انحداراً من هذا

ففي تلك الساعة ارهفني النزع وغمرني الحزج وادركني الوله والهلع
 وغرفت في بحرين من الافكار والدموع وايقنت اني هالك لا محالة واستولى علي
 اليأس وما ادراك ما اليأس هو عامل لا يقوم القلم بحق وصفه ولا تساعد اللغات
 البشرية على التعبير عن تأثيره في النفوس فلا يدركه الانسان الا اذا وقع فيه عامل
 يخفى النفس خفياً ويسحق القلب سحقاً يضيق فسيح الارض في عين الانسان
 ويبدل بالسواد سائر الالوان وكفاه وصفاً ان الموت لولاه ما كان ممراً

ألا لا حبذا ساعات يأس تشيب بياض روعتها الحنيناً

وما يرجو ابن آدم من حياة اذا ما اليأس كان له قريبا

ثم اردت ان افكر فبين تركت على سطح الارض فلم يمكيني جمع افكاري



ذكرت الله فانتصبت جانباً على ركني (صفحة ١٢٤)

المضعضعة فرخيال ابنة عمي ورسم بيته ومدينة ههرج امام عيني مرور الاشباح
في الحلم ثم مرت في ذهني حوادث السفر والمناظر التي شاهدناها منذ خروجنا من
ههرج حتى دخولنا في جوف الارض فرأيت مدينة كوبنهاغن وقبة كنيسها
وريكياويك والموسيو فريدر يكسون وقس استاني وجبل اسنفل والاعصار
ثم رجعت الى نفسي وتاملت الوحدة التي انا فيها والمينة التي قضى علي بها
والروح عزيزة فانطرحت على الارض واخذت ابكي بكاء الاطفال وقد عظم
الامر في عيني ثم صحت من فواد جريج قائلاً لك الله يا عمي على ما فعلت

تلك هي البيلة الموحدة التي لفظتها شفائي جثًا على الإيحاء ورحمة به
لاني كما كنت أظن أنه هو السبب في كل هذه البلاء كنت معتقدًا أنه سيقاسي
من فندي أمر العذاب

وبعد ان بقيت ساعة الخرف دموتًا سخينة ذكرت الله فالتصبت جاثيًا على
ركبي وتضرعت اليه تعالى بنفس حزينة وقلب منسحق مستغيثًا بلطفه متمسكًا
بأهداب رحمته العيمة راجيًا من كرمه ان يرمقني بعين الرأفة وما فرغت من
الصلاة حتى سكن جثتي بعض السكون فنظرت الى حافتي يثاني وهذو بال
واخذت اتبصر في الامر علي اجد مخرجًا من تلك الموردة الموبلة التي كنت فيها
وكان معي من المزلزلة مؤونة ثلاثة ايام ومن الماء مل قربتي فقلت في نفسي انا
اقتديت الى جدول هسيس فلي بعض الامل بالايجاع يرفقي بل ربما امكنتي
الرجوع الى سطح الارض فاتعش فوادي املًا بالنجاة وعجيت كيف اني لم
افطن الى هذا الامر قبل ذلك الوقت ثم اخذت اجد السير صعودًا لاني قلت
في نفسي ان الطريق التي انا عليها تنتهي بدون شك الى الدهلير الذي يجري
عليه الجدول فخرج من حيث دخلت وصرت في اثناء رجوعي انقرس في
صفور الجدران على امل ان اذكر منها شيئًا ما رأيته في اثناء ذهائي غير اني لم
ار علامة او سمة خصوصية يعول عليها وكذلك لم اجد على الارض اثرًا لقدمي
لانها كلها من الصخور المحببة فلا تؤثر فيها النعل

فبعد ان سرت ثمومًا من نصف ساعة انتهيت الى صخر عظيم
فانم في وجه السرداب فلما تحققت ان لا منفذ منه اضلعت املتي الاخير وعادني
الفتور وكان قد اعاني التعب واثر في الانفعالات النفسانية تأثيرًا شديدًا
فستطبت على الارض كمن اصيب بصاعقة ولطم النفس سقط الصباح من يدي
على صخر مهذوب فاخذل الجهاز الكهربائي واخذ نوره يخف شيئًا فشيئًا وجيوش
الظلام تقرب مني بالتدريج راسمة على الجدران خيالات متقلبة اشكالًا متنوعة

وبعد دقيقة كانت عندي كدقيقة النزاع اشرق النور مرة اخرى كما يصي
الميت، فيبل أن يسلم الروح ثم انطفأ تماماً وبقيت وحيداً تحت جنح الظلام المحالك
تقلبني الافكار شرقاً ومغرباً على اني لم انتقل من مكانها
كما يذهب الظل البين ويسرة وذو الظل في شواه ما زال باقياً

— — — — —

الفصل التاسع عشر

مها اشتد الظلام على ظاهرا الارض فلا ينقطع النور بلمرة بل يبقى منه
بعض اشعة خفيفة ضعيفة تتسلط بالظلماء اختلاط الخمر بالماء فتستأنس بها
العين بل ربما تنتهي بالالفة الى مشاهدة الاشياء وتميزها

اما في جوف الارض فالظلام صرف لا تألفه العين ابداً ولذلك لما احاطت
بي كنانته السود من كل جانب ضاقت في وجهي المذاهب اذا صبحت كالاعى
سواء علي افتمت عيني ام اغتمضتها وللظلام هبة ووفار فضاع عقلي وطاش لي
واخذني الرعب فصرخت من صميم فؤادي صرخة هائلة وقمت امشي بقدم الاخنب
ويدي ممدودتان امامي لانتقاء الصخور ارفع احداها واخفض الاخرى كمن يطلب
السباحة في الهواء ثم خبل لي ان طوائف الحن سائرة في طلي والمردة معترضة في
طريقي والمخوف يصور للانسان اغرب الغرائب ويقرب له المستحيلات كما قيل
من ذا يلوم المرء في روعة فالروع ذهاب بعقل الرجال
كم مستحيل رده جائزاً وجائز عاده كالحال

فاشتد خفقان قلبي واضطراب اعصابي واخذت اعدو على غير هدي
خابطاً في ارض الدهليز خطب عشواء وانا اصرخ من شدة الخوف واليأس
صراخ من طار صوابه او كثر عذابه ولم ازل بين سقوط وقيام وهبوط
واصطدام وقد عثم وجهي وتزق جسي حتى كلت قواي ووهن عزى فستطبت
على الارض فانقد الشعور غائباً عن الهدى

ولما أفقت من غشقي بعد مدة من الزمن لا أعلم مقدارها وجدت نفسي مضرجاً بدمي وقد انحطت قواي بسبب التزيف الذي أصابني ثم أخذت أحرك أعضائي الواحد بعد الآخر فتبينت أنها سليمة من الكسر فحمدت الله على ذلك كمن لم يزل موملاً في الحياة وما ذاك إلا لان الضعف الذي كنت فيه ضرب على ذهني حجاباً فلم أذكر في بادئ الأمر أني هالك على أي حال

وربما رجعت إلى قواي العقلية حزنت على بقاءني في قيد الحياة وتمنيت لو أني قضيت شبي في أثناء غشبي وكفيت عذاب النزاع الذي يتظرني

وفي ذاك الوقت شعرت بألم الرضوض التي يجسمي فحيرت نفسي بكل عناء حتى الحائط وإنكأ عليه وقد عاودني الضعف وانحطاط القوى حتى كدت أفقد الشعور ثانية وبينما أنا على تلك الحالة وإذا بصوت شديد كقص الرعد قد طرق آذاني فجلست منصتاً وبقيت برهة أسمع دويه يتناقص شيئاً فشيئاً حتى انقطع بالكلية فعجبت من ذلك الحادث وأخذت أفكر في أمره فترجح عدي أنه ناشئ عن سقوط طبقة من الصخور المجاورة أو عن تفرقع مسبب من اشتعال غاز من الغازات السريعة الالتهاب ثم بقيت نحواً من ربع ساعة مصغيّاً أسمع الصوت ثانية فلم أسمع شيئاً وإذا ك أسندت ظهري إلى الحائط فجأت أذني على سطحه اتفاقاً فخيل لي أني أسمع كلاماً خفياً غير مفهوم لبعده الصوت فارتعشت شديداً ثم خفت من أن يكون ذلك رجح صدى أبنني أو وهماً ناتجاً عن ضعف قواي فامسكت عن التنفس ونهبت أفكاري وبقيت برهة منصتاً فتبين لي أني أسمع على بعد كلاماً همساً غير أني لشدة ضعفي لم أفهم شيئاً من ذلك الكلام وحيثما انتقلت إلى محل غير الذي كنت فيه فإزداد الصوت وضوحاً وسمعت بأذني كلمة (واحسرتها) ملفوظة بصوت يهت الأكباد ويذيب الحجاد فاغرورقت إذ ذاك عينايا بالدموع وعرتني هزة الملعوع ولم يعد عندي شك في أن ذلك الصوت صوت عني قتل في نفسي إذا كنت أسمع صوته من هذا

الحل فلا بد ان صوتي يصل اليه كذلك حيث هو في الحال ادنيت في من
الحائط وناديه باعلى صوتي ثم صبرت دقيقة فلم اسمع جواباً فقلت لعل الصوت
الذي كنت سمعته آتٍ من نفس السرداب الذي انا فيه لا من وراء الجدار
اذ ان الصوت لا ينفذ منه مهما كان شديداً وعلمت ان عني على بعد شاسع مني
وان وصول صوته الى ذاك البعد ناشيء عن كيفية تكوين السرداب وقابلية
الصخر المكون هو منه لقل الصوت فتذكرت في الوقت نفسه ان هذا الحادث
الغريب يشاهد في دهليز كنيسة ماري بطرس بلنדרه ولا سيما في مغائر جزيرة
صقلية العجيبة وفي اثناء ذلك قرع آذاني الصوت الذي كنت سمعته اولاً وفهمت
هذه الكلمات (واحسرتاه عليك يا اكسيل اين انت يا اكسيل) ثم تلاها دوي
شديد شبيه بالصوت الذي سمعته في يادئ الامر فجمعت في على مساواة سطح
الحائط ووجهت الصوت الى اسفل الدهليز وصرخت من كل قوتي قائلاً
يا عماء ليدنبروك

ثم وقفت منصتاً وقلبي يخفق سريعاً لاني كنت اعلم ان الصوت لا يصل
الى عني الا اذا كان باقياً في الحل الذي اتاني منه صوته وبعد دقيقة خلعتها
دهراً طرقي سمعي هذه الكلمات
أهذا انت يا اكسيل

قلت نعم نعم

قال اين انت يا بني

قلت تائه في حالك الظلام



اهدائات يا أكسيل (صفحة ١٢٧)

قال واين مصباحك

.....

قلت انطفأ

.....

قال والمجدول

.....

قلت اخنفي

قال تشجع ولا تيأس

قلت اهبطي قليلاً حتى يسكن روعي فقد فقدت القوي وانق مكانك
ثم اسفر على مخاطبتي

قال لا تنعب نفسك في المجاورة واسمع ما اقول اننا مجئنا عنك في الدهليز
صعوداً ونزولاً لم تنف لك على انثرو قد بكبك يا ولدي بدموع سخينة وآليت
على نفسي ان لا ابرح من هذه الارض قبل ان اقف على حقيقة خبرك ولما
ترجج عندي اخبراً نك لم تزل ملازماً مجرى الجداول فقد سابرته مع هنس حتى
مصبه ونحن نطلق عبارات بارية حياً بعد حين لعلك تسمها فتتهدي بصوتها
الينا اما الان وقد علمنا بمحل وجردك فقد زال الخوف والحمد لله وعما قليل
اجتمع بك واضحك الى صدري ولا اعود افارقك خطوة واحدة

ثم قال نحن الان في مغارة فسيحة جداً تنهي اليها كل الدهاليز المجاورة
بل اظن ان كل الشقوق التي تنزل الفشرة الارضية تنفرع منها ولست اعلم في
اي واحد منها انت الان وان اخذت ابحت عنك فيها جميعاً فلربما لا اهتدي
اليك الا بعد ايام فهل عندك من الزاد والماء مؤونة كافية

قلت خاوي الوطاب خالي الجراب لا زاد ولا ماء ولا جعبة ولا سقاء
لاني وانا سائر في الشق الذي انا فيه يتاجيني الاسى وانا جيه وشكرو ما شكته
قوم موسى من التيه ثنرت رجلاي باحد الصخور فسقطت على الارض فاقد
الشعور واذ ذاك تمزق السقاء وسال الماء على الحصاء وتقطعت الجعبة أربا
وتفرق الزاد ايدي هبا ومنذ تهت عن الطريق حتى الان لا اكلت ولا شربت

قال اذن لا بد من حضورك انت الينا قم وامش على قدر امكانك ولا
تجزع فغن في انتظارك
ولا تك من وقع الحوادث جازعاً فمن غالب الاهوال لا بد يغلب

قلت أيمكك ان تخبرني عن المسافة التي بيني وبينك

قال ذلك امر سهل معرفته ساناديك باسمك وبيدي الكرونومتر فتجاوبني
حالمًا يصلك الصوت فالوقت الذي يمضي بين ندائي وجوابك يدلنا على المسافة
التي بيني وبينك

قلت افعل . ثم الصقت اذني بالمحائط وامسكت عن التنفس وبعد برهة
سمعت لفظة (اكسيل) فراجعت الكلمة حالاً وانتظرت الجواب من الاستاذ
وبعد دقيقة قال مضى بين الكلمتين اربعون ثانية فالمسافة التي بيننا
يقطعها الصوت اذن في عشرين ثانية واذا كان الصوت يسير مسافة الف قدم
وعشرين قدماً في الثانية فالمسافة التي بيننا عشرون ألفاً واربعائة قدم
قلت أبصدي هذا القياس على الهواء الكثيف الذي نحن فيه

قال نعم فان كثافة الهواء تزيد الصوت قوة لا سرعة

قلت ها انا ذا سائر يا عماه فاستودعك الله لاني اذا اجتمعت عن هذا المحل
فلا يعود في امكاننا ان نتكالم ولربما لا اجد سبيلاً الى الوصول اليك

قال لا تخف فان طريقك ستوصلك الينا اذ لو كان بيننا حاجز لما كان

الصوت يصل مني اليك

فتمت وقد احبى الامل قواي حتى نسيت اوجاعي وتذكرت قول من قال
وقد يجمع الله الشئتين بعدما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا
ثم حدث الله اذ سافني الى تلك النقطة التي ربما كانت وحدها في الكيفية
المناسبة لتوصل الصوت على ذلك البعد الشاسع فلو تجاوزتها او وقفت دونها
لخفي امري على عي وبقيت في مكاني حتى تدركني المنية

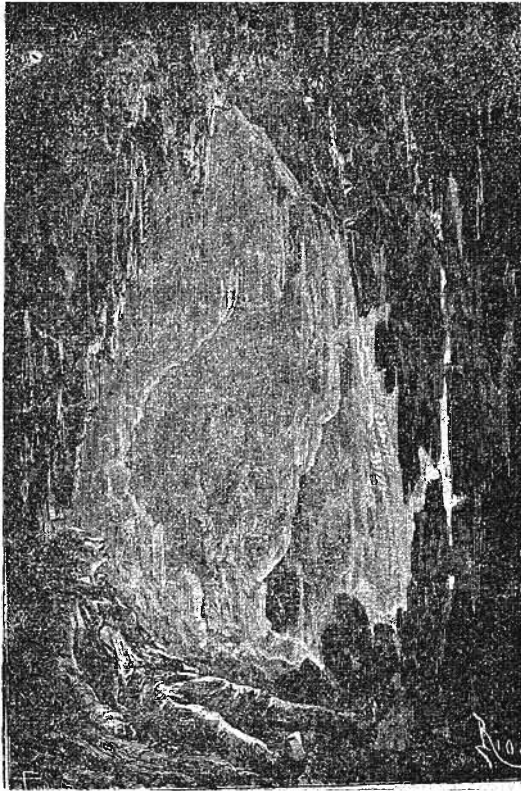
منى كان في دور الحياة بقية تيسرت الاسباب وانفج الضيق
وبعد ان سرت قليلاً صارت طريقي شديدة الانحدار ولم البث ان رأيت
الارض تسير بي وصرت انزل منحيلاً لا اتمالك نفسي وبعد قليل سقطت من
عمل عال سقطت عمودية واخذت اندحرج بين الصخور التي سقطت معي
كواحد منها واخيراً وقعت على ام رأسي وغبت عن الصواب



الفصل العشرون

لا بد للساج من ان يرى ما لم يكن يخطر في فكره
لما عاودني الشعور وجدت نفسي في كهف به قليل من النور مضطجعا على
وسادة من اعبية السفر وعي جالس بالقرب مني يرقب على وجهي دلائل الحياة
فعند اول حركة ابديتها اخذيدي بيده وحالما فتحت عيني صرخ بفرح شديد
قائلاً حي حي نحمدك يارب

فقلت بصوت ضعيف لم يتجاوز حد الانين
حي ولكن الوفاة قريبة والموت غاية ما اروم واطلب
من كان صفو حياته متكدراً مثلي فعنها ليس فيها يرغب
فضمني اذ ناك الى صدره وعيناه مغرورتان بالدموع وقال



لما عاودني الشعور وجدت نفسي في كهف (صفحة ١٢١)

لا تأمن من وقع الصروف فكل ما يلقاه من يبغى النجاح محبٌ
 واصبر بني ولا تضق ذرعاً فما تنفى المذاعب عن سوى من تعبُ
 وقد نجوت من المكارة فلا تكره الحجة ولا تنط من روح الله قال ذلك
 بصوت يشف عن محبة وحنو عظيمين ولولا شدة الانفعالات والعوامل التي
 اثرت فيه لما ظهر شيئاً من تلك العواطف التي يكتمها فؤاده تحت ظواهر الشراسة
 وفي ذاك الوقت حضر هنس وقراء علينا السلام بوجه متهايل فرحاً
 فرددته عليه ببشاشة ثم قلت للاستاذ اخبرني في اي محل نحن الان

فقال مهلاً يا ولدي لانك في حاجة الى الراحة. فتم الان ولا تشغل افكارك
بشيء واذا جاء الغد اخبرتك بما تريد

قلت قل لي على الاقل في أي يوم نحن وفي أي ساعة

قال نحن الان في الساعة الحادية عشرة من مساء اليوم الحادي عشر من
شهر اغسطس ولست اسمع لك بان تسألني عن شيء قبل اليوم الثاني عشر من
الشهر الجاري

وفي الحقيقة كنت شديد الضعف منخط القوى لما كابדתه في زمن التيه من
ملازمة السهر ومساورة الفكر ووحشة الظلمة ورضوض الضجور وطول المشي
وقد حل لي التعب واخطى عليّ الآن اطباقاً فاغمض اجفاني بالرغم عني فتمت
وفكري الاخير ان مدة وحدتي كانت اربعة ايام كاملة

ولما استيقظت من نومي في اليوم الثاني رأيت نفسي مرتاحاً فلبست على
فراشي ثم انعمت النظر في الكهف الذي كنت فيه فوجدته بديع الجمال مزداناً
بالاعد الطبيعية وارضه مكسوة برمل دقيق لماع ولم يكن فيه لا مشاعل ولا
مصايغ وهو مع ذلك منار بنور خفيف اشبه بالسحر في الليلة القمراء فبعيت من
ذلك الامر وبعد تدقيق النظر تبين لي ان ذلك النور آت من الخارج وهو
على باب الكهف اشد منه في بقية جوانبه وفي الوقت نفسه سمعت صوتاً من
الخارج كهزيز الريح وهدير خفيفاً مستمراً اشبه بصوت اندفاق الامواج على
الرمال فحسبت نفسي في يادي الامراني في حلم ثم خشيت من ان يكون ذلك
رؤيا وهمية ناتجة عن اصابة الدماغ حين سقوطي واخذت اغلط نفسي واكذب
حس استبعاداً للوجود مثل هاته الظواهر في باطن الارض غير اني كنت ارى
ما ارى جلياً واسمع ما اسمع صريحاً فلم اجد للمغالطة سبيلاً ولا للتكذيب مجالاً
وليس يصح في الاذهان شيء اذا احتاج الهار الى دليل

وقلت في نفسي ان النور الذي اراه ليس الانور النهار والاصوات التي

اسمها ليست الا هزير الریح وهدير البحر فاما ان دماغي مصاب واما ان عي عاد
الى ظاهر الارض

وبينا انا افكر في الامر وقد اخذتني الحيرة دخل علي الاستاذ بوجه باشر
وقال صباح الخير يا اكسيل ارهن على انك اصبحت نشيطاً معافياً
فقلت اما الجسم فكما تقول

قال لم يكن عندي شك في ذلك لانك نمت طول الليل نوماً هنيئاً وقد
سهرت عليك انا وهنس بالمناوبة ورأينا تقدمك الى الصحة رأي العين
قلت في الواقع ارى نفسي قوياً نشيطاً وان شئت على ذلك برهاناً ثمر
بالطعام لتمام الصحة عن السقام

فنبس الاستاذ وقل لا بأس من ذلك يا اكسيل فقد فارقك الحمى
وبرئت جروحك والفضل في ذلك لهنس الذي عاجها ببرهم فعال لا يعرف
سر تركيبه الا الايسلنديون

ثم اتاني بشيء من الطعام فالتهمة التهاماً غير مكترث بنصائحه ومواعظه
وبعد ذلك استعملت منه عما حصل لي بعد سقوطي وكيف اهتدى الى المحل
الذي سقطت فيه فاخبرني ان الدهليز الذي جئت منه ينتهي الى المغارة بالتحدار
شديد جداً وان سقوطي كان مع صخر كبير ساربي انسياحاً كأنه عربة بلا
عجل او سفينة بلا بحر حتى انتهى الى المحل الذي كان فيه عي والدليل فاستمر
هناك فحملاني صريعاً مضرجاً بالدماء ثم استطرد الكلام قائلاً ان نجائك من
تلك السقطة يا اكسيل لمن اعجب العجائب فاناشدك الله ان لا عدت تفارقني
خطوة واحدة مخافة ان تنقطع عني ثانية فلا نجتمع الا اذا شابت الغربان وآب
القارطان

فهيئت من كلامه لاني كنت رجحت في نفسي اننا انتهينا من تلك الرحلة
وعدنا الى ظاهر الارض واستبعدت اصابة دماغي وخلل حواسي ولكن من

كلام عي قوي عندي الاحمال البعيد وضعف الظرف الراجح بل حكمت اخيراً
باني جننت وإن جميع ما انصوره انما هو محض اوهام ثم قلت اذا كان الامر
كذلك فجزمي بمجنون نفسي وهم ايضاً ومكنت برهة على تلك الحال اردد عجلي بين
الصحة والاخلال ولما رأى عي علائم الاندهاش علي وجهي قال ما بالك يا اكسيل
قلت اصدقني أكل اعضاءي سليمة

قال نعم وبمكنت ان تفقدها بنفسك
قلت ورأسي

قال ورأسك لم يزل قائماً في محله بين كنتيك وهو الان في غنى عن
الرفائد التي عصبته بها لان جروحه خفيفة وقد برئت تماماً
قلت انا خائف من ان يكون الدماغ مختلاً

قال ما نا يحملك على هذا الظن
قلت ألسنا الان على وجه الارض

قال نحن الان في جوفها على عتي اربعة وعشرين فرسخاً من سطح البحر
قلت خوفي اذن في محله لاني ارى نور النهار بعيني واسمع هدير البحر وهزير
لرجم ياذني

فضحك الاستاذ حتى كاد يستلقي علي ففناه ثم قال ان كانت هذه اعراض
لمجنون فكلنا مجانين

فاطمان خاطري عند سماعي هاته الجملة وابتنت بالمعلول وان لم افهم العلة
قلت اخبرني انن ما هي اسباب هذه الظواهر

قال لا يمكنني ان اخبرك عن شيء ولكنك ستري بنفسك ما رأيت انما
ترك من اسبابه بقدر ما ادركت على اني اذكرك بما قلته لك قبلاً من ان
لم لم يزل في مهد الطفولية

فتحرك في المبل عند سماعي كلام الاستاذ الى الوقوف على حقيقة الامر فاتصبت

على قدمي وجمعت بالخروج قبض على نزعني قائلاً ماذا تفعل يا أكسيل الا
تري في اي حالة انت من الضعف فاقم في مكانك ولا تعرض نفسك للريح
قلت اي ربح هذا الصوت هزير ربح حقيقة

قال نعم وهي شديدة فلا تعرض نفسك لها لنلا تلحق بك الاذي
قلت وحياتك يا عماه لم يعد بي شيء من الألم وقد رجعت الى قواي فلا
تخش عليّ بأساً

قال صبراً يا ولدي فاني اخشى عليك من النكاس فنضطر الى الافامة
هنا اياماً ولربما لا تبقى الريح مناسبة لرحلتنا

قلت واي دخل للريح في رحلتنا

قال لو كانت سفينتنا بخارية لما كان سفرنا يتوقف على مناسبة الريح
ولكنها شرعية ولذلك لا يمكن ركوب البحر الا اذا كانت الريح مناسبة لها فاصبر
اذن يا أكسيل الى الفدحى يتم شفاك

فاستغرت هذا الكلام غاية الاستغراب لان اسم السفينة في باطن الارض اغرب
من اسم الخيل على ظهر البحر ولم استطع الصبر عن الخروج رغبة في الوقوف على
ما في خارج المغارة فاكثرت الاطحاح على الاسناد لانه يادن لي بالخروج ولا
يضطرني لعموقه بمخالفة امره فعلم ان اكراهي على الافامة مع ما انا عليه من
قلة الصبر يضربني اكثر من تعريضى للهواء فسمع لي اذ ذاك بالخروج
منحفظاً من البرد فلبست ثيابي على عجل وخرجت ملتقاً بعباءة من الاعبية التي
كنت رافداً عليها



التصل الحادي والعشرون

ومن يعتد ملازمة الدياحي يره النور اول ما يراه
من طول قلب طرفي في الظلام وتعوده على مصاحبة الغياهب صار لا



وفي وسطها بحر لحي عظيم (صفحة ١٢٧)

بقوى على تحمل الضوء ولذلك لما خرجت من الكهف وابصرت عيناى النور
المنشر خارجه انكرتاه فغمضتها دقيقة ولما امكنتي فتحها رأيت نفسي في مغارة لا
كالغائر جوانبها متوالية وراء الافق وفي وسطها بحر لحي عظيم يتد من باب
الكهف الى حيث لا يعلم الا الله وشاطئه مؤلف من رمل دقيق ذهبي
اللون مرصع بالاصداف والابواق الصغيرة التي عاشت فيها اقدم الحيوانات
الارضية

كانها سحب وقت الاصيل بدت او انجم طلعت في اوسط الشفق

يخالها الطرف تخيلاً بصافتهِ - أو الحجرة لولا صبغة الزرقِ
والغارة مستنيرة بظواهر كهربائية يفوق نورها نور القمر ليلة تمه بهجة وصفاء
وحسناً وازدهاء إلا أنه أقل من نور الشمس سطوعاً وليس فيه شيء من الحرارة
فهو أشبه شيء بنور الشفق القطبي أما سقفها فمحجوب بالغيوم الكثيفة الملبدة في
سمائها على علو خمسة أميال أو أكثر وما بلغ الغيم فيها - هذا الارتفاع المنكر على
سطح الأرض إلا لشدّة كثافة هوائها

فلما شاهدت تلك المناظر الباهرة ووقفت على تلك المظاهر الظاهرة اخذني
العجب ووقفت مندهنكاً مذهولاً أنظر تارة إلى النور وطوراً إلى الماء ومرة إلى
الافق وأخرى إلى السماء وكانت الريح تمر على سطح المياه فتثير عنها بعض الزبد
وتنثره على وجهي

أما الأستاذ فكان واقفاً بجانبني ينظر إليّ باسم نظرة الفائز الظافر وبعد برهة
قال لي ذهب بعض الانكليز إلى أن الأرض جوفاء والهواء في جوفها منبر بسبب
شدة الضغط وفي داخلها كوكبان يدوران حول مركزها كما يدور القمر حول
سطحها وهما بلوتون اله المجيم في زعم اليونان وزوجه بروزرين ولكون هذا
المذهب مبنيّاً على الخرافات اليونانية أحله القوم محلها غير أنه قد اتضح لك الآن
يا أكسيل أن صاحبه قد أصاب من بعض الوجوه كما اتضح لك فساد مذهب
القائلين بالحرارة المركزية فساداً تاماً من كل الوجوه وقد تكون بعض القضايا
الخرافية أقرب إلى الحقيقة من القواعد العلمية

قلت والله يا عماء أني حائر الفكر زاهل العقل مندهش البصر فكأنني في
حلم ولولا أنك شريك في ما أرى لكنت عيني تكديماً

قال لا تكذب عينيك ولا أذنك فإن كل ما تراه وتسمعه حقيقي واقع
فعلاً فالبحر الذي أمامك هو بحر ليدنبوك دعوته باسمي ولا أخاف المنازعة
والأرض التي نحن فيها هي القارة الجديدة التي تسدست بها القارات الخمس

ولربما كانت اكبرها جميعاً

قلت احسنت في تعبيتها قارة فانها تكبر والله ان يطلق عليها اسم مغارة
قال اي ورك يا اكسيل فان اعظم مغارة على سطح الارض هي مغارة
الموثر في ولاية كنتوكي من الولايات الامركانية المتحدة التي يبلغ علو سفنها خمسمائة
قدم وطولها نحو خمسة وعشرين ميلاً وفي وسطها بحيرة لم يسر غورها حتى الان
ولكن مها عظم خطرها فبون بعيد ما بينها وبين التي نحن فيها وشتان بين
بحيرتها والبحر العظيم المتد امام اعيننا

قلت وانى لمغارة الموثر هذا الدور الباهر وهذه الغيوم السائرة فوق رؤوسنا
التي ما تجزأت واحدة منها الا ولومض البرق من بين اجزائها فوالله انى لو اجد
في نفسي حاسات لا اقدر على التعبير عنها

فما لكن جاش الكلام بصدري فتمت عنه ازاي عن تمامه
باكثر مني لكسة وفهاة واعجز عن تصريحه بمرامه
فكأنني انتقلت الى كوكب غير الارض كزحل او المشتري فانكرت طبيعتي
الارضية ظواهره المدهشة

قال لا عجب يا اكسيل ان لم تجد كلاماً يعبر عن حاساتك فان اللغات
الارضية انما تشتمل على ما يحتاج اليه اهل ظاهر الارض من الكلام للتعبير
عن افكارهم والوجدانيات المنتزعة مما يقع تحت انظارهم والعالم الجديد الذي نحن
فيه يحدث في الانسان وجدانيات جديدة فهو يحتاج الى لغة جديدة

ثم اخذت افكر في كيفية تكوين تلك المغارة العميقة فلم اجد لها علة الا
برود القشرة الارضية بعد ان كانت ملتصقة غير ان الشقوق العديدة التي
تنفرع منها الى سطح الارض تدفع الظن الى ان المواد البركانية كانت تنفذ
منها في الادوار الاولى اما بسبب الحرارة الداخلية على المذهب المشهور واما بسبب
اتحاد الهواء والماء فيها ببعض المعادن على مذهب ديني والاستاذ فتشرها

البراكين على وجه الأرض حيث تكونت جبالاً وإكائاً وجزائر فانتسعت مساحتها
بقدر ما فقدت من تربتها

وبعد أن بقيت ساعة أناًمل في غرائب الطبيعة وعجائبيها قال لي الأستاذ
كيف ترى صحتك يا أكسيل

قلت غابة في الجردة ولولا أنك ذكرتني بسؤالك هذا لاني كنت طرح الفراش
في هذا الصباح لما تذكرت ذلك من نفسي

ألهي التعجب انساني وأنساني ما كان فرح اعاني واعباني
والبحث هاج شجوني للعلا فانا من بعد ضعف شجاني رهن اشجاني
قال هذه نتيجة تأثير المناظر الغربية التي رأيته على غير موعد وفعل تغيير
المواء فهل لك في التجول ساعة على هذا الشاطئ
قلت لا شيء احب اليّ من ذلك

ثم اخذنا نتمشى الهويينا على رمال لم تطأها من قبل رجل رجل ولم يرها
انسان انسان وكان البحر عن يميننا تتلاطم فيه الامواج والريح تأتي من مائه
الحلبليلة والسائم تنهادي نحونا فتهدينا الصحة وهي علية وعن شمالنا صخور هائلة
متراكمة فوق بعضها كأنها اطلال قلعة عظيمة او رسوم ابراج قديمة تنحدر منها
جداول المياه شلالات مزبدة كأنها حبال من لؤلؤ او عمد من لجين ولبعضها
هدير مخيف يصم الآذان ولبعض الآخر خرير لطيف كغم الشجي الرهقان ومن
جلتها رفيقنا الامين جدول هنس وهو يجري الى مصبه على سطح قليل الانحدار
غير متردد في مسيره ولا منحار فكانه وجد على تلك الحال منذ تكون العالم
فلما ابصرته حييته بالسلام ورشفت من مائه البارد ملّ راخي ونادجه

ما عشت اوليك الشاء ألم تكن يامانه روعي في المسير وراخي
لفراقك التهب الفواد فما انا احسو لاطشه فأملأ راخي
وبعد ان سرنا قيد ميل اشرفنا على غيضة كثيرة الاشجار وانجارها كثيفة

الأصنان وهي على شكل مظلات مستديرة الهباب استدارة هندسية كأنما خُطت
بالبكار غير أن الأصنان ثابته لا تقبل مع الريح فكأنها أرز عجمي فالسرعة في المسير
نحوها وأنا أفكر فيما عسى أن تكون إذ لم أذكر نوعاً يشبهها منظر أبن المائي ألف
نوع المعروفة من أصناف النباتات

على أني لما أقدمت منها وجدت نفسي أمام غضة من الفطر الأبيض
فانتقلت من الحيرة إلى الفهم الشديد لأن الفطر وهو ضرب من الكماة لا يبلغ
علوه على سطح الأرض إلا بضع أصابع وهو هناك أشجار عظيمة لا ينقص ارتفاع
أقصاها عن ثلاثين قدماً كطول محيط قبتها وقد تجاوز أعلاها الأربعين وهي
مخفية فوق الأرض لا يتغذى منها النور

فبعد أن وقفنا برهة أمام تلك الغضة العجيبة تأمل في عظمتها دخلنا
أرضها وأخذنا نحول بين أشجارها إلا أن الظلام المحالك والبرد القارس المنتشرين
نحت قباها منعانا من التوغل فيها فقلنا راجعين إلى شاطئ البحر
ثم سرنا ميلاً آخر فوجدنا أجساماً عديدة من النباتات الأرضية الصغيرة كالحلب
والسرخس والليكوپودون والسجيلاريا وهي كثيرة الأفنان ضخمة المجموع بأسفة
الأصنان يزيد علو بعضها على المائة قدم وأوراقها عديدة اللون

وبينما نحن نحوس خلال تلك الأجسام ونحول بين أشجارها العظام قال
لي الأستاذ اعلم يا أكسيل أن التربة التي نحن عليها الآن هي في الحالة التي
كان عليها سطح الأرض في الدور الكربوني وهذا النبات الذي نبت اليوم
في حدائقنا صغيراً خبيراً كان في ذلك الدور شجراً عظيماً كما تراه أمامك إلا أنه
لم يكن عديم اللون إذ لم يكن محجوباً عن نور الشمس فتأمل في هذا الانحطاط
العظيم واعلم أنه لم يبق لأحد قبلك من علماء النبات أن يرى ما تراه بعينيك
وتلمسه بيدك إلا آثاراً خفية في مناجم الفحم الحجري
قلت أجل ولكن كيف نفو النباتات في هذه التربة النارية وهو لا يعش إلا



وجدت نسي اناام غيضة من الفطر الايض (صفحة ١٤١)

في الاراضي الرسوية

قال ومن اين علمت ان هذه التربة ليست من الاراضي الرسوية

قلت أرض رسوية على هذا العمق

قال أتجهل ان القشرة الارضية عتب ان خمد لبيبها وبرد اديمها بقيت

زمنًا طويلاً بين شخص وخصوف ترتفع مرة وتمط اخرى كما تغلي القدر على النار

فهذه التربة التي نحن عليها بعد ان كانت على سطح الارض غارت الى حيث

هي الان وانطبقت الارض من فوقها كما ترى

قلت صدقت يا عماه ومن المعلوم ان الفحم الحجري تكون في جوف الارض
من الغياض والاجام التي غارت فيها بهذه الكيفية
قال منها ما غار في الارض بهذه الكيفية ايام غليانها ومنها ما جرفه الماء
الى الوهاد ثم غطاه السيل بالتراب والصخور والنتيجة واحدة في الحالين
ثم رأيت على الارض عظاماً منشورة ذات اليمين وذات الشمال
تحدثنا عن العصر الخوالي وتبيننا بتاريخ الدهور
وتنطق بالحقائق وهي صلد وتُشعر وهي فاقدة الشعور
فهولات نموها وامعنت النظر فيها فاذا هي بقايا حيوانات هائلة من التي
عاشت على سطح الارض قبل الطوفان كالمستودن والدينوتريوم والميغانيروم
نبيهت الاستاذ اليها فقال من المستحيل ان تكون هذه العظام آتية من سمع
الارض فلا بد ان اصحابها عاشت هنا على شاطئ هذا البحر وقضت حياتها
رائعة في ظل هذه الاشجار

ثم رأيت هياكل كاملة من تلك الحيوانات فقلت وهذه الهياكل المحفوظة
على تركيبها الطبيعي برهان على ذلك ولكن ان صح قولنا فمن المحتمل ان يكون
بعض هذه الحيوانات حياً حتى الان يجول في ظل هذه الغياض المظلمة او وراء
هذه الصخور الهائلة

غرائب الكون ترى لا انتهاء لها وما لها قط ان فكرت احصاء
فقل لمن يدعي ادراك جماتها حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء
ولما مر بفتري احتمال وجود حيوانات من هذا القبيل اقشعر بدني خوفاً
واخذت اتطلع الى الجهات الاربع ولكني لم اَر شيئاً من الكائنات الحية على الاطلاق
فاطمأن بالي

وكان قد اتر في الجوع وانكسب التعب فقلنا راجعين الى الكهف الذي
اتخذناه لنا مأوى ومثت تلك الليلة منشرح الصدر مسروراً ولا عجب فان

الدليل المظلم البقي الذي قضينا فيه الأيام الماضية كانت قد ضيق صدرى
فانساع نطاق البصر في الغارة التي انتهت اليها اوجد في نفسى ذلك الارتياح

الفصل الثاني والعشرون

لم نتم مصالحة يد المكروى اخفاني في صباح اليوم الثاني الا وقد وثبت من
فرائي نشيطاً مبعثاً وخزجت من الكهف انز الطرف برأى البحر وكان النسيم
لطيفاً يمر على سطح المياه فلبس ظواهرها سابغات اللبروع فشافني هدو البحر
الى الاغتسال ففعلت ثم رجعت الى الكهف طربك مسرورا وتناولت الطعام بلذة
غريبة وقابلة عجيبة وكان لدى هنس من اللؤلؤ والوقود بقدر ما يشتهي فتمكن
من تنويع ما كلفنا في ذلك اليوم وكنا قد عشنا كل المدة الماضية على القمامات
واللحم القديد وبعد الأكل تناولنا القهوة فوجدت لها لذة لم اعهد لها فيها من قبل
ثم نظر الي الاساذ وقال ازفت ساعة المذقم بنا نراقب فعله في بحر
ليدبروك

قلت كيف ذلك أبلغ تأثير الشمس والحر المحل الذي نحن فيه
قال ولانا لا يبلغه ألبست كل الاجسام باجمعها خاضعة لحكم الجاذبية
فسترى عما قليل كيف ان مياه هذا البحر الداخلي ترتفع بفعل تلك القوة ورغاعن
شدة ضغط الهواء عليها كما ترتفع مياه الاوقيانوس فقمت وانا اقول
آني كل يوم حادث باكتشافه بهيج ولوع للعبلا وغوام
عجيب لمن يلقى العجائب هذو اذا هجم اللوام كجيف بنام
ثم قصدنا شاطئ البحر ولم تستقر اقدامنا على الزمان حتى اخذت مياهه في
الارتفاع فاخذتني الدهشة وكدت اطير عجباً وصرخت قائلاً ما قد ابتدأ المذ باعاه
قال نعم ويظهر من آثار الريد المرسومة على هذه الصخور ان المياه يرتفع
عادة بنحو غير اقل



فشافني هدو البحر الى الاغتسال ففعلت (صفحة ١٤٤)

قلت في الواقع هذا امر عجيب

قال لا بل طبيعي بحت

قلت قل ما شئت يا عماه فاني ارى هذا الامر عجيباً حتى اني لا أكاد
اصدق عيني فبالله هل خطر ببال عاقل وجود اوقيانوس حقيقي في جوف الارض
له ما للاوقيانوس الذي على سطحها من مد وجزر وريح وعواصف
قال ولماذا لا يكون ذلك أيجاد سبب طبيعي يمنع من وجوده
قلت من يسلم بان مذهب الحرارة المركزية فاسد لا يستبعد ان يكون في

جوف الارض البحر وبلاد و جبال و اوهاد و اغوار و انجاد
قال اجل ولكن غير مأهولة

قلت من اين لنا ان نحكم بذلك ونحن لم نستكشف حتى الان شيئاً يذكر
من هذه البلاد الجديدة بل من اين نعلم ان هذا البحر لا يشتمل على انواع من
الاسماك افترضت عن وجه الارض

قال ربما كان ذلك ولكن لحد الان لم نشاهد شيئاً من المخلوقات الحية
على الاطلاق

قلت في امكاننا ان نصطنع شباكاً للصيد او خيوطاً ذات صنابير واذ ذاك
تضع لنا حقيقة الامر

قال سوف نفعل ما تقول يا اكسيل اذ لا بد لنا من استكشاف اسرار هذا
العالم الجديد واستشفاف مكوناته

ومن سارت به للحرب خيل فخير من تهقره الولوج
ثم رجعنا الى الكهف ولما استقر بنا المقام قلت للاستاذ في اي نقطة نحن
اليوم من الارض فاني ما سألتك عن ذلك حتى الان وانت ولا بد عرفته
بواسطة الانك

قال نحن على عتق سبعة وسبعين ميلاً وعلى بعد سبعائة وسبعة وسبعين
من ايسلاندا الى الجنوب الشرقي

فاخذت الخارطة وبعد ان التيت النظر عليها قلت اذن نحن الان
تحت ارض اسكونسيا وجبال جريبان الشاخنة التي لا تزال قممها الباسقة مكللة
بالثلج قائمة فوق رؤوسنا

فبسم الاستاذ وقال نعم وهي حل ثقیل ولكن قبة المغارة متينة وقد بناها
مهندس الكون على دعائم قوية فلا تخف عليها من السقوط
قلت انا في راحة بال من هذا الثقل ولكن اخبرني هل تأتي لي الان

الرجوع الى ظاهر الارض

فنظر اليّ نظرة الاستغراب وقال ويحك يا اكسيل كنت اعذرك في مثل هذا السؤال قبل ان نصل الى ما وصلنا اليه اما وقد رأيت بعينك ما في القارة السادسة من العجائب التي لم تقبل لاحد سواك من الناس غير سكنوسيم فالك ان تسأل هذا السؤال خصوصاً ونحن حتى الان لم نصادف مانعاً يمنعنا من التقدم فما الذي يكرهنا على الرجوع

قلت لاشي سوى عدم وجود طريق نسلكها فان الشق الذي لولاه لم تنبطن من الارض شيئاً واحداً انتهى بنا الى هذه المغارة وليس لنا سواه قال ما اعجلك بالحكم يا اكسيل فمن اين تعلم اننا لا نجد وراء هذا البحر في البر الثاني شقاً اخر ينتهي الى مركز الارض وهل ان العوامل الطبيعية التي احدثت ذلك الشق في الطبقة العليا من القشرة الارضية غير قادرة على احدث مثله في الطبقة السفلى منها على انك تعلم ان سكنوسيم سار قبلي على هذه الطريق وانتهى منها الى قلب الارض وانا ما دمت سائراً على اثره فلا بد لي من بلوغ المأمول قلت وما هو طول هذا البحر فيما نظن

قال سنعلم ذلك غداً اذا ركبنا ظهره

قلت اجل واين السفينة التي ستحملنا فاني لا اراها ولا اعلم أخبارية هي ام

شراعية

قال سفيقتنا طوف قوي متين كافٍ لحملنا وحمل امتعتنا وهو ابسط السفن تركيباً وبعدها عن خطر الفرق وسوف يتضح لك انه على بساطة تركيبه وقرب ظهره من المياه افضل من سفن شركة اللويد المتساوية ان لم تقل افضل من غيرها

قلت أترع انك مدحناه يا عماء ولكن اين هو فاني ارى الميناء خلواً من كل انواع المراكب على الاطلاق

قال ألتست سمع صوتاً ما من وراء هذه الائمة
فاصغيت قليلاً ثم قلت بلى فاني اسمع صوتاً بعيداً كصوت ضرب الفأس
على الخشب

قال هذا طرق مطرقة هنس وهو الان مشغول ببناء الطوف
قلت ومتى قطع الاشجار اللازمة لبنائه

قال الاشجار كانت مقطوعة بفعل الطبيعة من اجبال عديدة
ثم قال اتبعني وسار امامي نحو الائمة التي اشار اليها وبعد مسير ميل
اشرفنا على فرضة صغيرة جميلة التكوين محتوية عن الريح بصخور هائلة وكان
بجانبيها هنس مشغولاً ببناء الطوف وحوله من جذوع الاشجار ما يكفي لانشاء
عمارة بحرية تناظر عمارة انكلترا البحرية ولما دنوت اليه رأيت الطوف قد تم معظمه
وهو مبني من جذوع اشجار غريبة النوع مشدودة بعضها الى البعض الآخر على
شكل باب

فبعد ان تأملت ذلك الخشب برهة سألت الاستاذ عن جنسه ونوعه
فقال بعضه من الصنوبر والارز والعرعر وبعضه من السرو والشربين وكلها
انواع من الفصيلة الصنوبرية التي تنبت في البلاد الشمالية وقد تنجرت بفعل
مياه البحر فصارت كاتراها والخشب الذي في هذه الحالة يدعوه العلماء خشباً حجرياً
قلت ان كان كذلك فهو كالقزم الحجري شديد الصلابة ولا يطفو على
وجه الماء

قال قد يكون ذلك فان بعض الخشب الحجري يتحول الى انتراسيت
حقيقي وبعضه يكون غير تام التحول كالخشب الذي امامك وهذا لا يزال ثقله
النوعي اخف من الماء فيطفو على وجهه

ثم اخذ قطعة من ذلك الخشب واثقاها في البحر قائلاً انظر بعينك فاستقلت
الخشب قليلاً ثم طفت على وجه الماء وصارت تنمايل مع الامواج بيناً وشالاً

كأنها قرط خودٍ أو فماد شجرٍ لاقى الحبيب والقلب رعديدٍ
وفي مساء اليوم التالي فرغ هنس من بناء الطوف وكان طوله عشرين قدماً
وعرضه خمسة وهو مؤلف من جذوع قوية مشدودة الى بعضها بجبال متينة
شدّاً وثيقاً وله صارٍ واحد ودفة فاصطنعنا له قلعاً من اغطيتنا السفرية ودفعناه
في مساء ذلك اليوم الى البحر فطفا على سطحه والبشر يلع في وجوهنا وكان
لنزل ذلك الطوف الى الماء مشهد عظيم لدينا أكبر من مشهد نزول المدرعة
الاولى التي اصطنعها الانسان ثم شددناها بجبل الى صخر من صخور الشاطئ
وتركناه لتلاعب به الأمواج ورجعنا الى المبيت على عزم ركوب البحر في صباح
اليوم التالي الذي هو اليوم الخامس عشر من شهر اغسطس

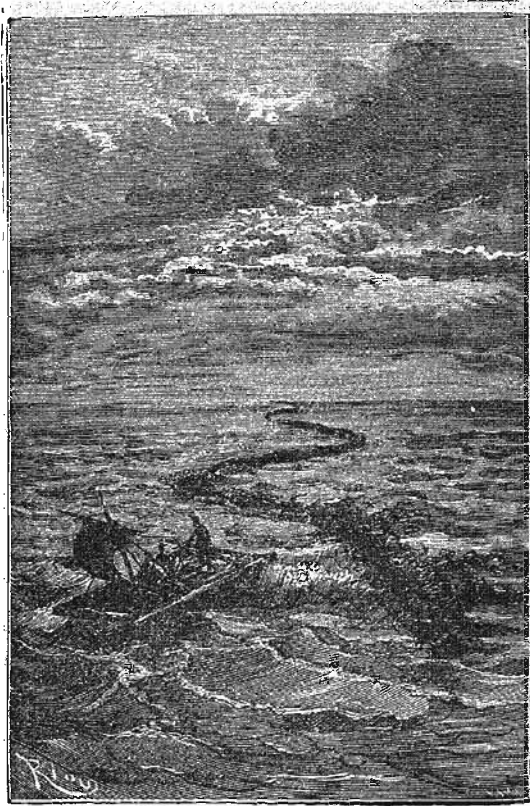
ولما جاء الصباح اتينا الى المينا بامتعتنا وادواتنا وقلناها الى الطوف ثم
جلسنا بجانبها وكما قد ملأنا قريتنا من جدول هنس ثم نشرنا الشراع واستلم
هنس الدفة وحللنا عروة الحبل الذي كان الطوف مشدوداً به فاندفع بنا على
سطح البحر سائراً سيراً لطيفاً غير بطيء ولا عنيف مر السحابة لا ريث ولا عجل
فالتفت اليّ الاستاذ وقال هل ركبت قبل الان ظهر سفينة اطوع اليك
من هذا الطوف يسير بامرك ويقف بامرك لا تكلف له انتظاراً ولا تغرم له ثمن
تذكرة ولا تدخل تحت امرة ريان ولا يفرض عليك حجر صحي

قللت اما التذكرة والريان فكماتقول واما الحجر فاصعب ما يقاسيه المسافرين
فيه الاتعداد من العمران فغنن انن في حجر دائم

وقبل ان نخرج من المينا اراد الاستاذ ان يضع لها اسماً فعرض عليّ ان
يدعوها باسمي فقلت بل نسماها باسم ابنة عمي غريبة لانها كانت راغبة في هذه
الرحلة واثقة بنجاحها وهي التي شددت عزمي على مصاحبتك فمن العدل ان
يكون لها فيها ذكر هذا فضلاً عن ان مرفأ غريبة اجل منظراً في الاطلس
من مرفأ اكسيل كما انه اعذب في الفم واحلى في السمع فاتقاد الاستاذ الى رأيي

وعلق اسم مرفاء غريبة على رقعة الاكتشافات
وريثا خرجنا من المينا تعرضنا للريح وكارت هبوبها من الشمال الغربي
فساقنا امامها وهي تكسعننا كسعا ولشدة كثافتها كانت تدفع الطوف بقوة عظيمة
فلم نسر مقدار ساعة حتى ابتعدنا عن الشاطئ مسافة اربعة اميال على ان
مسيرنا كان بدون عنف ولا انزعاج لان الطوف كان مارا بنا كالسهم على
خط مستقيم لا يميل يميناً ولا شمالاً ولم نلبث ان غابت جوانب البر عن
ابصارنا

وعند الظهر صادفنا جبالاً طويلة من الاشنة ممتدة على وجه الماء تدهش
البصر مجيها وتخير الفكر بهائها وعظم حجمها والاشنة نبات بحري شبيه بالظلمب
ينبت احيانا على عمق ألف ومائتي قدم من سطح البحري تحت ضغط اربعة
جلد ثم ينمو حتى يبلغ سطح الماء ويمتد عليه شبكاً واشراكاً واذا تألف وتكاثف
منع السفن من المسير وكثيراً ما تقع السفن في اشراكه فلا تخلص منها الا بعد العناء
الشديد والجهد الجهميد على ان كل ماراه العلماء من الاشنة على ظاهر الارض
لا يذكر في جانب ما رأيناه منها في بحر ليدنبورك فاننا قد سائرنا بعض حبالها
مسافة ثلاثة او اربعة الاف قدم ولم نزل نخل تلك الحبال العجيبة وانا اتامل
في عظمتها وغريب نموها واقتكر فيما كانت عليه الارض في الايام الاولى ايام دولة
النبات اذ كانت الحرارة والرطوبة متسلطتين على وجهها بلا منازع الى ان جاء
المساء اي الوقت الذي تغيب فيه الشمس عن مدينة هيرج (اذ لم يكن في الحقيقة
عندنا لا مساء ولا صباح لان النور المنتشر في الهواء من الظواهر الكهربائية
الموجودة ثمة ثابت على حال واحدة) فتناولنا الطعام ثم اضطجعت بجانب الصاري
ونمت ملء جفني وتركت هدساً جالساً عند الدفة على ان سفيقتنا كانت في غنى
عن ربان يقودها لان الريح كانت تجري بما نشتهي فلم يكن لنا اولى من تركها لما



فاننا قد سابرنا بعض حبالها مسافة ثلثة او اربعة الاف قدم (صفحة ١٥٠)

الفصل الثالث والعشرون

بعد ان قمنا من مرفأ غربية وانساب بنا الطوف على وجه المياه انسياب
الافعوان متجهاً الى حيث تشتبي الرياح وتنزع اهواء الاهوية اقبل الاستاذ بوجهه
عليّ وقال تعلم يا اكسيل اني منذ ولجنا فوهة بركان اسنفل لم اغادر من الحوادث
شاردة الا سطرعتها ولا آبدةً الا قيدتها في دفتر المحوِّطات ليكون تذكرة لنا عند
الحاجة كما قبل

العلم صيد والكتابة قيده قيد صبودك بالمجال الواتته

فمن المحاجة ان تصيد غزالة وتفتوها بين الخلائق طائفة
ولكننا الان في مجرّم الغرائب كثير الحوادث والعجائب وربما تفضي لي
كثيرتها الى اغفال بعضها او تسيني رعاية الطوف شيئاً فارى للوصول الى
الحقيقة ان ينظر اليها ببصرين ويبحث عن مكوناتها بفكرين عملاً يقول الشاعر
العربي

اجمع لرأيك رأي غيرك واستشر فالرأي لا يخفى على شخصين -
المرء مرآة تراه وجهه ويرى قفاه بجميع مرآتين
فانا لذلك اشير عليك باتخاذ دفتر مخصوص لاثبات جميع ما يقع لنا من
الحوادث التي تستحق الذكر في اثناء سفرتنا البحرية وكل ما يتعلق بها سواء كان
من قبيل الاكتشافات العلمية او التغيرات الجوية فاستحسنتم ما قال واخذت على
نفسي ان لا ادع من الوقائع صغيرة ولا كبيرة الا علقتها في دفترتي فاقصر في
الحديث الان على سرد تلك الاسطر اليومية كما هي بدون تصرف ولا تعديل
خوفاً من الوقوع في الزيادة او النقصان لاني قد كتبتها بيدي تحت تأثير الحوادث
في حال وقوعها على اني اضرب صفحاً عما يتعلق منها باليوم الاول اذ قد سبق
الكلام عنه بالاسهاب

يوم السبت وهو السادس عشر من شهر اغسطس
الرياح ريج الجرياء - مسير الطوف سريع وهو يجري الى الجنوب الشرقي
على خط مستقيم - لا شيء في الافق سوى السماء والماء - النور باق على
حاله - الطقس جيد اعني ان الغيوم مرتفعة جداً قليلة الكثافة وهي بيضاء
كالثلج او اللجين المذاب

الترمومتر على الدرجة الثانية والثلاثين
عند الظهر اخذ هنس فدره من اللحم وانشبهها في صنارة والقي الخيط في الماء
فمضت حصة من النهار بدون ان يعلق بها شيء حتى كدنا نجزم بخلو بحر

ليدبروك من السمك ثم اضطرب الحيط اضطراباً عنيفاً فجذبه هتس اليه وإذا
بطرفه سمكة شبيهة بالخيارى تتنفض قوياً

كانها يد منفلوج عراه شجاً وراعه الذعر وإنتاجه حماه

فاخذها الأستاذ بكلتا يديه وضمها الى صدره خوفاً من ان تفلت

ولما وقع نظري عليها قلت اهلاً وسهلاً بملكة المخدرات الجرية وسيدة
الطائفة الخييارية صاحبة الوجه البيهي والطعم الشهي لقد اطلت الهيرضاً
بالوصال واكثرت من التعزز والدلال علماً منك بما خصك به ذو الجلال من
الحسن والجمال واللاطف والكمال على انك قد نزلت على قوم يعرفون قدرك
وعلو شأنك ولا يجهلون فضلك على اقرانك يعتقدون عليك الخناصرو وبعضون
عليك بالنواجد ويسكنونك القلوب وانت احب اليهم من يوسف الى يعقوب

فتبسم الاسناد لهذا الكلام وقد علم ان نفسي سئمت اللحم القديد ثم تأمل
السمكة برهة وقال لقد اخطأت يا أكسيل ولم تعرف نزيلنا حق المعرفة فان هذه
السمكة رأسها مسطح مستدير وجسمها مغطى بصفائح عظيمة وفوها خال من
الاسنان وهي بدون ذنب ولها زعانف كبيرة في صدرها فهي والخيارى من فصيلة
واحدة الا ان كلا منهما نوع قائم بنفسه وبين النوعين بون جوهري في التكوين
من وجوه عديدة

فدققت النظر اذ ذاك في تلك السمكة الغريبة وعرفت ان عي مصيب في
قوله ثم اردف كلامه قائلاً هذه السمكة قد انقرض نوعها عن وجه الارض قبل
ظهور الانسان بالوف الوف من السنين وقد وجد العلماء دفاتنها في الصخور
الديفونية

فاخذني الطرب لوقوع تلك السمكة العزيزة النوال في قبضة يدنا ثم سألت
الأستاذ عن اصلها وفصلها فقال هي من نوع المنجحات من فصيلة المسطحات
الرؤوس من رتبة المجانويد اي ذوات الحراشف الالامعة ولكنها تختلف عن

نوعها في شيء واحد

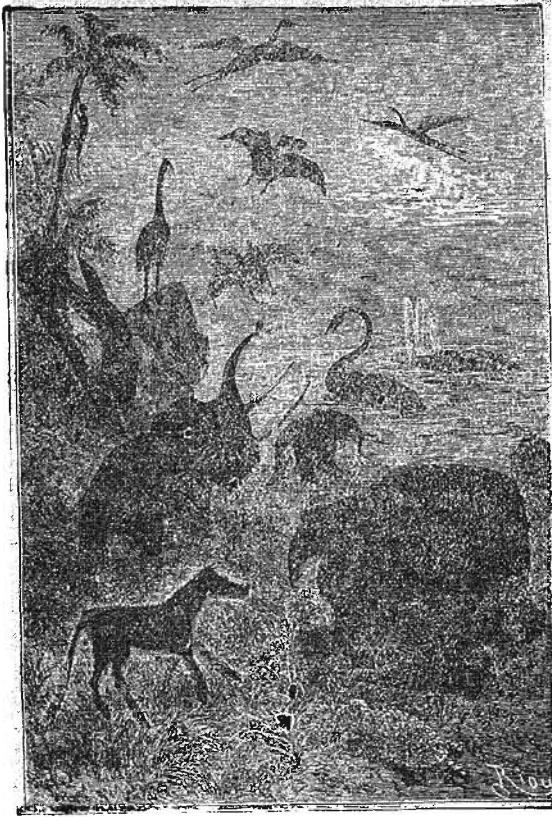
قلت وما هو

قال هي عذبة العينين كغالب الاسماك التي تحت وجه الارض
فحققت النظر فيها واذا هي كما قال الاستاذ وفي بقية النهار اصطدنا نيقاً
وعشرين سمكة بعضها من النوع المذكور وبعضها من نوع غريب لم يعرفه الاستاذ
الا انه ينطوي تحت فصيلة الديتيريداي ذوات الجناحين وكلها عذبة العينين
فسررنا بذلك الصيد سروراً عظيماً لانه زاد في زادنا وتنوع به ماكلنا على ان
الصيد حالة الاصطياد احب الى الانسان منه حينما يقدم في الزاد

ولرب نزاعٍ لامر راقه منه البداية لم يرقه المنتهى

ثم جلست اتأمل في تلك الاسماك الغريبة التي بادت واقرضت عن وجه
البسيطة من اجيال عديدة واخذت افكر في التغيرات التي طرأت على الارض
منذ كانت كتلة ملتصقة الى ان صارت صالحة لسكنى الانسان فاتسع بي المجال
وشطحت في وادي الخيال فانتقلت على جناح الافكار الى العصر الماضية ايام كانت
الارض ماهولة بحيوانات هائلة تزيد اضعافاً مضاعفة في القوة والحجم على ما يقار بها
شكلاً وتكويناً من حيوانات هذا الدور فجلت لي عرائس الكائنات وانجلت
امامي اسرار الموجودات ونظرت اليها بمنظار التعقل في مرصد التأمل فرأيت
تلك السلاحف القديمة سائرة على وجه الماء وهي كالمجذائرومن حولها الضباب
البحرية على اختلاف انواعها ثم مرت امام عيني ذوات الاثنية البرية من
الليتوتير يوم الذي غثر العلماء على بقاياها في مغائر البرازيل باميركا حتى الميريكوتير يوم
الذي وجدت دفائنه في اقاصي انحاء سيبيريا المتجمدة على حدود القطب الشمالي ورأيت
اللوفودن رابضاً وراء الصخور يترصد فرصة للفتك بالانوبلوتير يوم حيوان عجيب
التركيب غريب التكوين يحاكي في بعض اعضائه الفرس والكركدن وفي البعض
الاخر فرس النهر والجمل فكأن في الخلق جل جلاله بعد ان فرغ من خلقه الحيوانات

مفصلة الى انواع اراد ان يجعل لها فلكة اجمالية اشارة الى اتمام العلية
ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
ثم رأيت الموث الجبار يضرب بحر طومه الاشجار فيسحقها سحقاً ويطعن بانيا به
الصخور فيدقها دقاً والمجاثير يوم يزق اديم الارض ببرائته وله زئير هائل يذعر
الجن في مساكنها والبروتوبتيك وهو الفرد الاول الذي ظهر على وجه الارض
يتسلق الاشجار الباسقة فراراً من وجه الضواري التي تطلب افتراسه ثم رفعت
نظري الى السماء فرأيت تلك الزحافات المنجحة الغربية التخلق الهائلة المنظر المعروفة
بالبيرودكتيل ساجدة في الهواء الكثيف وهي كالطير في رؤوسها وطول اعناقها
وكالخنفاش في اجتماعها وذوات الاندية في ابدانها واذنابها ولها اسنان محددة
تناهز الستين وخصاصها زائدة في الطول مغطاة بغشاء كجنح الخفاش ومعنى
بيرو دكتيل المنجحة الاصابع وهي على انواع بعضها اكبر من النعامة باربعة
اضعاف او خمسة وقد عثر العلماء على دفتائها في طبقات الصخور البيضية وهي
الرتبة الثانية من رتب الصخور المتوسطة الحياة ثم رأيت في اعلى السحاب طيوراً
اعظم من تلك حجماً واشد بأساً تخرق الغيوم كالسهام الطائشة حتى اذا بلغت
اعلى الجواثنت راجعة على اعقابها وانهضت على الارض اقتضاض الصاعقة
ياحميل العنقاء وهي هباء حيث تبدو هذي الطيور الهوائيل
قد اضعفت الزمان في غير معنى واطلت الجداول من غير طائل
فهي ما انصرفت اعظم بأساً قد يكون الصحيح قول الاوائل
وبعد ان وقفت برهة اأمل في عظمة تلك الحيوانات التي جمع العلماء
هياكلها من اقطار العالم الاربعة واعادوا بناءها كما كانت توغل في ظلمات
الماضي طائراً على جناح الافكار ماراً بكل درجات السلم الحيواني من اعلاها الى
ادناها فشرت ما طوى الجديدان في الاكفان من انواع الحيوان منذ ابتداء الزمان
ثم طويت الاجيال والدهور والادوار والعصور فاضمحت من امام عيني ذوات



وبعد ان وفقت برهةً انامل في عظمة تلك الحيوانات (صفحة ١٥٥)

الاندية ثم الطيور ثم الزحافات ثم الاسماك ثم الاصداف والابواق ثم الحيوانات
الشبيهة بالنبات فسرحت طرفي على وجه البسيطة وهي اذ ذاك على حال واحدة
من الحرارة والرطوبة في كل الفصول والمناطق فلم ارا الا جزائر شاخصة واخرى
غائرة والماء بين مد وجزر واندفاع وانقشاع واليابسة بين نخوص وخسوف
وانخفاض وارتفاع وهي قدر يلقع ليس فيها من يرى ولا من يسمع ثم توغلت ايضاً
في القدم ممياً وجهة الازل فرأيت الارض مغمورة بالمياه وهي تغلي غليان القدر
على النار والبخار يتصاعد كثيفاً من كل جوانبها وقد ملاء الجلد وما لبثت ان

تحولت باجمعها الى بخار ملتهب منير كالشمس التي انفصلت منها ثم انتقلت بسرعة
الفكر الى الشمس انا وهي اكبر من ابتها الارض بالف الف ومائتي الف ضعف
ومتوسط بعدها عنا على اختلاف الفصول ٩١٤٣ ٠٠٠ ميل مسافة لا يقطعها
النور الا في ظرف ثنائي دقائق وبضع عشرة ثانية على اني قطعتها باقل من
لحظة عين

هذا وما زلت نائمًا في قفار الصورات غائصًا في بحار الافكار اقطع فداديد
المباحث واجول في مبادي العقولات تطاردني الفكر وإطاردها منتقلًا من وهاد
الاهام الى جبال الخيال ومن اغوار الظنون الى روابي اليقين حتى ذهلت عن
عالم المحسوسات ونسيت نفسي وعي وهنسا والطوف ولما رأي الاستاذ متغير الوجه
كمن غاب رشده او ضاع عقله ناداني باسمي قائلاً مالي اراك يا اكسيل تائه
الفكر مذهولاً احذر من ان تسقط في البئر ولكني لم اسمع ولم اجب وكنت انظر
اليه ولا اراه وما انتهيت لنفسي وعدت لحسي الا لما جذبني هنس بعنف نحو
وكنت على وشك السقوط فافقت من غفاتي ورأيت عي قلماً مضطرب البال
فقال لي مالك يا اكسيل ماذا جرى لك

قلت اخذني الذهول برهة وقد زال الان بالكلية ولكن كيف الرجح

ومسير الطوف

قال الرجح لم تزل في غاية المناوبة كما ترى والطوف سائر بسرعة الطير وان
صدفني ظني واستمرت الرجح على حالها حتى الغد فلا ننظر الا ونحن على البر الاخر
وكانت قد جأت الساعة السادسة من المساء فانتكأنا لمناولة الطعام ثم
اضطجعنا للنوم بعد ان قبض هنس راتبه الاسبوعي عند اقضاء الساعة السادسة
على الكمال والتمام



الفصل الرابع والعشرون

يوم الاحد وهو السابع عشر من الشهر

لم يزل البحر هادئاً والريج على حالها على ان الغيوم ابعد مما كانت عليه في
اليوم السابق ونطاق البصر اوسع ومع ذلك لم يزل البر محجوباً عن نظرنا وراء
الافق

ارى عي واحماً يكاد يتميز من الغليظ نارة ينظر ابي جوانب الافق بمنظاره
وطوراً يدمدم بكلام غير مفهوم

يهمهم كالذي يلو رفاه ليخضر جنة وقت الدجّة

وينظر للسما بعين مقتّر كأن به معاذ الله جنّه

ولما رآه على تلك الحال قلت له بصوت المشفق ما لي اراك يا عماء ضيق

الصدر كن قد البصر

فاجاب بنفور وكيف لا اعدم الصبر ومجرنا لا اخرلة

قلت لا موجب فبا ارى للتشكي فان الريج مناسبة جداً والطوف سائر

بنا بسرعة الطير وعندنا من الزاد شيء لا كثير

قال لست اشكو بقاء السبر بل طول البحر لان كل الوقت الذي

نصرفه على ظهره ذاهب سدى وكل مسير على طريق غير متخذة احسبه من هذا

القبيل

وهنا حططنا في المساء رحالنا لدى الجباب الثاني فهل ذاك نافع

اذا المركز الارض عز طريقه علينا فكل الجهد والمجد ضائع

قلت كيف يضيع جهدنا وجدنا ونحن على اثر سككوسيم

قال هنا محل الريب فهل نحن حقيقة على اثر سككوسيم وهل صاف

سككوسيم هذا البحر واجاراه او خاتنا الجدول الذي اتخذناه دليلاً وعدل بنا عن

الطريق المؤدية الى قلب الارض

قلت مها يكن من الامر فلا يحق لنا ان تدمير لان هذه المناظر الجميلة
تغل الانظار وهاته النسائم العليقة تعال الافكار
أفلا ترى الامواج ترقص نحننا والريح تتبع ذاك بالتصفيق
والجو يسيم عن ثنايا مزنه جذلاً ويضحك عن وميض بروق
قال بس يا اكسل فاني ما عمدت الى هذه الرحلة طلباً للترفة والفرجة
ولكني قصدت امراً ولست ارضى عنه بدلاً فدعني اذن من المناظر الجميلة
والقيصة والنسائم العليقة والصحيفة وذرني من تصفيق الرياح ورقص الامواج
ولا تشغل سمعي بقالاتك الخيالية وتصوراتك الشعرية
فامسكت عن الكلام وقد علمت ان عي عاد الى ما كان عليه من العنف
والخشونة الجبول عليها وما كان لينه في الايام الاخيرة ورفقه بي عن تغير في طباعه
ولكن عن المصائب التي توات علي وكادت تنقذني الحياة
يوم الاثنين وهو الثامن عشر من الشهر
الجو باق على حاله غير ان الهواء ابرد من ذي قبل
لم يزل البصر مقتصراً بين السمة والماء فارداد بحر ليدنبوك عظمة في اعيننا
حتى صرنا نفيسه بالمحيط الا لتلتبكي او على الاقل بالبحر المتوسط
قبيل الظهر اخذ الاستاذ معولاً من أكبر المعاول الحديدية التي استصحبناها
وربطه بجمل طويل والقاه في البحر ليسبر غوره فلم يبلغ الفعر فوصل الجبل باخر
وهذا بغيره حتى صار المعول على عمق ثلاثمائة وخمسين متراً ومع ذلك لم يصل
الى القرار فعلمنا ان ذاك انه بعيد المنال لا يفيد في الوصول اليه موصولات الجبال
وشرعنا في رفع المعول فلم تيسر لنا ذلك الا بعد عنه شديد ولما صار على سطح
الطوف اراني هنس عليه اثرا نياپ منطبعة على الحديد كما تنطبع الصورة على
الهيمن فاقشعر بدني وفتنذ ودققت النظر في ذلك الاثر فتبين لي منه ان
الانياب مخروطة الشكل كاسنان التماسح وعلمت من فعلها ذلك الفعل المائل

في الحديد انها ليست الا اتيان صب من المضارب القديمة التي اقترضت عن
وجه الارض قبل العصر التاريخي وهي اشد الحيوانات القديمة بأشأ واقواها بنية
وكم من غرائب خفيت عن الانسان وهو فيما يزعم اغرب الحيوان

الى متى الانسان لا يرعوي عن الهادي في جهالاته
يرى وجود الخلق من اجله والكون مخلوقا لمرضاته
وهو كليل العزم وهي القوى مستضعف الهمة في ذاته
وبعض ما يرميه بالضعف قد يعجز حتما عن مواراته

وتذكرت وفيها ما قرأته عن هذه المضارب من ان بعض العلماء عد في ثم
واحد منها الثمن واثنين وسبعين سنا فاشد خوفا وزداد قلقي واما الاستاذ فبعد
ان انعم النظر في حديد المعول اخذ يستشف حجج الجريمة وشمالا فعملت انه
موافق لنا في رأينا فلعلت في سري ذلك الفكر الذي جاءه بالسير وقلت ماذا ضره
لو ترك ذلك الحيوان ساكنا في مريضة فاذا برز الان من تحت المياه وهم علينا
أفلا يحطم الطوف بانيابه خطا ويدق رقابنا دقا ثم اخذت انتقد الاسلحة وفي
اعتقادي انها لا تقني من الدفاع شيئا بالنسبة لهذا الحيوان الهائل كما قيل
وما هرة المذبح تجدي وانا حلاوة روح الشخص تلجيه للدفع
فراقي الاستاذ على ذلك واوما برأسه استحسنانا

وفي ذاك الوقت رأيت المياه في اضطراب فعملت ان الخطر قريب وبينما
نحن نرصد جوانب الطواف واذا بصدمة عنيفة اصابه من حيث لا ندرى فدفعته
بنا الى بعد ثلاثين مترا وقد ارتفع عن سطح الماء الى علو يضع اقدام فعرانا من
الوجل ما عظم وجل ولما اتبهننا من الذهول الذي استولى علينا ابصرنا على
قيد غلوة منا حيوانا هائل المجنة ضارب اللون الى السواد يرتفع مرة ويهبط اخرى
والمياه تضطرب من حوله اضطرابا عظيما

كان البحر مملوء سفينا نسابق بعضها عند القتال



وإذا بصدمة عينة أصابه من حيث لا يدري (صفحة ١٦٠)

فقال الاستاذ هذا خنزير بحر لم أر في حياتي خنزيراً يقاربه في عظم الجبنة
فقلت وها بجانبه تمساحاً هائلاً فاغراً فاه اعوذ بالله من هذه الاسنان
التي هي اقوى من الرمح

فقال اي وايلك ولا عجب اذا طحن بها الحديد
ثم قال ها قد انضم اليهما حيوان ثالث وهو الحوت ألا ترى كيف يضرب
الحجر بزعمانه الشديدة وكيف يندفع الماء والهواء من خياشمه الى علوشاق
ولما رأينا تلك الحيوانات الهائلة اخذتنا الدهشة وعما الاضطراب ووقفنا

مذهولين ثم اشرت الى هنس بان يتعد عنها لان اضعف واحد منها قادر على ابتلاعنا باستعنا ونحطيم طوفنا بضربة واحدة من انيابه غير اني ابصرت في ذلك الوقت حيوانات اخرى مقبلة علينا من الجانب الاخر ليست دون الاولى قوة ولا اقل منها خطراً فتبينتها واذا هي سلخفاة يبلغ عرض ظهرها اربعين قدماً او اكثر وحية هائلة لا ينقص طول القسم الظاهر منها فوق الماء عن عشرة امتار وهي تلعب برأسها يميناً وشمالاً بما يوهن القوى ويضعف العزائم وعلائم الشر بادية بين عينيها

فشر مقبل يملوه شر يفوت العمر منه ولا يموت
غيت لمن له بصر وسع يرى هذا البلاء ولا يموت

فلما رأينا تلك الهياميت ونحن بينها كالمعصم احاط به السوار واخذ عظه عليه التقصير قطعنا الرجاء من الفرار وندمنا حيث لا ينفع الندم وقد استولى علينا اليأس والوجل وايقنا بجلول الاجل ثم اخذت تلك الحيوانات تحوت علينا دائرة حول الطوف كالخطيف وهي تضيق دائرة حوثانها مقترة مناشيتاً فشيئاً وفي ذلك الوقت اخفنت كل الحيوانات التي كما رأيناها في بادئ الامر الا التساح والحجة وكانا يدوران حولنا ولا يجتمعان كأنما توافقا على ان يمسكا علينا المرصد ويسدا في وجوهنا جميع المهرب وقد اشتدت علينا الازمة وتعذر علينا الخلاص وعلما انه لات حين مناص فاحذنا البنادق بايدينا استعداداً للدفاع عن ارواحنا ولكن هيهات ان يفعل الرصاص في تلك الاعداء المدرعة بجراشهم كالقولاذ وجلود كالحديد وبينما نحن في ذلك المقام الحرج والمركز الخطر واذا بذنيك الحيوانين الهائلين قد التقيا على بعد مائة خطوة من الطوف فكشرا عن قواطع لامعة تضارع انياب الفيل ونواجز قاطعة تنجز العمر الطويل فقلت

عسى الله يلقي في الاعادي خصومة فتشغل عنا اذ يشب لظاها
ولا فاناً هالكون ضرورة واين قوانا من عظيم قواها



فاهتز البحر لاصطدامها وشب الماء من بينهما مزبداً (صفحة ١٦٢)

وما فرغت من الدعاء حتى اقتض كل منها على الآخر فاهتز البحر
 لاصطدامها وشب الماء من بينهما مزبداً واخذ في عراك وفتال تشيب من هوله
 الاطفال فاشرت لهنس بانتهاز تلك الفرصة للفرار ولكن الاستاذ ابي الا انتظار
 على بعد غلوة من محل القتال للوقوف على نتيجته
 وفي ذلك الوقت، رأيت الحيوانات الاولى التي كانت اخفت برهة مشتبكة
 معها في العراك وهي تظهر مرة وتختفي اخرى فأريتها لهنس فاوماء برأسه ان لا
 وابدى اصبعين من اصابعه بمعنى ان القتال بين اثنين فقط

فقلت كيف ذلك الا ترى الخنزير والحوت والسحفاة

فقال الاستاذ وكان المنظار بيده دقق النظر يا اكسيل فان هنساً مصيب في قوله لان احد هذين الحيوانين له خطم خنزير البحر واسنان التمساح ورأس الضب وزعانف الحوت وهو الايكتيوزوروس او الضب السمكي والآخر هو البليزيوزوروس وهو عدو الاول الالذ ويمتاز عنه بصغر رأسه وطول عنقه وهو يشبه الضب في رأسه والتمساح في اسنانه والسحفاة في قوائمه ودرعه العظمي والحرباء في اضلاعه والحبة في عنقه

وبعد ذلك اعطاني المنظار فانعمت النظر في الحيوانين اللذين ذكرها وإذا ها كما قال وكلاهما من الحيوانات التي انقرضت وبادت عن وجه الارض قبل ظهور الانسان يالف جيل فرقت مندهشاً من شدة بأسها وقوة اعضائها وكان طول الحيوان الاول اى الايكتيوزوروس نحو مائة قدم وكل واحدة من عينيه بقدر رأس الرجل او اكبر وطول الحيوان الاخر لا يتقص عن ثمانين قدماً

ولم يزل في عراك وحدام وعناق وضام واقدام واحجام وهجوم ودفاع وهبوط وارتفاع وصي بصم الآذان وزئير تشعشع منه الابدان وهما تارة يقتربان من الطوف وطوراً يتعدان مقدار ساعة بل ساعتين من الزمان حتى صار البحر بلون الارجلوان ثم غاصا في لبح البحر وهما متعاقبان وبعدان غابا عن ابصارنا بضع ثوان عاد البليزيوزوروس الى سطح الماء مجرداً من درعه العظمي وفي جنبه جرح بليغ فقال واخذ يتقلب على سطح البحر ويضرب الماء بعنقه ذات اليمين وذات الشمال والدم يندفق من جراحه مندفعاً الى بعد بضعة امتار كأنه نبع فوار ولم يزل يجنبط اخنباط النزاع مقدار بضع دقائق وبعد ذلك ضعفت حركته وقلت قوته ثم فارقه الحياة فطفت جثته على وجه الماء كأنها جثة مارد من مردة الجان وبعد حصة من الزمن سكن اضطراب المياه وعاد البحر كما كان كم شدة ضاق عنها الذرع وانفجرت وموقف بعد فرط الضيق تسع

وبعد ذلك اطلق هنس للطوف العنان خوفاً من ان يعود الابلكتيوزوروس
من تحت الماء وليس من يشغله عنا فيتفرغ لنا وقد ظهر لنا من شدة بطشه ما
جعلنا تقطع بعدم قدرتنا على مغالبته وكانت الريح شديدة فلم يكن كحل عقال
حتى خرجنا من دائرة الخطر وصرنا في محل الامان



الفصل الخامس والعشرون

يوم الثلاثاء وهو التاسع عشر من الشهر

ما برزت غرة الصبح نلوة طرة الدجى كاليأس يتلوو الرجا الا وبيننا وبين
محل الواقعة فراسخ وامبال ومسافات طوال وكان قد طال علينا المطال وثقل
علينا الترحال فعاود عني الضجر والملال وما كنت لاشتهي زوالها بمثل حوادث
اليوم الفائت

فج السامة في ظل الامان ولا حسن التسلي ما نوع من الوجل

يوم الاربعاء وهو العشرون من الشهر

الهواء حار والريح غير ثابتة على حال ومعدل سرعة مسير الطوف ثمانية
امبال ونصف ميل في الساعة

عند الظهر سمعنا دويًا بعيدًا مستمرًا فاثبت الامر في هذا الدفتر غير عالم

بحقيقته

ولما سمعنا الاستاذ قال هذا صوت اصطدام الامواج بمحيرة او صخر عظيم
قام في وسط الماء فصعد هنس في الحال الى اعلى الصاري واخذ يستكشف
جوانب الافق فلم ير شيئاً ما ذكر الاستاذ وبعد ان سرنا مسافة ثلاث ساعات
ازداد الصوت قوةً ووضوحاً وظهر لي انه صوت سقوط الماء من شلال بعيد
فاخذ مني القلق كل مأخذ وقلت ان صح ذلك فهذه مطقة الرضف والطامة
التي لا ينفع معها اسف ومن قال اننا نركب الاخطار ونجود من المضار

ومن يتخذ ارض الافاعي محبة فلا بد ما تدنو اليه الاراقم
ثم قلت للاستاذ طالما ناقت نفسك يا عماه الى طريق عمودية تقربك من
مركز الارض فيها قد اناك الامر كما تريد
قال ماذا تعني بذلك

قلت ما هذا الصوت الذي نسمعه الا هدير شلال عظيم ينتهي اليه بحر
ليدنبورك باجمعه

قال حبذا لو صح ظنك يا اكسيل ولكنه بعيد الاحتمال بل مستحيل
فعميت من كلامه ووقفت انظر اليه وانا حائر في امره ثم قلت في نفسي لعلاه
قطع الامل من نباح رحلته فسئم الحياة وصار يؤثر الهلاك على الرجوع بدون
بلوغ بغيته فدنوت منه وقد اخذتني الشفقة عليه وقلت له بتلطف احالنا
نقضي بالياس يا عماه حتى انك صرت تشتهي الهلاك

قال ماذا حملك على هذا الظن وابن الهلاك الذي تشير اليه
قلت اما تميت ان يكون هذا الصوت هدير شلال تنتهي اليه المياه التي
نحن عليها

قال اي تميت ذلك وما زلت اتمناه
قلت وهل بعد سقوطنا من امل بالنجاة
قال رحم الله القاتل

وما الخوف الا ما تخوفه الفتى ولا أمن الا ما رآه الفتى أمنا
اعلم يا اكسيل ان السقوط من علو عشر اقدام على الارض اليابسة لاشد
خطراً من السقوط مع مياه شلال تصب في حوض بعيد القعر ولو كان علوه بضعة
الوف من اقدام لان الصدمة العنيفة التي يصادفها الانسان اذا سقط على
اليابسة من علو عشر اقدام ربما كانت كافية لان تكون عليه القاضية واما اذا
سقط مع مياه شلال في حوض بعيد القعر فلا يقف جسمه مرة واحدة عند

بلوغه ماء المحوض بل يستمر على النزول تابعاً مجرى مياه الشلال في قلب المحوض
بحيث يزول فعل السقطة شيئاً فشيئاً حتى يلاشى بالمرة ويعود الجسم الى ثقله
الطبيعي

فاخذني العجب من هذا المذهب وبقيت انظر الى الاستاذ نظرة المرتاب
في صحة رأيه فاردف كلامه قائلاً اما رأيت رفاصي الحبال يمدون شباً كأنهم
على علو يضع اقدام من الارض حتى اذا سقط احد منهم في اثناء اللعب يعود
الى حبله وما به من ضرر
قلت بلى

قال الناموس الطبيعي واحد في هذا وذاك ولو كان الهدير الذي نسمعه
صوت شلال كما ظننت لكنت اقول لك ستحقق من صدق قولي بالامتحان
ولكن الامر بخلاف وهذه الزجاجاة ثبت لك ذلك

قال هذا والتي زجاجة فارغة في الماء فبقيت حيث الفاها فقال لو كان
هذا الجبر ينتهي الى شلال قريب لكانت المياه تجري اليه بسرعة مع ما عليها والحال
ان الزجاجاة بقيت في المحل الذي القيناها فيه

فاتقنعت بهذا البرهان وإطمان بالي لاعتقادي بعدم وجود شلال لا تصديقاً
بالمذهب الفاسد الذي ذهب اليه الاستاذ من عدم وجود خطر كبير في السقوط
غير اني بقيت مشغول الفكر في امر الصوت الذي كما نسمعه لاني لم ارفيه ادنى
شبه بصوت اصطدام الامواج بالصخور ثم قلت لهله شلال يصب من سف
الغارة او من احد جوانبها في مجرى تدبيرك واخذت احدق ببصري الى السماء
والافق فلم ار شيئاً سوى الغيوم

وعند ذلك اعلى هنس الصاري واجال الطرف في الافق ثم وقف متفرساً
في نقطة منه فقال عي اظن ان هنساً رأى شيئاً وما اتم كلامه حتى نزل هنس
واشار بيده الى الجهة التي كانت ندفعنا اليها الرج وقال : هناك

فاخذ الاستاذ المنظار بيده ووجهه الى المحل الذي اشار اليه الدليل وبعد دقيقة قال هذه فوارة يندفع منها الماء صعداً فوق الامواج ثم يسقط على البحر فيحدث الصوت الذي نسمعه

فقلت ما هذا الاحيان جديد من الحيوانات القديمة

تمر مصيبة ونحيب اخرى وترحل غمة وتمل غمة
كأن الحزن مكتوب علينا فلا نرتاح يوماً من مله

قال ما ذلك بعيد

فقلت لمنس حول الدفة اذن بينة اوش لا لاننا قد رأينا شيئاً من هول تلك الحيوانات

فقال الاستاذ بل استمر سائر امع المرح لتكون على بينة من الامر
قلت اننا لم نج من ذبك الحيوانات الا بعد اللتيا والتي فكيف نخاطر بانفسنا الى التقدم نحو هذا الحيوان المربع

كيف لا نترك الطريق لسبل ضيق عن اتيه كل واد
غير ان هنساً امثل امر الاستاذ وارسل للطوف العنان في طلب الحوت الذي نرجح عندنا وجوده وكان ذلك منا ضرباً من الجنون لاننا لو حكمنا على عظم ذلك الحيوان من مقدار الماء الذي يدفعه من خياشبه عند التنفس لعلمنا اننا باخون على حفتنا بظلفنا ولكن

اذا اعتاد الفتى خوض المنايا فاهون ما يبره الوحول
ولم نزل المرح تكمننا ذاهبة بنا الى الجهة المطلوبة والهدير يزداد قوة شيئاً فشيئاً حتى الساعة السادسة من المساء فرأينا نفسنا على بعد خمسة اميال من الحيوان الموهوم وشاهدناه متداً على سطح البحر كأنه جزيرة والماء يندفع من رأسه الى علو الف وخمسة قدم حتى اذا بلغ اعلى السحاب انتشر كالقبة في السماء وسقط على البحر مطراً وبعد تدقيق النظر تبين لي ان طولها لا يتقص عن

الف وثمانمائة متر وهو ثابت على سطح البحر تصدمه الأمواج ولا تؤثر فيه فعاودني
الخوف عند ذلك وأردت أن أكره هنساً على تحويل الطوف عن محل الخطر
أأدنو إلى موتتي طائفاً والقي بنفسي إلى التهلكة

فاخذني الاستاذ من ذراعي وقال لي وهو يمس ما بالك بما أكسبل قد
قدت الشجاعة وأين البأس الذي أعهده فيك

قلت ما الشجاعة في مثل هذه الساعة الأجنون محض وما أنا ينفع البأس إذا
وقعنا بين فكي هذا الیهوت الذي لا تشبعة مائة حوت في اليوم على أن
الشجاعة لا تكون إلا حيث يهد لها الفكر موضعاً كما قبل

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول ولها المحل الثاني

فضحك الاستاذ وقال إذا كان هذا الیهوت لا يشبعة مائة حوت يجب
أن نكون مطمئن البال لأننا لسنا بالنسبة إلا كالبزغوث بالنسبة للإنسان فلا
يكسبه أكلنا لحماً ولا شحمًا ولا نسنه ولا نغنيه من جوع ولذلك لا يكلف نفسه
عناء ابتلاعنا

فحييت من برودة عي وهزله في المنام الذي كنا فيه وأخذتني حدة الفيظ
نأردت أن استلم الدفة من يد هنس بالعنف والقوة وأنا به قد تبسم وقال
جزيرة

فاستغرب الاستاذ في الضحك حتى استلقى على قفاه وسال لعابه على ذقنه
إما أنا فبعد أن أعدت النظر في الجسم الذي ألقى أفكارنا قلت وأي شيء هو
نن هذا الماء الذي ينبعث إلى أعلى الجو

قال هنس هذا غير

فاضاف الاستاذ قائلاً نعم غير كالغياسر العديدة التي في جزيرة أيسلندا
يهت من الخجل إذ وجدت حيث لا وجل وحسبت الجزيرة حيواناً مجرباً وحاولت
نكار الحقيقة برهة ولكنني اضطررت أخيراً إلى الاعتراف بخطائي



فجئناها من حيث لا نخشي سقوط الماء علينا (صفحة ١٧١)

وأما الغيسر فهو ينبوع حار يندفق منه الماء الى علو شاهق في نوب معلومة
والكلمة ايسلاندية الاصل تقابلها في العربية كلمة فوارة او شباة وقد يسبق
هيجان الغيسر دمدمة اشد من هزيم الرعد ثم يندفع الماء متقطعاً مغشى بحجاب
كثيف من البخار ثم يهيج برهة ويهيج اخرى وقد يتفرع من العمود الاصيل اجزاء
تفاوت قوة وبعداً فكأنها مظلات او قباب قائمة فوق بعضها تناطح اعلاها القبة
الزرقاء واذا انتشع عنها البخار ظهرت للناظرين افلاماً فضية تدهش البصر
بكثرتها وبهائها

ولما صرنا على قيد غلوة من الجزيرة امر الاستاذ هنساً بالدنو منها فجبناها من حيث لا نخشى سقوط الماء علينا وما كاد الطوف يلاصقها الا وقد وثبت عليها وتبعني الاستاذ واما الدليل فاقام على سطح الطوف لثقة اكثرائه بناظر الغياس التي لا يحصى عددها في وطنه اما الصخر الذي وقفنا عليه فخليط من الصوان والسليكا وهو حام رنان فكنا نسير عليه كأننا نسير على خلقين غاصة بالبخار الحار ولما بلغنا نصفه اشرفنا على حوض صغير محيط بالفوهة التي يندفع منها الماء وكانت المياه الحارة تندفع من جوانبه سائرة الى كل الجهات كالاشعة فالتفت الترمومتر في احد مجاريها فارفع زئبقه الى الدرجة المائة والثالثة والثلاثين فثبت لي ان تلك المياه صادرة من محل ملتهب فاطلعت الاستاذ على تلك النتيجة لعلمي انها تناقض مذهبه فاجابني بحجة قائلاً اي برهان تستج من ذلك وهل اجهل انا اودعني ان على وجه الارض ينابيع حارة كهذا فليخذها اذن اصحابك سلاحاً لدخض مذهبنا

فامسكت عن المباحثة خوفاً من لسان عني لاني رأيت غير مائل اليها على اني كنت معتقداً بانه لا بد لنا من ان نقف يوماً ما عن التقدم في جوف الارض بسبب الحرارة الداخلية وقلت ان لم يصدق حساب العلماء على الطريق التي سلكناها حتى اليوم فذلك لاحوال خصوصية في التربة لا لفساد مذهبهم وبعد ان وقفنا برهة نراقب فعل الغيسر في نويه المختلفة عين الاستاذ موقفة في رقعة الاكتشافات فكان على بعد ستائة وخمسة وسبعين ميلاً من فرضة غربية الى الجنوب الشرقي ثم دعاه باسي وبعد ذلك عدنا الى الطوف واستأنفنا المسير مع الريح تاركين غيسر اكسيل وراء ظهورنا

الفصل السادس والعشرون

يوم الخميس وهو الحادي والعشرون من الشهر

قبل الساعة السادسة من الصباح استيقظت من نومي فلم اسمع للقيصر صوتاً مع ان الريح كانت تأتينا من جهته فعلت ان سرعة مسير الطوف كانت في ذلك الليل اشد مما في اليوم الفائت

ثم نظرت الى الجو واذا هو مغبر الوجه مكهره

كمدين هوى اليه غريم او يخيل حلت به ضيفان

او سكارى تجهوا ذا وفار او وقور بدا له سكران

وابصرت في الافق الجنوبي غيوماً من النوع المعروف بالأمم متراكمة فوق بعضها كأنها بالات قطن ملقاة على سطح البحر بدون نظام ولا ترتيب وهي ثقيلة معتمة اللون تشعر بتغير الطقس وقدم المطر فجعلت اراقب حركاتها واتشارها البطي ثم سكنت الريح وهذا البحر وثل الهواء فوق الطوف عن المسير وقد تدلى قلعه ولما رأيت تلك الدلائل المندرة بقرب النوء نهبت عمي اليها فاطهر عدم الاعتقاد بصدقها وبعد قليل تبدل الجو بسحاب حرق ثم اخذت الغيوم التي فوق رؤوسنا تنخفض شيئاً فشيئاً ونطاق البصر يضيق بالتدرج حتى اسود وجه السماء واظلمت جوانب الافق وكنت اشعر بفعل الكهرباء في جسي حتى كان يخيل لي اني لولست شخصاً لاتنفذ جسمه واقشعر بدنه كمن يلبس سلكاً مكهرباً ولا عجب فانا كنا في عالم الكهرباء

عالم تدهش البصائر فيه وتجار النهى وتعشو العيون

وعند ذلك قلت للاستاذ ان كنت تظن هذا البرق خللاً وهذا الغيم

جهماً فاني على غير هذا الرأي

فالامر اوضح من ان يستراب به والشمس تكبر عن اتيان برهان

ومها يكن من الامر فلا بأس من الاخذ باسباب الاحياط فاسألك

ان نسمع بطي القلع اذ لا فائدة منه والريح ساكنة ونجشى ضره اذا جأت العاصفة
فوثب الاستاذ من محله عند سماعه هذه الكلمات واجاب بجدة لا والذي
بيده الموت والحياة لا يزال القلع منشوراً حتى اصل الى البر او اطوى في جوف
هذا الجحر واني لعالم حق العلم بان الريح ستهب عما قليل شديدة وتضرب ضوفنا
بيناحها فيطير بنا الى حيث لا ندري ومن المحتمل ان يخطم على صخر من الصخور
او ينشب في كثيب من الرمال ولكن معاناة النصب على امل بلوغ الارب خير
من الدعة بلا منفعة واني لارضى بركوب جميع الاخطار وتحمل انواع المضار
اذا كان ذلك يقرب يوم وصولي الى البر

ولم يفرغ عني من كلامه الا وقد تغير منظر الافق الجنوبي دفعة واحدة
وذلك ان ابخرته الملبدة تحولت الى ماء فانهل على البحر مطراً بجيساً فجرت الريح
من اقصى اطراف المغارة لتشغل الفراغ الذي حدث من سقوط المطر واشتد
الظلام حتى لم يعد في وسعي قراءة هذه الحروف التي ارسمها على الورق
وقطب البحر وجهاً كله عقد ودل الافق منه النور بالظلم

وفي الوقت نفسه ارتفعت الامواج وتضاربت فهبط بنا الطوف حتى خله
ذهب في لمح البصر ثم ارتفع على جبل من المياه ودفعته الريح بعنف شديد فانطرحت
بجانب الصاري واستمسكت بجبل متين خوفاً من السقوط وفعل الاستاذ كفعلي
واما هنس فبقي واقفاً في مكانه كأنه والطوف قطعة واحدة وكانت الريح تلعب
بشعره المرسل والنور الكهربائي ينبعث من ذوائبه اشعة ساطعة كأن كل
واحدة منها مشعل متقد

لو ادعى ان هذا النور معجزة هنس لصدقه بعض من الامم
وكذلك كانت رؤوس الامواج منيرة وكانت تشتعل اشتعالاً عند
الاصطدام حتى خيل لنا اننا سائرون في فوهة جبل ناري على بحر من المواد
البركانية الملتهبه واما سرعة مسيرنا فكانت فائتة المجد لا تقع تحت قياس ولا



والنور الكهربائي ينبعث من ذواته اشعة ساطعة (صفحة ١٧٣)

تعدّل وكان النلع منتفخاً كأنه زق ملأ والصاري مخنياً مع الريح الى الامام
حتى خشيت على الاول من الشق وعلى الثاني من الكسر فاعزت الى هنس ان
يطوي القلع فمنعه الاستاذ من ذلك

وبعد قليل تكشف البرق فكان الدنيا اشتعلت وانزل الويل فكان
ميازيب السماء انفتحت فلم نعد نرى الاناراً محرقة وصواعق مبرقة بمزق كبد
السماء كل ممزق ولا نسمع الا هزيز الريح وهزيم الرعد ودوي المطر وهدير الامواج
والطوف طائر بنا الى حيث لا نعلم ولا نرى

وطينا الامور لمن يراها والقينا الاعنة للقضاء

يوم الجمعة وهو الثاني والعشرون من الشهر

قضينا ليلاً طويلاً شديداً الهول عظيم الخطر لم يغض لنا فيه جنن حتى الصباح اما الارب فقد خفت سورة العواصف قليلاً فامكنتي تعليق هذه الاسطر بيد مرتحفة

لم يكن الاكمل فقال حتى عاد النوء الى ما كان عليه من الشدة استغفر الله بل زاد على ما كان عليه قبل هذه الفترة . . . لم يعد في وسعي الكتابة يوم السبت وهو الثالث والعشرون من الشهر

نؤ مستمر ودوي مسند ومردد متصل وبرق متواصل وصواعق متتابعة فأذاتنا دامية من قوة هذه الاصوات التي بلغت الحد الاقصى من الشدة ولم نعد نسمع صوت كلامنا

فكأننا حق العذاب وبومنا يوم العذاب وهذه احواله

عند الظهر اشتدت الريح فصارت تمر الامواج فوق رؤوسنا وكان قد انهكنا التعب وضعفت قوتنا من شدة النصب وخشينا ان نستط في الماء ولم يبق لنا ثقة باستمرار الاتقاء فشددنا نفوسنا انا وعي الى احد جنود الطوف بجبل متين وكذلك فعلنا بادوات السفر والامتعة واما هنس فبقي واقفاً في محله عند الدفة ينظر الى اضطراب البحر واشتداد النوء نظرة الاحتقار لا يراني قلبه فزع لا ولا يهتز من وجل

فكأنه نبتون اله البحار

وفي ذاك الوقت مال الاستاذ نحوي ووضع فاه على اذني وقال بعض كلمات باعلى صوته فلم اسمع منها شيئاً فلما رأى ان لا سبيل الى المكالمه عمد الى الاشارة فعلمت انه يريد ان يقول انه لم يبق لنا امل في النجاة فكتبت على ظهر احد الصناديق التي بجانبني هذه الكلمات (فلنطو القلم) فالتى الاستاذ



ووقفت بهمة أمام وجهها تنفوس فيه (صفحة ١٧٧)

نظره عليها وقبل ان يبدي جواباً ما سقطت كرة نارية على الصاري فقطعته
نصفين وطار النصف الاعلى مع القلع في السماء كأنه طير من البتير وكتيل
التي شاهدها في رؤياي وفي اقل من لحظة عيني غاب عن ابصارنا وراء الغيوم
المظلمة واما الكرة النارية فاخذت تدور حول الطوف وفوقه ونحن نراقب
حركاتها وسكانها بقلوب واجفة ونفوس جازعة ثم اخذت تتحول بيننا كأنها
ملك الموت يبحث على من جاء في طلب روحه فصعدت أولاً على ساق الصاري
ثم سقطت على جعبة الزاد ولم نلبث ان سقطت على سطح الطوف ثم اتجهت

نحو صندوق البارود وعند ذلك راغت من الأبرار وبلغت القلوب الحناجر
واشد بنا القلق حتى وقفت ضربات قلوبنا خوفاً وامسكنا عن التنفس جزءاً
وارتباغاً لاننا انما بالهلاك

فان تلك قد مرت علينا بخاوف واثينا على ذلك الين
فما كل وقت نثق هلكاته وما كل حين يسلم لنا من حين
ولكن الكرة بعد ان صارت على قيد رتب من الصندوق ازورت عنه
وسارت نحو هنس ووقفت برهة امام وجهه كأنها تفرس فيه ثم ارتدت نحو
الاستاذ قال من وجهها فتجاوزته اليّ واخذت تدور حول رجلي فارتدت ان
انقلها من محلها فلم اتمكن من ذلك لان تلك الكرة النارية التي ليست الا جماً
كهربيائياً كانت قد اكسبت كل الحديد الذي على الطوف قوة المغنطيس وكانت
رجلي مرتكزة على قطعة منه مسهرة بالخشب فعلقت بها مسامير النعل على اني
لما رأيت الكرة قد اتجهت اخيراً نحو رجلي على خط مستقيم جذبها بكل قوتي
فخلصت ولم تنكشف قطعة الحديد حتى جأت عليها الكرة ثم انفجرت بغتة
فكان الف سهم ناري اشتعلت دفعة واحدة فحمدت الله على نجائي من هذا
الحادث العم والخطب الجلل وبعد دقيقة لم يبق من تلك الكرة النارية الا
رائحة غاز النيتروس التي كادت تخفقنا وفي ذاك الوقت نظرت الى عي فراجه
سلماً ثم نظرت الى هنس فراجه لم يزل متصباً امام الدفة وهو يصق من فمه
ناراً ذات لميب لكثرة ما في جوفه من الكهرباء على ان الحالة التي كان فيها
لم تنس ان ذلك اليوم يوم سبت ولم يشغله الخطر المحدث به عن طلب راتبه
الاسبوعي عند حلول اجل الدفع

وما ينفع الدنار والخوف محدد بروح النفي والفائلات نحوطة
يوم الاحد وهو الرابع والعشرون من الشهر
عند الصبح اقبلت من غشة طويلة وكان النوء لم يزل شديداً والبرق يسطع

في السماء متعرجاً كالحيات وكان الطوف طائراً بنا بسرعة البرق وكنا على يقين
من أننا في الأيام الثلاثة الأخيرة تجاوزنا حدود انكلترا وقطعنا بحر المنش وأرض
فرنسا بل ربما تجاوزنا حدود أوروبا...

اسمع صوتاً جديداً لا عهد لي به قبل الآن وما هو الا صوت اصطدام
الأمواج على الصخور...
ان صح ذلك فالهلاك قريب...



الفصل السابع والعشرون

هنا طرحت من يدي دفتر الملاحظات وعدت الى سرد الحديث كالسابق فاقول
بعد ان سمعنا صوت اصطدام الأمواج على الصخور لم نلبث ان دفعتنا الأمواج
نحوها لانفعالها بشدة الريح فتحطم طوفنا عليها وسقطنا في المياه مع ادواتنا وامتعنا
وهناك تغلغل القلوب من الردى فرقاً ويبدو الخنف نصب الاعين
ولولا ان هنساً اتشلتني من بينها وانا غائب عن الهدى لتمزق جسي عليها حتماً
وشربت كأس الخنف دهاقاً

ولما فتحت عيني وجدت نفسي منطرحاً على رمال الشاطئ بجانب عبي
وتفقدت هنساً فرأيت يغالب الأمواج وهو ينازعها بقايا الطوف وصناديق
الذخائر والامتنعة فحييت من شدة بأسه وفرط مرؤته وآليت على نفسي ان
رجعت الى ظاهر الأرض سالماً ان اعترف على رؤوس الاشهاد ان الفضل
كل الفضل في نجاح الرحلة لهذا الرجل الذي فلما جاد الزمان بمثله وها انا
أفي الان بهذا الهد عملاً بما قيل

ما عشت فبادر الى الجميل وحاذر من ان تلتقى بد الجميل بكفران
والمحسن فاشكروهم بحق ثناء فالشكر قليل على الرفي باحسان
وكان المطر في تلك الساعة ينهبل بأشد من الاول دلالة على قرب زوال

النوء وقدوم الصحو فاخذني الاستاذ بيدي وشارني الى اكمة مؤلفة من صخور
متراكمة فوق بعضها فاقمنا في نفق هناك لا يصيبنا المطر ولا السيل وبعد قليل
جاء الدليل وقدم لنا شيئاً من الزاد الذي انتزعه من قم الجرف فلم امدد اليه بدءاً
لشدة ما بي من النصب والتعب بل اضطجعت للرقاد

والنوم سلطان مراسيمه تلقى على العين والرأس
فلم يستقر رأسي على الوسادة حتى غرقت في بحر عبق من الكرى لاني كنت
قد هجرت الوسن منذ ثلاثة ايام كاملة وما استيقظت من نومي الا قرب الظهر
من اليوم التالي وكان قد انكف المطر وسكنت الريح وهده البحر وصفا الجو
وانتفع الضباب عن وجه الماء وارتفع الغيم الى اعلي السماء وريثاً ابصرني الاستاذ
جالساً اقبل نحوي يتمايل طرباً وقال بوجهه باس اهتاك بالسلامة يا اكسيل
كيف كانت ليلتك وكيف اصبحت

قلت نمت نوماً هنيئاً ولكني لم ازل ارى نفسي متزعجاً
قال ذلك تأثير الانعاب التي فاسيتها في الايام الثلاثة الاخيرة ايام النوء
وسيزول قريباً من نفسه

ثم توجهنا نحو محل الغرف لتتقد الآلات والادوات والذخائر وكنا نخشى
من ان يكون ابتلعها البحر باجمعها غير اننا بوصولنا الى الشاطئ رأينا هنساً واقفاً
بين عدد عظيم من الصناديق والادوات فاطمأنت نفوسنا اذ ايقنا ان خسائرتنا
طفيفة ان كان ثم خسارة

على انفسنا فزنا بارواحنا وقد سلمنا وبعد الروح لاشي يذكر
وكان ذلك الرجل الشديد النخوة قد احبب الليل ونحن راقدون في مغالبة
الامواج ومقاومة الانواء وتخيم الانعاب حتى تسنى له جمع شتات الامتعة والذخائر
مع انه كان احوج منا الى الراحة لكونه قضى الايام الثلاثة السابقة منتصباً على
قدميه امام الدفة لم يستقر له جنب ولم يغمض له جفن

هكذا فلتكُ الرجال والا فعلى سائر الرجال العناء

فتقدم اليه الاستاذ اذ ذاك واعتنقه بفرح شديد وشكر لث علو همة شكرًا
جزيلًا وبعد ذلك اخذنا نتقّد الصناديق واحدًا فواحدًا ونصعد الامتعة شيئًا
فشيئًا فنبين لنا ان الالات العلمية وهي اهم الجميع في نظر الاستاذ لم يقدر منها
شيء وكذلك صناديق الزاد كانت اكثرها سليمة واما الاسلحة فلم ينج منها الا كثير
ولا قليل الا ان صناديق البارود والطنن البارودي نجت باجمعها بعد ان
كادت تطير بنا في اثناء العاصفة حين سقوط الكرة النارية على الطوف
ما تذكرت ذلك الهول الا وعراني انتفاضة واضطراب

وبعد ان فرغنا من ذلك البحث الذي جاءت نتيجته فوق ما كنا نتخى
كرر الاستاذ لهنس عبارات الشكر والح عليه بان ياخذ لنفسه قليلًا من الراحة
ثم اخذني بيدي وسار بي الى رأس عال فجلسنا هناك على صخر متدل فوق
البحر وبعد ان تناولنا شيئًا من اللحم القديد والقسماط وشربنا قليلًا من الشاي قلت
للاستاذ قل لي يا عمه في ابي نقطة نحن الان من الكرة الارضية

قال لا يمكنني ان اعين النقطة التي نحن فيها بالضبط والتدقيق بل على وجه
التقريب فقط لان سرعة مسيرنا في ايام العواصف والامواء لا تقع تحت قياس صحيح
قلت قل على وجه التقريب

قال متوسط سرعة مسيرنا بعد قيامنا من جزيرة الفيسراعتي جزيرة
أكسيل لم يكن اقل من ثلاثمائة ميل في اليوم فالمسافة التي بيننا وبين تلك
الجزيرة اعدنا انن بالالف وخمسمائة ميل وقد كنا ونحن في تلك الجزيرة على بعد
الف واربعمائة واثنين وخمسين ميلاً من ايسلاندا الى الجنوب الشرقي فتكون
الان منها على بعد ثلاثة الاف ميل تقريباً

قلت انن نحن الان تحت البحر المتوسط

قال نعم وقد صح ما كتبه من ان بحر ليدنبروك ليس دون البحر المذكور

عظة وإنساناً على أننا لا نعلم أنقطعناه طولاً أم عرضاً لأنه في هذه الحالة
الآخرة يكون أكبر من البحر المتوسط

وبعد أن بقينا ساعة نحدث في أمر الرحلة والطريق التي نتبعها قال
لي الأستاذ قم هنا الآن نستكشف هذه الأرض التي دفعتنا إليها الريح لعلنا نجد
منها الطريق التي سار عليها سكتوسيم فنستأنف المسير نحو مركز الأرض في الغد
قلت والرجوع متى يكون وعلى أي طريق

قال لا يكون الرجوع إلا بعد الوصول فإن كنت ترغب في سرعة الإياب
فاجهد النفس في تسهيل سبل الذهاب وأما الطريق التي سنعود عليها فاعلمها
غير التي اتينا منها ومع ذلك فقد أوعزت البارحة إلى هنس من قبيل الاحياط
أن يهتم في تصليح الطوف قبل الانتقال من هذه الدمار حتى إذا لم نجد طريقاً
للرجوع غير التي سلكتها يمكننا استخدامها ثانية لقطع بحر ليدنبروك أياً ما
قلت أتؤمل حقيقة ما عناه أن نجد طريقة إلى ظاهر الأرض غير التي
اتينا منها

قال لي الأمل الوطيد بأن نصادف طريقاً كثيرة لا طريقاً واحدة تنتهي كل
منها إلى فوهة بركان من البراكين العديدة المنتشرة على سطح الأرض
ثم أخذنا تمشي الهوينا مبشرين بكبد البر متفكرين في الحصول على الوصول
والتزوع إلى الرجوع وما أعدته لنا الليالي من الكوارث وما عسى يتظرنا
من الحوادث

وكل مخبوء فلا بد أن يكشفه المستقبل المقبل

والدهر لا يبقى على حاله لا بد ما يدبر أو يقبل

أما التربة التي كنا نسير عليها فرسوبية وهي مكسوة بالابواق والأصداف
من كل الأنواع وأكثرها من أنواع انقرضت عن وجه الأرض ولم يبق منها
إلا بعض أحافير مخبرة تتفاخر بها الأنيكحانات الشهيرة ورأيت بين تلك الابواق

صنّاح سلاح لا ينقص عرض بعضها عن خمس عشرة قدماً
 فمن مبلغ أهل المخاف اتنا نعد الوقا من صنوف اللطائف
 ونخطو عليها بالتعال كأرب ذاب مباح فلم ينكسر بعرف المعارف
 وشاهدت على الأرض كثيراً من الخصى الأملس فعلت أن ذلك البركان
 مغموراً بمياه البحر في العصر الخالية وفضلاً عن ذلك رأيت على رؤوس الصخور
 الشاهقة آثاراً تويد هذا الحكم فحملتني هذه الاكتشافات على البحث في كيفية
 تكوين ذلك البحر في جوف الأرض فقلت لا بد أنه حدث بين هذه المغارة
 والأوقيانوس لنسب من الأسباب شق انتها منه المياه فملأتها ثم اسد ذلك الشق
 لسبب آخر وصارت المياه التي في قلب المغارة تذهب في قلب الأرض شيئاً فشيئاً
 بالامتصاص وبعضها بطير بخاراً ويتصاعد من بعض المنافذ إلى سطح الأرض
 حتى انكشف البحر عن قسم من الأراضي التي كان يغمرها في الأيام الماضية وحكمت
 بأنه سيستمر على التناقص شيئاً فشيئاً حتى ينضب ماؤه ويتكشف قعره
 انكشافاً تاماً

ولم نزل نتقدم في ذلك البر الفسح وأنا اتفكر في تقلبات الزمان وتغيرات
 الأحوال والاستاذ لا يرى غاراً الا استقصاه ولا نفقاً الا استقره ولا نفرة الا استكشفها
 ولا حفرة الا استشرفها ولا كهفاً الا استطلعه ولا شقاً الا سار معه املاً في
 اكتشاف اثر يرشدنا الى الطريق الذي سلكه سكتوسيم فبعجه حتى انتهينا بعد
 مسير ساعة الى بقعة متسعة تبلغ مساحتها اربعة اميال مربعة ارضها مكسوة بعظام
 هائلة بقايا حيوانات بائدة من التي عاشت على وجه البسيطة قبل الطوفان
 كالمتودنت ذي الاسنان الحلبية والدينوتيريوم اكبر الحيوانات الارضية
 والسبوانتيريوم الذي وجد رأسه في جبال سيواليك ببلاد الهند ولم نزل
 نبحث العلماء حتى الآن على بقية هيكله والانتوسوروس اكبر الضباب المعروفة
 والبروتوسوروس الذي يشغل اثر منسجه من الأرض يرداً مريعاً والهدروسوروس



بل تاريخ الحياة الحيوانية قبل الدور التاريخي (صفحة ١٨٢)

الذي يشي متصباً على قدميه كالإنسان ويزيد عنه في الطول ستة أضعاف إلى غير ذلك من الحيوانات العجيبة التي كانت تأهل الأرض في قديم الزمان مضت وبقاياها الشواخص عندنا نعد وتحصى في عداد العرائب وباربما تأتي خلائق بعدنا يعدونها من أمهات العجائب فاخذتنا الدهشة إذ ذاك ووقفنا برهة حائمين مهوئين أمام تلك الجبانة العظيمة جبانة الحيوانات القديمة بل تاريخ الحياة الحيوانية قبل الدور التاريخي ثم دخلناها وقد عملت فينا رغبة الاستكشاف وشغلنا الأفكار التي كانت فتيل

في ضمائرنا عن الكلام فاحفظنا نسير صامتين لا نسمع الا قصص العظام التي كانت
تطأها نعالنا وكنت انا مل تلك الاحافير بقايا اسلافنا الذين ورثنا الارض
عنهم باحترام بالمطالع بعض الخوف ولسان حالي يتمثل بقول المعري
خفت الوطاء ما اظن اديم الا رض الامن هذه الاجساد
اما الاستاذ فكان يضطرب اضطراباً شديداً كالنجيل اذا وجد كنزاً ثميناً او
العالم المشغوف بالمطالعة اذا اعيدت مكتبة الاسكندرية الى عالم الوجود واقم
عليها اميناً

وبينما نحن سائرون فوق هاته العظام العظام مخطلين تلك المياكل الهوائل
التي تستوقف بغرابتها النعام الجافل حانت مني التفاتة الى اليمين فابصرت
على قيد رح مني جثة انسان كاملة محفوظة من البلى فوثبت نحوها وصرخت
صرخة استلفتت نظر الاستاذ اليها ففعل كفعلي بل انطرح عليها كأنها جثة
فقيد عزيز لديه

وكانت تلك الجثة سمراء البشرة كأنها موميا مصرية ولا شك انه مضى عليها
في تلك الارض مئات الوف من السنين وما بقيت محفوظة على حالها الالوجودها
في تربة توفرت فيها الشروط اللازمة لحفظ الاجسام من البلى كترية جبانة
القديس ميخائيل في مدينة بوردو بفرنسا فلا يحتاج بقاء الجسم فيها لان يدخل
في عالم التصبر او يكون من القديسين المشاهير وقد كنت حسبتها في بادئ
الامر حالما وقع نظري عليها ورأيت شعرها الكثيف واظافرها المستطيلة التي تثبت
ان صاحبها قضى حياته في حالة التوحش التام انها جثة ذلك الحيوان المتوسط
بين الفرد والانسان صاحب تلك الحلقة التي لم تزل مفقودة من حلقات السلسلة
الحيوانية لا جثة انسان مثلنا اما الاستاذ فعرفها من اول نظرة انها جثة انسان
حقيقي لا يختلف عنا بشيء في التركيب

وكان بجانب تلك الجثة آلات عديدة صوانية كنفوس ومطارق وسكاكين



وهي مع ذلك لا تبلغ من الطول ست اقدام (صفحة ١٨٦)

وشي لا كثير من عظام الحيوانات التي ابادها برد العصر الجليدي وهي محطومة
بتلك الآلات خطما متشابهاً متناسباً بحيث لم يبقَ عندنا شك في ان اليد التي
ضربت بها يد انسان عاقل اراد استخراج مخفيها والاعضاء به وبعد ان بقي الاستاذ
برهة يتأمل تلك البقايا قال لي اعلم يا اكسيل انك قد كشفت الغطاء بهذا
الاكتشاف عن حقيقتين لم تزا حتى الآن موضوعاً للبحث والمجدال بين اشهر
علماء العالم اما الاولى فوجود الانسان على الارض قبل الدور الجليدي خلافاً
للقائلين بمجدانة عهده والثانية بقاء جثته من حيث الكبر والصغر على ما كانت

عليه في القدم حتى ايامنا هذه

ثم اوقف الجنة واسندها الى صخر قريب وقال لا شك في ان هذه الجنة
اقدم ما وجدته العلماء من بقايا اجدادنا حتى الان وهي مع ذلك لا تبلغ من الطول
ست اقدام فاين هي من هياكل الجبارة التي ولدتها الالهة

قتل ابن آدم كم يزيغ قواده فيرى اموراً فظن ان تصورا

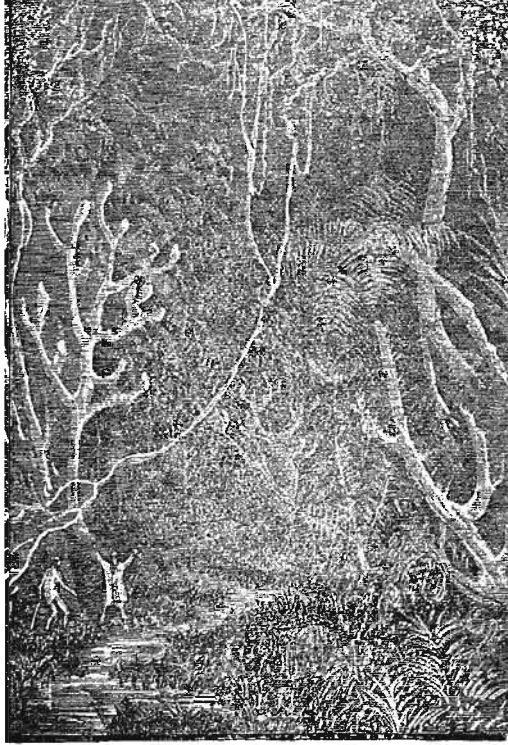
والحق يادى للانام وانما يحتاج صاحبه لان يتفكرا

وكنتم موافقاً لعمى على هذا الرأي قبل اكتشاف تلك الحجة الدامغة فلم
أكن لاختلافه بعدها على اني اعلم ان الدور الحجري لم يخل من الجبارة كما ان
دورنا الحديدي لا يخلو منها وقد قال العلامة يفون المحقق ان رجلاً يدعى
هنر باربلغ من الطول احدى عشر قدماً اي اكثر من ثلاثة امتار ونصف فاي
شي يمنع من ان يكون الدور الحجري اوجد جبارة كهذا او اعظم منه

ثم وقفنا تأمل في كيفية وجود تلك الجنة في جوف الارض على ذلك العمق
أعاش صاحبها حيث وجدناها ام ذهبت بها القشرة الارضية اثر خسوف عراها
سؤال وضعناه ولم نستطع عليه جواباً

الفصل الثامن والعشرون

ما اجمعنا عن محال الجنة قيد غلوة حتى اشرطنا على غيضة عظيمة لا
يدرك البصر منتهاها وهي ذات اشجار باسقة تناطح رؤوسها السحاب تتخللها جداول
كثيرة تبه النظر في مجاريها وبضل البصر بين المقبل والمدير منها فوقفنا
دقيقة نسرح الطرف في آكامها وبرايرها وتساءل عن ظواهرها وخوافيها وعما
عسى ان تصادفه في فيافيها من عجائب المخلوقات وغرائب الكائنات وكانت
قد مضت الساعة السادسة من المساء وجاء وقت العشاء الا ان الغرائب التي
تجلت لنا متوالية واحدة بعد واحدة الهتنا عن اللعب والحجوع وانستنا حلول



ولما دخلناها خلناها روضة من رياض الجنة (صفحة ١٨٧)

زمن الرجوع فأنحدرنا من الرابية التي كنا عليها قاصدين تلك الغبضة الباهرة
ولما دخلناها خلناها روضة من رياض الجنة لولا أن شجرها بلا ثمر ونباتها غير
اقتتر كالورق البالي إذا ذهب لونه

أما النبات القائم فيها فأنواع وأجناس وقد ميزت منها المحور والمين
والنخل والبلوط والجوز والصنوبر والسرو والعرعر والسرخس والتنوب وجملة
أنواع من الفصيلة البقلية كما نقرظ ونحوه وعلمت من اختلاط نباتات المنطقة
الحارة فيها بالخاص منها بالمنطقة الباردة أن تلك البقعة هي على ما كانت عليه

حالة الارض في دورها الثالث من الادوار الجيولوجية الاربعة ثم حدثت نفسي قائلًا اذا كان الامر كذلك فلماذا لا تكون هذه الارض مأهولة بالحيوانات التي عاشت في ذلك الدور وأي شيء يمنع من وجودها وقد اعدت لها الطبيعة ماكلها ومشربها

وبينما انا اردد الفكر في جائز هذه الامور ومنوعها واسرح الطرف بين اغصان الاشجار وجذوعها لاح لعيني شبح بعيد فامسكت عن الحركة موجسًا خيفة واوقفت عي عن التقدم ثم دقت النظر في ذلك الخيال فرأيت بل خيل لي اني ارى ما لم يخطر لي قط ببال ولا ازال انكر وجوده حتى الآن رجل حي يبلغ من الطول اربعة امتار يسوق امامه عرجلة من الافيال فارتعدت فرائصي فرقا وطارت نفسي شعاعًا حتى كاد الدم يجهد في عروقي اما عي فحالما وقع نظره على تلك الحيوانات الهائلة اراد ان يقصدها كأنما هي صيد سهل التوال فحبذته من يده بعنف شديد قائلًا ماذا تفعل أأضعت الرشداً ظننت هذه الحيوانات كثرعالب بـرية هبـرج ثم جررته فسار معي بدون ممانعة ولا معارضة وخرجت به من الغبضة ونحن نعدو عدو الخائف الوجـل كأننا فرسا رهان اذا ارسل لها العنان وما زلنا نركض حتى دخلنا ارض الحيانة وتوارينا وراء الكنتبان فانطرحنا هناك على الثرى وقد اعيانا التعب حتى اعجزنا عن الكلام وبعد ان سكن روعتنا وهدأ جاشنا داخلنا الربـب في كون الذي رأيناه انسانًا حقيقيًا من الجبابرة الهائلة التي انكرنا على بعض العلماء الاعتراف بوجودها في العصر الخالية وحكمنا بان ابصارنا اضلت بصائرنا او على الاقل ان ذلك الحيوان المتصـب على قدميه هو قرد من القرد القديمة من انواع البروتوبيتيك او الميزوبيتيك التي انقرضت عن وجه الارض وبعد ذلك اراد الاستاذ ان يعود الى الغبضة ليعتق النظر في ذلك الحيوان العجيب وكان يظهر لي انه سحـلان من اقباده الى الفرار فبينت له وخامة ذلك الرأي لا سيما ونحن عزل ولم يقد لرأيي الا بعد



يسوق امامه عرجلة من الافيال (صفحة ١٨٨)

العناء الشديد والجهد الجهد

ثم قصدنا المحل الذي تركنا فيه هنساً ولكن طريق الاياب كانت غير
 طريق الذهاب وقد اتضح لي ذلك من كثرة الكهوف والمغائر التي صادفناها
 اذ ذاك وقد شاهدنا في تلك الكهوف هياكل بشرية كثيرة غير اننا لم نكتث
 بها لان الحيوانات الحية التي صادفناها في الغبضة كانت شاغلة افكارنا عن
 كل شيء سواها

بطل التشبيب بالرسوم اذا بدت عين الحقائق نصب عين الرائي

جاز التيم حيث لا ماء وقد بطل التيم مع وجود الماء
 وبينما نحن سائرون تحت تأثير تلك الافكار توغلنا في طريق ضيقة مخوفة
 من المجانين بصخور شاهقة ثم انتهينا منها الى نقطة من الشاطئ غير النقطه
 المقصودة ولم ننبه لامرنا الا ونحن على باب سرداب مظلم يتخلل قلب تلك
 الصخور فخطونا فيه بضع خطوات بقصد استكشاف تكوينه فتبين لنا ان جدرانه
 الداخليه مطلية بالسوائل البركانيه وعند ذلك صرخ الاستاذ قائلاً هذه هي
 الطريق التي جئت ابحث عنها هذه هي التي تذهب بنا الى مركز الارض الا ما
 ابركه من ماء ثم اخذ يتقل في ارض السرداب بمنه ويسره وهو يعيد النظر في
 جدرانه ويلسها بيديه ولوايح الفرع الشديد ظاهرة على وجهه

اذا اقبل التوفيق فالخير مقبل يجيء الفتي من حيث يدري ولا يدري
 اما انا فوقفت مرتاباً في صحه رأيه متردداً بين الشك واليقين وبعد قليل
 قال لي يجب علينا الان يا اكسيل ان نعود الى حيث تركنا هنسا وفي الغد
 نرجع الى هذا المكان بادواتنا وامتعتنا فنستأنف المسير نحو مركز الارض بلا
 مهل فانتا قد صرفنا في القارة السادسة زمناً طويلاً وقد تافقت نفسي الى الحركة
 بعد طول السكون الا انه يجب علينا ان نتحقق النقطة التي نحن فيها الان
 لئلا نضل عنها في الغد

قال هذا وخرج من باب السرداب فخرجت ورائه وبينما نحن تتفرس في
 الصخور المجاورة رأيت فوق الباب رسم الحرفين الاولين من اسم ارن سكوسيم
 باللغة الايسلاندية وهذه صورتها

• 4.4 •

فاشعر بدني اذ ذاك وكنت حتى تلك الساعة باقياً في ريب من صدق
 الرقعة السرية فلم يبق بعد ذلك للريب من سبيل وايقنت ان ارن سكوسيم
 لم يقف عند فوهة بركان اسنيفل حيث وجدنا رسم اسمه كاملاً بل دخل خفية

في جوف الأرض وسار على نفس الطريق التي سرنا عليها نحن فعظم حيثن ذلك الرجل في عيني حتى لم يعد لي جسارة على تكذيب خبر بلوغه مركز الكرة الأرضية مع ما هو عليه من المخالفة للقواعد العلمية

أما الأستاذ فلما رأى تلك الحروف كاد يجرها ساجداً ثم هتف مخاطباً شخص سكنوسيم قائلاً حي الغيث ثراك ايها العالم العظيم انت الذي فتحت للانسان سبيل الاطلاع على خفايا الكرة الأرضية ومكنوتاتها وخططت له طريق العلم باحوال الدهور الماضية وكائناتها ولم تكتم بالاشارة الى تلك الطريق في رقعتك السرية الناطقة بفصلك وحكمتك بل تركت للذين يريدون اتقناه انرك دليلاً من صنع يدك يقودهم عليها وهذا الدليل هو اسمك الذي قرأناه على الصخور القائمة عند فوهة اسنبفل هو الذي نراه الان هو الذي سيرشدنا الى طريقنا حيثما نجشئ اليه وسنراه في مركز الأرض ايضاً مرسوماً على صفحات صخورها النارية

وبعد ذلك انصرفنا الى المحل الذي نزلنا فيه ونحن نتحدث في امر تلك الاكتشافات الغريبة التي وقفنا عليها في يومنا ونحمد الصدفة العجيبة التي ساقتنا الى باب الشق نفسه الذي ولجه سكنوسيم

وفي صباح اليوم الثاني عدنا الى ذلك المكان على ظهر الطوف مستنصحين معنا جميع الأدوات والذخائر وكان قد احدث في ذلك الاكتشاف رغبة في السفر لم اشعر بها من قبل وحال وصولنا شرعنا في الاستعداد للمسير قسمنا الامتعة الى اقسام ثلاثة لكل واحد منا قسم كما فعلنا يوم ودعنا ظاهر الأرض ثم اودعنا الطوف محلاً آميناً بمعزل عن الرياح والعواصف وشددناه بجبل متين الى بعض الصخور وبعد ذلك تأبط كل منا قربة مملوءة من مياه المطر اخذناها من القرمحجورة ودخلنا السرداب على نور المصباح والبشر يلمع في وجوها

على اننا لم نخطُ الا عشرين خطوة حتى وصلنا الى صخر قائم في وجه الطريق

لا منفذ منه فوقفنا مختارين في امرنا ونحن لا نكاد نصدق إعيننا شأن الرجل
 اذا سقط فجأة من عرش الأمل الى وهدة اليأس لا يجد لامره تدبيراً ثم اخذنا
 نتجسس ارض السرداب ونعبد النظر في جدرانها على أمل ان نجد شقاً لنجيه ولكنها
 لم نجد الا التعب والعناء فاخذنا من الغبط ماخذاً عظيماً وكنت قد نسبت ابنة
 عمي وشغلت عن ذكرها برغبة الاستبراء والاستكشاف فاستندت ظهري الى الحائط
 وقلت بصوت الآيس : اقضي علينا اذن بالرجوع الى ظاهر الارض قبل
 بلوغ مركزها

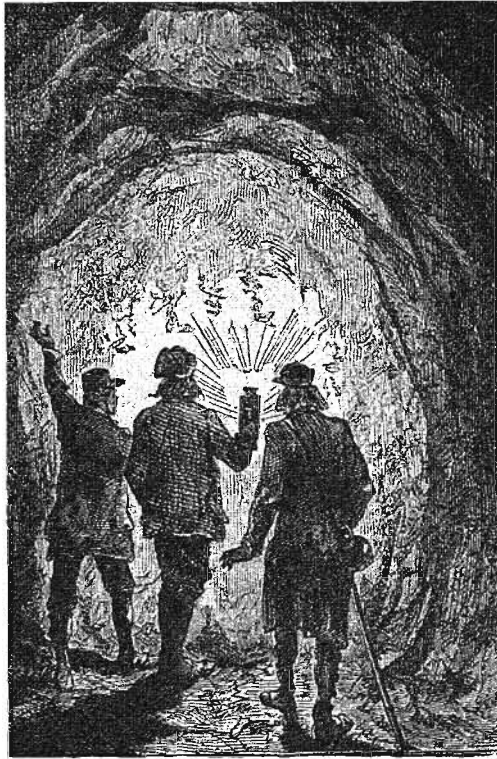
وكان الاستاذ لم يزل يتفرس في جوانب الصخر ويتأمل في سقف الدهليز
 ثم قال ان المواد البركانية التي تكسو هذه الجدران لم تنبعث من القطعة التي
 نحن فيها بل من مصدر بعيد عميق فهذا الصخر حادث يا أكسيل ولاشك انه سقط
 من سقف السرداب عقب زلزل او عمل آخر من العوامل الطبيعية وتندي ان
 سكونهم لم يصادف هذا الحاجز في طريقه

قلت ان كان الامر كاتول فليس لنا الا ازالته باي طريقة كانت وان لم
 تقوَ على ذلك فلا تدعون اهلاً لأن تقتفي اثر سكونهم

قال وما هي الطريقة التي تمكنا من بلوغ الارب

قلت اين القطن البارودي الذي استصحبناه فما قد جاء وقت استعماله
 وانا اقول ان هذا القطن لم يسلم من لهيب الكرة النارية ثم من الغرق الالهذه الغاية
 فاطرق الاستاذ برهة ثم قال لاغنى لنا عن الواسطة التي تشير بانخاذها
 يا أكسيل فهي وحدها موصلة الى ازالة هذا الحاجز الذي حال دون بعثنا

وفي الحال حططنا الاحمال عن ظهورنا وباشرنا عمل اللغم فتولى هنس
 امر التمر واخذت اشتغل انا وعي في اعداد فتيل طويل محشو باروداً مبلولاً
 بالماء ولم يات الظهر الا وقد بلغ النقر العمق الكافي لحزن خمسين رطلاً من
 القطن البارودي وهو القدر الذي كان عندنا من تلك المواد فحشونا بها وسدنا



فاخذ منا الغبط ماخذاً عظيماً (صفحة ١٩٢)

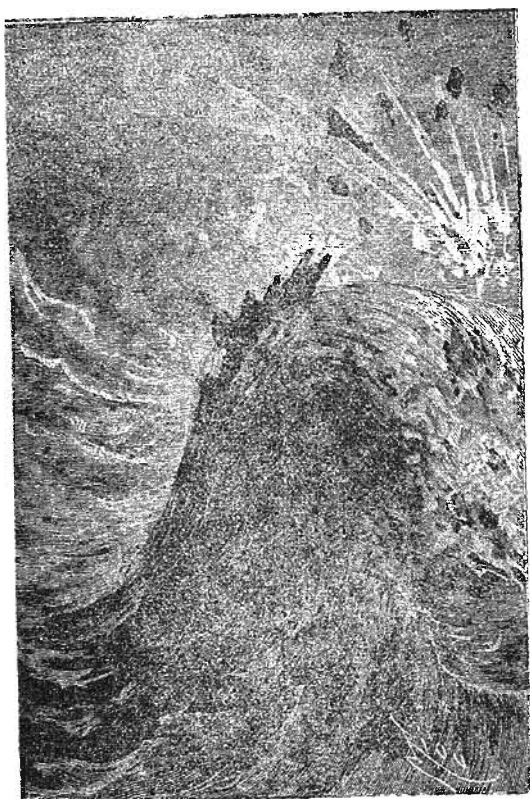
الفوهة سداً محكمًا قويًا على الطريقة المشهورة
وبعد ذلك سألت الأستاذ ان يولياني امر اشعال الفتيل فاجابني الى طلبي
مطمئن البال لانه كان يعلم ان احتراق الفتيل يستغرق من الزمن عشر دقائق
كاملة نظرًا لطوله ورطوبته
ثم قلت له من الممكن ان يحدث التفرع زلزلاً هائلاً في جميع الصخور
المجاورة فارى من الحكمة ان توسع في البحر بعد اشعال الفتيل فانتظري مع
هنس على ظهر الطوف وسألتني بكما حالاً
قال صدقت يا اكسيل فافعل وعد الينا سريعاً

ثم انصرف مع هنس نحو الطوف وبعد ان اعاد اليه جميع الاثنيات والامثلة واستويا على ظهره اخذ الاستاذ ساعته بيده ثم قال (افعل) فاندبت النار من طرف القبل فاشتعل وفي الحال لحتت بعبي وهنس وكانا قد حلا عقال الطوف فاطلقا له العنان ولما صرنا على بعد خمسين متراً من الشاطئ وقفنا نراقب فعل النار في السرداب ونحن نعد الدقائق والثواني وقلوبنا تنتفض بالرغم عنا

الفصل التاسع والعشرون

سنلقى اليوم اهل الآشداً فنسينا الذي كنا لقينا
وكانت في الحياة لنا ظنون وها قد صار مصرعنا يقينا
على اننا منذ الآن القينا التدابير واستسلمنا الى احكام التقادير وصرنا العوبة
بيد العناصر تلعب بنا كيف شأت

كريشة في مهب الريح ساقطة لا تستقر على حال من القلق
اقول ما جأت الثانية الستون من الدقيقة العاشرة بعد اشعال القبل
الا وقد انشقي وجه الارض فبأه وانصدع ظهرها غنة فראيت امامي هاوية خاوية
مظلمة مخيفة وفي الوقت نفسه هاج البحر وهاج حتى خلت ان الارض تتوض
ببنائها والدنيا اندكت اركانها ثم ارتفع الطوف عمودياً على جبل من الامواج
وهوى بنا في قلب الهوية على ظهر المياه الساقطة ولم يكن كلعج البصراوي هو
اقرب حتى غاب النور عن بصرنا واصبحنا تحت ليل دجوجي فوق بحر لحي
كعش عصفورة من فوق مرتفع هوى بافراخها في حندس الظلم
اما العوامل التي اخذت تتنازعني بعد سقوطنا في الهوية فلا تسلم عنها
عجب فجيعة فلهل فياس فذهول ولما انتهت لنفسي عجبت في بادى الامر من
بقائي حياً ثم شعرت بان المياه فمخدرة بالطوف على طريق تكاد تكون عمودية
ووجدت نفسي متمسكاً بساق الصاري تمسك الذئب بالشيء او الظان ببقاها



ثم ارتفع الطوف عمودياً على جبل من الامواج (صفحة ١٩٤

المياه او الانسان باسباب الحياة ولم افعل ذلك عن انتباه ولكن ناموس التشبث
بالبقاء دفعني الى فعله والمرء خاضع لاحكام النواميس الطبيعية سواء غاب فكره
او حضر ثم افتقدت عي وهنساً فوجدتها بجاني وكان بودي المكاملة معها ولكن
شدة هدير المياه لم تكن ليترك لنا سبيلاً الى ذلك

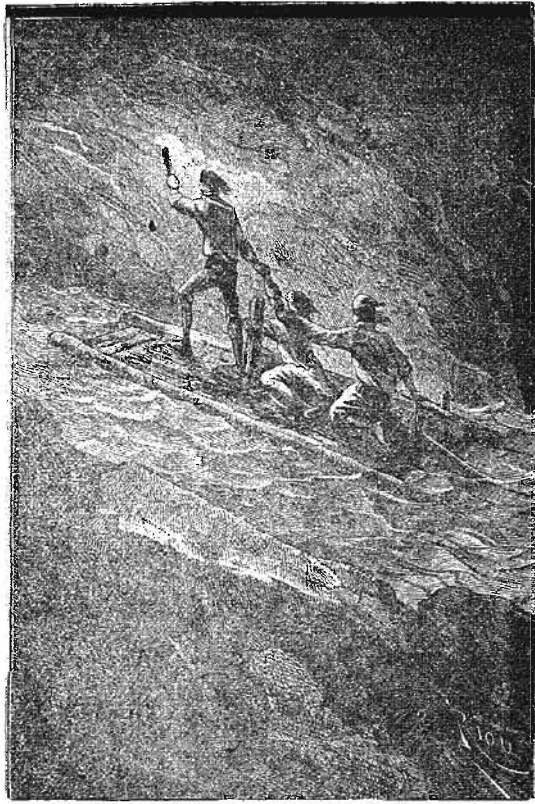
ثم تفكرت في كيفية حدوث الشق الذي سقطنا فيه فادركت السبب بالرغم
عن اضطراب افكاري ذلك ان الشق كان موجوداً في جوف الارض محجوباً
عن العيون بطبقة من الصخور فلما رفعها عنه البارود اصبح سطحه اسفل من

سطح البحر فذهب فيه طوفنا مع قسم من مياهه ولما تعقلت الامر علمت حقيقة الخطر الذي كنا فيه وايقنت بالهلاك القريب على انه مضى علينا ساعات طوال ونحن على تلك الحال نارة يصطدم احد جانبي الطوف بصخر من صخور الجدران فيدور على محوره بسرعة تفوق حد الوصف حتى يكاد يثربنا عن ظهره وهو مع ذلك مستمر الهوي الى السفلى كالارض في حركتها وطوراً يخيل لنا اننا ساقطون في بحر عمودية فنسسلم الى اليأس ونستعد للهلاك ولما طال علينا الامر اعيانا التعب وتمكن منا الدوار فلو تكررت صدمات الطوف بالجدران ونحن على تلك الحال لسقطنا عن ظهره حتاً ولكن تلك الصدمات بعد ان كانت كثيرة في بادى الامر اخذت تقل شيئاً فشيئاً حتى صار حصولها نادراً جداً فعلمت ان الشق ازداد اتساعاً وبالنظر الى ذلك والى بعد قراره ايقنت انه هو الذي اتبعه سكونوسيم فكنا والحالة هذه قد سرنا بالفعل على اثره ولكن لعدم انتروي جبرنا على اثرنا بجرأ زائراً ليس له من حاجة في اكتشاف مركز الارض

اما سرعة مسيرنا فلا يعلم حقيقتها الا الله ولعلمها لا تنقص كثيراً عن سرعة القنابل المقذوفة من افواه المدافع

وبينما نحن سائرون بهذه الكيفية شعرت ان الطوف سقط بنا سقطة عمودية تامة فقلت قضي والله الامر

قد اتى يومنا وحّم الحمام فعلى هذه الحياه السلام
كل من عاش في الحروب طويلاً طائلاً آخر اليه الحمام
ثم غمضت عيني استعداداً للشرب كأس الحمام غير ان سقوطنا لم يكن على اليابسة كما كنت اخشى بل في حوض مملوء ماء وما بلغنا سطح الحوض حتى انصب علينا عمود من المياه واحاطت بنا حباله من كل جانب فذهبنا في قلب الحوض حتى ضاق مني الصدر وعيل الصبر وتجرعت من مائه الزقاق ما كادت تبلغ به الروح العراق



وفي ذلك الوقت سفع سور في قلب الدهليز فجاءة (صفحة ١٩٨)

وخرجنا من عالم الانس قسراً ودخلنا في عالم الاسماك
ثم برزنا من تحت المياه وكان الاستاذ والدليل قابضين كل منهما على ذراع
من ذراعيّ بيد من يديه وفي تلك الساعة وقف الطوف عن حركته العنيفة
وخف هدير الماء فسمعت عي يقول نحن الان في صعود
قلت كيف ذلك هل بلغنا مركز الارض
قال لا ولا بد منها من احد امرين فاما ان الشق الذي جئنا منه ينتهي حيث
نحن الان وفي هذه الحالة لا يكون هو نفسه الذي سار فيه سكوسيم واما ان

تكون على باب مضيق لا يكفي لتصرف القدر الذي يأتيه من المياه وفي هذه الحالة لا يستبعد ان يكون هو هو وعلى كلا الوجهين فنعن الان في صعود مستمر وفي ذلك الوقت سطع نور في قلب الدهليز فجأة

كالبرق يشرق في الظلام ولم يكن اشراقه متوقعاً للصاري وكان مصدر ذلك النور من وراء ظهري فالتفت مذعوراً فاجبرت هنساً رافعاً مشعلأ متقدأ لا اعلم كيف توصل الى اشعاله ثم حققت النظاري في المياه فرأيتها اخذة في الارتفاع بسرعة شديدة وكذا اذ ذاك في قناة ضيقة غير التي تأتي منها المياه فعلت ان الحوض الذي وقف الطوف عنده هو قرار مشترك بينهما وحكمت ان سرعة ارتفاع المياه في كلا القناتين لا بد ان تكون متساوية متعادلة بالرغم عن تفاوت انساعهما

ثم القيت نظري على الطوف فلم اجد شيئاً من الادوات والامتنعة والذخائر سوى رمة جبل مربوطة بساق الصاري وفدرة من اللحم لا تشجع طفلاً فعميت ولكن من بقاء تينك القطعتين لاني كنت حسبت ان ايدي المياه التي لعبت بالطوف لم تبق على ظهره شيئاً

فقد الزاد والمزاد مناس واستعدت نفوسنا للنقاد

على ان فقد الزاد لم يزدني جزعاً ولا يأساً لان ابعد شي كنت اخشاه اذ ذاك والخاوف مخدقة بنا من كل جانب هو الموت جوعاً اما عي فلما علم بتقد الزاد ظهرت على وجهه لوائح الاسف فعميت من ذلك وقلت له هب ان عندنا من الزاد مؤونة سنة فكيف نخرج من الغرق القريب الذي يتظرنا بل هب اننا لا نملك من الزاد شيئاً فهل تمهلنا المياه حتى نموت جوعاً

فقال ما اقربك الى اليأس وابعدك من الشجاعة والبأس

فعميت من هذا الكلام في ذلك المقام واعتقدت ان عي لم يجيل من ذات الطينة التي جبل منها عوم البشر ثم قلت له بالله قل لي يا عاه اي شي ترجوه

وأي باب النجاة تؤمل أن ترى بدءاً من الوصول قريباً إلى آخر هذا الشق وهل بعد ذلك الإلموت غرقاً في الماء أو خنقاً بشدة ضغط الهواء

قال كما يجمل أن يكون الأمر كما تقول بجمال أيضاً وهو المرجع عندي أن ينتهي بنا هذا الشق إلى ظواهر الأرض وعلى كل الأحوال حالتنا الآن أقل خطراً من الحالة التي كنا عليها في أثناء سقوطنا وكبنا كان الأمر فلا يجوز للإنسان أن يقطع الأمل من الحياة ما دامت الروح تخرج في فوائده كما قيل ما دمت حياً فاعلق أبدأ بأسباب الأمل

لم يقض حق العلم من أهوى إلى ترك العمل
فاخذني العجب من شدة بأسه وقوة نفسه ثم قلت له بماذا تشير الآن
قال بكل هذه البقية من الزاد وهي على صغر حجمها تعرض بعض ما فقدناه من القوة بسبب الانعاب التي قاسيناها وتذكر قول من قال
ولا تخنثر امر القليل فطالما رأينا قليل الأمر جر كثيره

ثم قسم تلك القدرة إلى ثلاثة أثلاث فأكلت ما خصني منها بدون قابلية وبعد ذلك قال تيقظوا وكونوا مستعدين لاغتنام أول فرصة تعرض لنا ترجى منها النجاة ولدفع كل عارض بسبب الهلاك لأن حياتنا ربما كانت موقوفة على امر طفيف واحترسوا خصوصاً من أن يعلق الطوف في نقرة مسدودة أو يجبد عن مجرى القناة التي نحن فيها

ففعلنا بحسب اشارته وكنت افعل ذلك طلباً لمرضاته وإثارة لطاقته لا طمعاً في النجاة ولا أملاً في الحياة وكيف آمل البناء وحينئذ نصب عيني وحملي أمامي وخفي خلفي وبواري عن يميني ويساري

فلا امتري فيما أراه محققاً ولو جاني عي بالف دليل
وكان الطوف لم يزل سائراً بنا على معدل واحد من السرعة يرتفع في الساعة نحواً من سبعة أميال فقال الأستاذ إذا استمرت سرعة الطوف على ما هي



ثم اخذت الحرارة تزداد ،التدرج حتى كادت نرافق ارواحنا (صفحة ٢٠١)

عليه فعما قليل نكون على مساواة سطح بحر ليدنبروك وحيث نثقف المياه عن
الارتفاع فيزول عنا نصف الخطر وهو خطر الغرق ولا يبقى امامنا الا صعوبة
التسلق حتى ظاهرا الارض مسافة سبعة وسبعين ميلا عموديا ووجود ما تقتات
به لحين وصولنا

قلت وهب اتنا وجدنا ما تقتات به فهل تعتقد حقيقة ان هذه القناة تنتهي
الى ظاهرا الارض وهل لديك من وسيلة الى الصعود على جدرانها بدون
حبال ولا سلام

قال اما كون هذه الانبيوة تنتهي الى ظاهري الارض فهذا امر ترجع عندي
حتى كاد يكون حقيقياً وأما الخيال اللازمة للصعود فنصطنعها من ملابسنا ونحن
الآن في اواسط فصل الصيف ونحت المنطقة المعتدلة ان لم تقل الحارة فلا
نخشى البرد

فسكت منعماً عن الجواب وقد احيى هذا الكلام بعض الامل في فوايدي
فرجعت عن القطع بالخنف وكان الطوف لا يزال يرتفع بنا بسرعه المعتادة بل
بازيد منها وكذلك اشتدت الحرارة جداً فصار الاستاذ يهرم ويقعد ويفرس نارة
في وجه الماء وطوراً في جدران القناة ولوائح الحبرة والقلق ظاهرة على وجهه ثم
اخذ يناجي نفسه همساً فتعلم ببعض اسماء علمية من اسماء طبقات الكرة الارضية
كالنيس والميكاشيت ثم قال بصوت عال لا شك اننا ارتفعنا عن سطح بحر
ليدينبروك

قلت كيف علمت ذلك

قال منذ ساعة تقريباً اختلفت سرعة الطوف عما كانت عليه من قبل
اخلاقاً بيناً ولم تثبت بعدها على حالة واحدة ثم ارتفعت الحرارة فجأة فاستنجت
من ذلك ان ارتفاعنا لم يعد بفعل مياه بحر ليدينبروك بل بفعل عامل اخر وقد
اثبتت لي التربة التي نحن فيها الآن اننا اقرب الى ظاهري الارض من بحر
ليدينبروك بكثير

قلت وما هو اذن العامل الذي يرفع المياه التي نحن عليها

قال ان صدقي ظني فخن الآن في قناة بركان غير منطقي

فقلت وقد عاودني البأس والقنوط اي في قناة بركان هائم

قال اي وها قد كفينا عناء المسير تسلياً وخطر الموت جوعاً

قلت وكفينا ايضاً عناء المعيشة ومتاعب الحياة

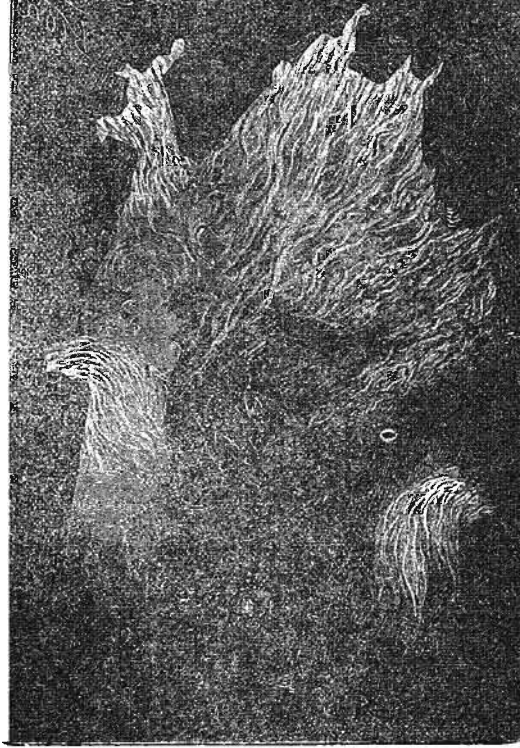
ثم اخذت الحرارة تزداد بالتدرج حتى كادت تزهر ارواحنا وفي تلك

الاثناء لمست يدي الماء اتفاقاً فوجدته في درجة الغليان ولما انعمت النظر فيه
رأيت تحت سطحه على عمق قليل طبقة مؤلفة من فئات الصخور النارية والسوائل
البركانية فعلت ان ساعدنا قربية وان اجلنا قد جاء ثم سمعت دندمة بعيدة في
قلب الارض ورأيت جدران القناة ترتعش ارتعاشاً وبعد قليل بدت لتواظرننا
فوهة البركان كأنها الشمس تغيب في افقها الغربي لابسة غلاظتها الوردية وقد
حال اصل لونها الاصلي فخيّل لي انها شمس حياتنا وقد مالت للغروب فهاجت
اشجائي وجاشت احزائي واسترسلت في بحار الحزن والاسف واستسلمت لحكم
القضاء والقدر

ولم يزل الطوف طائرًا بنا سعدًا وفوهة البركان تزداد في نظرنا اتساعًا
شيئًا فشيئًا حتى لم نعد منها الا على بعد بضعة اميال فوجدنا نفوسنا اذ ذاك بين
صخور كثيرة الشقوق يندلع منها اللهب السنة هائلة تتلاعب على الجدران ولها
زفير وحسيس تقشعر منها الابدان ونحن محصورون بين الحميم والحجم على
ملس من السعير ومسمع من الزفير كأننا ملائكة العذاب او خزنة جهنم او عصاة
يعذبون في سفر ولكن قبل ان تقوم القيامة

وفي تلك الساعة وقف الطوف عن الحركة بغتة فظننت في بادي الامر
انه علق بصخر من صخور الجدران غير انه اتضح لي بعد ذلك ان المواد نفسها
التي تحت الطوف في سكون تام فعجبت من ذلك الحادث الذي لم اعلم له سببًا
وقلت للاستاذ ما قولك يا عما، ألا تظن ان الهيمن قد سكن
فقال لا ولكن البركان الذي نحن فيه هيجانه متقطع وقد ظهر لي اننا في
غير القناة الاصلية

وما اتم الاستاذ كلامه حتى عاد الطوف الى الارتفاع بسرعة اشده من الاول
ثم وقف ثانية مدة معادلة للمدة الاولى ولم يزل يهيج مرة ويهيج اخرى حتى لم
يعد بيننا وبين الفوهة الا ميل واحد فاضطربت اذ ذاك هلعًا وتضعضت



بندلع منها اللهب السدة هائلة تتلاعب على الجدران ولها زفير وحسيس (صفحة ٢٠٢)
 افكاري خوفاً وجزعاً وانطرحت على الطوف منكباً على وجهي ثم خيل لي ان
 الارض تميد بي وسمعت دمدمة اشد من هزيم الرعد وبعد ذلك شعرت ان
 الطوف يدور على محوره فوق بحر من السوائل البركانية ورأيت السماء تمطر حما
 وصخوراً نارية ثم بدا لعبني خيال هئس في وسط اللهب وفقدت الشعور بالمرّة
 الفصل الثلاثون

مضت الرحلة واهوالها وانتفضت الشدة واوجالها وبارحنا المضايق واعاقها
 والصخور وطباقها وعدنا الى ظاهر الارض سالمين ونحن الان نحوس تربة

خضره لا تخشى هبوطها ونجول تحت قبة زرقاء لا تخاف سقوطها وتمس هواً معتدلاً لطيفاً ونشرب ماءً بارداً خفيفاً ونسرح الطرف في عالم بعيد الافق فسمع الارجاء

نختال في امنٍ ونمزج في صفاء ونسهر تحت كواكب وشموس
اما نجابتنا من نيران الركان بعد ان رأينا الحين رأينا العين فمن نوادر العجائب وعجائب النوادر ذلك ان احدى نوب الهيمان وقفت بنا على مساواة سطح الفوهة أو تجاوزته بقليل فجرت بعض السوائل البركانية متدفقة من احدى جوانب الفوهة حاملة طوفنا على ظهرها ثم استقر بنا الطرف على اليابسة فاخذني هنس بين ذراعيه وانا غائب عن الهدى

لست ادري من ولا كيف انا لا ولا ايان كما اوتى
وسرعان ما التجأ في الى كف صخر قريب

ووقانا بذلك الصخر ناراً كأن له على الغيب اطلاعا
وربما نجحينا عن فوهة البركان عادت نوبة الهيمان فصعدت الحمم الى السماء عموداً ثم انتشرت فوق الارض كالمظلة فامتلات الدنيا ناراً اولهياً وامطرت السماء صخوراً مصهورة وغير مصهورة ولكنا كنا اذ ذاك محجوبين عن الخطوراء الصخر فلم نصب منها بصر

فلئن اعش لا نسقن قلانداً في شكره وإشارك الخنساء
ولما اقلت من غشوتي اتاني هنس بشيء من العنب قطفه من الكروم المغروسة بسفح الجبل فاكلت حتى اكنيت فاتعشت نفسي وانشرح صدري ثم قصدنا قرية حتييرة مبنية على شاطئ البحر بالقرب من الجبل وفي اثناء سيرنا توافقنا على اخفاء حقيقة امرنا عن كل احد حذراً من ان تكون الافكار رمتنا بين قوم من نسلطت الاوهام على انعامهم فاذا عرفوا اننا قادمون من قلب الارض قرر عندهم اننا من جن الهاوية وقابلونا باللعن متعوذين بالله منا واقفلوا الابواب



وسرعان إيا النجاء بي الى كف صخر قريب (صفحة ٢٠٤)

دوننا بل ربما رجونا بالحجارة رجما لاسيما ان منظر الاستاذ وقتئذ ربما كان
يؤيد هذا الظن فلما دخلنا القرية ادعينا اننا قوم غرباء غرقت سفينتنا في البحر
وقدفتنا الامواج الى تلك الديار فقابلنا اهلها بالانصديق وايدوا مصابنا بعض
الاسف فاطمأنت قلوبنا وعلما ان قد خفي عليهم امرنا

كاننا لم نجهم ناضحين ولم تعلق باجسامنا آثار كهريت
اولم يروا منظر الاستاذ متطافا ودون صورته شكل العفاريت
ثم اخذنا شيخ القرية الى منزله وجاد علينا ببعض ملابس وفي تلك الليلة

عرفنا ان القرية التي نحن فيها هي قرية استرمبولي من قرى جزيرة صقلية الخاضعة
لمملكة ايطاليا فعلمنا ان البركان الذي خرجنا منه هو بركان استرمبولي وهو
قائم على شاطئ البحر كغالب البراكين التي على وجه الارض ثم عرفنا اننا في
اليوم الثلاثين من شهر اغسطس فعلمنا ان المدة التي مضت علينا منذ سقوطنا
في الشق مع مياه بحر ايدنبورك لحين رجوعنا الى ظاهر الارض ثلاثة ايام وان
هذه الرحلة العجيبة استغرقت واحداً وستين يوماً كاملة منذ دخولنا فوهة بركان
استنفل المنطفئ لحين خروجنا من فوهة بركان استرمبولي الملتهب

وفي تلك الليلة نفسها بعد ان فارقنا صاحب المنزل وقبل ان نضطجع
للرقاد طلب هنس راتبه الاسبوعي من الاستاذ وكان قد برح من بالي ان
ذلك اليوم يوم سبت فعجبت من قوة ذاكرته اذ لم يغفل مرة واحدة عن طلب
مرتبته في الميعاد القانني مع ان الاهوال التي لافيناها كثيراً ما انستني نفسي
وغيبنتني عن حسي اما الاستاذ فحل في الحال منطقة جوفاء مشدودة على وسطه
تحت اثنائه الرثة وكانت جميع تقوده في جوفها وعند فوهتها دفتر المحفوظات
مطوياً لمنع خروج النقود عند الاضطراب العنيف فرفع الدفتر واخذ باصابعه
ثلاثة رiales وتقدمها للدليل وهو يرتجز متبسماً

تطلب مني الجعل يا هنس اجل لا عاش من امسك حقاً او اجل
دينا صحيحاً بعد ان جاء الاجل فخذ وانت اليوم في عيني اجل
من كل من احرز ما لا او اجل

ثم ضمّه الى صدره وبين له بصریح العبارة اننا مدينان له بالحياة كلانا
ودين الحياة لا يوفي بال تقبم الدليل عند ذلك تبسم الرضى وخيل لي ان
عينيه اغرورتها بالدموع فاخذني العجب من ذلك لانني كنت قد حسبت ذلك
الرجل بدون قلب بعد ان رأيت منه ما رأيت من الصبر في مقام الضيق ومن
البأس في موقف الخطر



اولم يروا منظر الاستاذ متطفاً ودون صورته شكل الغاريت (صفحة ٢٠٥)

- وفي صباح اليوم الثاني انتقلنا الى ثغر مسينا على ظهر سفينة شراعية وبعد ان اقمنا في هذه المدينة ثلاثة ايام مكرهين على الانتظار عرجت عليها السفينة التجارية المسماة فونترنة من سفن شركة المساجري الفرنسية وكانت شاخصة الى مرسيليا فركبنا ظهرها وحللنا بتلك المدينة في اليوم السادس من شهر سبتمبر ثم ركبنا قطار السكة الحديدية وفي اليوم الثامن من الشهر وصلنا الى مدينة هيرج ليلاً ولم يشاء الاستاذ ان يعلم احد بقدومنا قبل ان تلقي عصا التسيار ونستريح من تعب الاسفار فدخلنا المدينة سكوتاً وكلما عرفنا اساناً مقبلاً انحرفنا عن طريقه بمنة او يسرة حتى اذا انتهينا الى منزلنا دق الاستاذ الباب بعنفه المعتاد

فسمعت مرثا من داخل المنزل تقول ابشري يا غريبة قد خرج ابوك من الارض
 واستيقنا الباب مستبشرين ففتحناه لنا ولا نسل عما كان عند السلام من السرور
 والفرح الموفور ولم يلبث عي ان تركنا في السلام والكلام ودخل يتقعد مكتبته
 ومتحفه وعند ذلك نظرت الى غريبة قائلاً

لبياك مظلّمي وغاية متصدي وشفاء استقامي واعذب موردي
 وحديثك السمر المحلل لغثي اروي من الماء الزلال لدى الصدي
 ولقد ذكرتك والمخطوب دوائر حولي كما دار السوار على اليد
 والنار في البركان شب ضرامها والطوف طواف بنا لا يهتدي
 فطربت من نظر اللبيب لانه يحكي تلهب خذك المتوقد
 ثم اخذت اشكوها اشواقى وهي تبثني ما لاقته من فراقى

تساقط فوقى التراب منا لآلى فدمعي احياناً وحيناً حديثها
 وبعد ذلك دخلت على عي فوجدته يقلب مجموعة ويترتها وهو ينهم
 قنلت لئ اين هذا ما رأيناه بعدوقي بجز ليدنبروك فقال واين ما رأيناه بالعدوتين
 ما كما نراه في مركز الارض لو تيسر لنا الوصول اليه
 ثم قمنا الى الرقاد وما استقرت جنوبنا على الفراش حتى سكرنا من قهوة المنام
 لا من نشوة المدام

فكم من قبل بت على صخور ومنت على مهاده من حجاره
 وكان تدثري بالارض حتى خشبت الموت من هول الحراره
 وكان خبر توجهنا الى قلب الكرة الارضية قد ذاع على يد مرثا ثم انبنته
 الاخبار التي انت من ايسلاندا فاشاع خبر رجوعنا في هبرج حتى غص منزل
 عي بالزائرين من اهل المدينة نساء ورجالاً شيوخاً واطفالاً ثم تناقلت الرواة
 ونشرت السنة الجرائد فلم يتر في اوربا شخص الا وتحدث في الامر
 وبعد وصولنا بايام التي الاستاذ مقالة عن رحلته في دار المدرسة الكبرى

يهيرج حضرها عدة اشخاص من اشهر علماء العصر بين فيها اكتشافاته الخطيرة
ورفع القناع عن وجه حقائق كثيرة فعظم قدره عند القوم
وما يكسب الذكر الجميل سوى العنا وجوب الفاني وإقحام المخاوف.
وقد تناقلت الجرائد العلمية اقواله وهي بين مصدقة ومكذبة وجردت العلماء
اقلامها للمناضلة والمعارضة وكان مدار معظم البحث والمجدال على تلك المسا
التي لم أكن انا وعي متفقين عليها وهي مسألة الحرارة المركزية
وبالجملة اقول انه لم يبق في المانيا ولا في غيرها من البلاد الاوربية احد
الا وسمع بذكر الاستاذ اوتوليدنبروك وابن اخيه اكسيل فطابت نفس الاستاذ
بما نال من الشهرة وعلو المنزلة وفرت عينه بما رأى من الاكرام والاحترام
واصابني شيء من ذلك الفخر الا ان عيشي لم يهنأ الا بعد اقتراني بابنة عمي غريبة
وهي الان بجاني

ولقد عزمت فيما بقي من عمري ان لا اركن للدعة ولا اسكن الى السكن
فقد وجدت الفخر معقوداً بنواصي الاعمال وبحسبها تفاوت مقادير الرجال ولولا
تجسمننا تلك الاهوال ومخاطرتنا بالارواح والاموال لما وجدنا الى بعد الصيت
سيلا ولا خلد لنا التاريخ ذكراً جليلاً

من اين يكتب المحامد لامي ام كيف يرقى للعلا بالله
وعلام يلهو والثناء على الفتى لا ينتهي وعناؤه متناه

تمت

خطأ	صواب	صفحة	خطأ
تقريباً	بنصف جيل تقريباً	١٢	٢٠
وثمانين	والثمانين	٢٢	١٩
فقط	قط	٢٥	١٠
اني كررت	على اني كررت	٢٨	٨
(صفحة ٥٣)	(صفحة ٥٥)	٥٤	١
اشبه	اشبهه	٦١	٢٠
الموس	الموثر	٩٣	٠.٦
النفود	النفاذ	٩٦	١٨
نفود	نفاذ	٩٨	١٠
كالة	كأنة	١٠٣	١٣
قلت	قال	١١٦	٧
الحارة	الحرة	١١٩	٩
المال	الماء	١٤٤	٨
لي	الى	١٤٦	٢٢
الطواف	الطوف	١٦٠	١٨
العين	العينين	١٧٦	٥
طريقة	طريقاً	١٨١	١٢
تبعه	لتبعه	١٨٣	١٧

وغير ذلك من جنوات الطبع مما لا حاجة الى التنبيه اليها

TOURS DU MONDE EN QUATRE-VINGT JOURS

رواية

الطواف

حول الارض في ثمانين يوماً

للمصنف الشهير والعالم التحرير جول فيرن الفرنساوي



عربت من الفرنساوية بقلم القدير يوسف اصاف

وكبل البوسطة المصرية بالعطف

حقوق اعادة الطبع محفوظة



طبع في مطبعة الهروسة بالاسكندرية في ٦ مايو (ايار) سنة ١٨٨٥

اهداء الكتاب

الى غرة جبين الوجاهة صاحب العزة هالتون بك مدير عموم مصلحة البوسطة
المصرية حفظه الله واياه

مولاي

عهدي بغيركم على العلوم والأدب حملتي على استغراج هذا الكتاب
الموسوم . بالطواف حول الارض في ثمانين يوماً . نظراً لما يحويه من الوقائع
الغريبة والمحادث العجيبة التي تهذب الاخلاق وتحلوفي جميع الانواق
وقد جعلته مولاي هدية برسم فضلك وان كان دون ما يليق بآدبك
ونيلك فهدية من كرمك سبيل الرضى والقبول فذلك هو حسبي والمأمون
الداعي
يوسف اصناف

THIS BOOK IS PRESENTED
TO
His Excellency W. F. HALTON BEY
GENERAL MANAGER OF THE EGYPTIAN POSTS

ALEXANDRIA

EXCELLENCY

Knowing that your Excellency likes the improvement of the science and instruction ; feeling myself obliged of your kindness towards me till now. Therefor. I beg to allow me a boon. to offer to your Excellency this one moral gift, which is the translation of the Romance intituled « the travel round the globe during 80 days » translated by me in the express end to be presented to your Excellency ; however a trifle :

Pray to accept my supply, which will be a reward to my trouble.

With kind regards. I have the honour to be Excellency

Your most obedient and humble servant

JOSEPH ASSAFF

Post - MASTER

ATFÉ

الصفحة	العمود	السطر	خطاء	صواب
١٨٣	٢	٢٠	مثلها	مثلها من
١٨٤	٢	٥٠	الثنت	الثنت
١٨٧	١	١١	الثقة	الثقة
١٨٧	٢	٢	كان يتفقد	كان يتفقد
١٨٧	٢	٢	ويشدها	ويشدها
١٨٧	٢	٢	ويعرض	ويعرضون
١٨٨	٢	١٩	للسفينة	للسفينة
١٩٥	١	١٩	افعات	افعات
١٩٦	٢	٥٠	الله	الله
١٩٩	٢	١٦	ويعقدون	ويعقدون
١١١	٢	١٤	العذابات	العذابات

هذا هم ما وقع في هذه الرواية من اغلاط
الطبع آكتفي بالاشارة اليه يا تترك ما سواء لنظرة
الناقد البصير يوسف
اصاف

الصفحة	العمود	السطر	خطاء	صواب
١٨٣	٢	١٢	لا يتأرق	لا يلزم
١٨٦	٢	٢١	يقد	يقد
١٨٩	٢	٦	المخطوط	القطارات
٢٦	١	١٢	اليو	الي
٢٢	١	٦	كان	كان
٢٦	٢	١٠	المنظر	المنظر
٢٨	١	١٦	الى وقع	الى ان وقع
٢٨	٢	٢٠	لا	لا
٤٦	٢	٢	نقص	نقص
٤٦	٢	١٤	الارتجاج	الارتجاج
٤٨	٢	٢	سائناً	سائناً
٤٨	٢	٢٢	لبث	لبث
٥٢	١	٤	فقبض	فقبضت
٥٢	٢	٢٠	بخسب	بخسب
٥٤	٢	١٥	جرا	جرا
٥٦	٢	٦	والانعام	والانعام
٥٦	٢	١١	الضحية	الضحية
٥٩	١	١٧	عذالها	عذالها
٥٩	١	١٩	ابى	ابى
٦٠	٢	١٩	رفيقو	رفيقو
٦٢	١	١	وحررك	وحررك
٦٢	٢	١٨	وتثبتاً	وتثبتاً
٦٤	٢	٢٠	٢٠	٢٠
٦٥	١	١٢	وبالم	وبالم
٧٠	٢	٢٢	الساعة	الساعة
٧٠	٢	٢٢	محال	محال
٧٢	٢	١٥	اقفأ	اقفأ
٨١	٢	١٧	باخرة	باخرة
٨٢	١	٨	ايام	ايام

مقدمة المترجم

شغنت زمنًا طويلًا بمطالعة الروايات الادبية ونحوها من المصنفات الخففة للعقول المهذبة
للاخلاق فلم يحلْ لذوقي منها الا ما جاد به واجاد براع العالم الخاذق التحرير
والمؤلف الشهير الموسوي جول قرن الفرنسي فاخترت من جملتها هذه الرواية
المنيدة واقدمت على ترجمتها وطبعها علمًا بانها حرة بان تنداولها ايادي
المجنسين خليفة بمطالعة اهل العلم قيمة بان نترتب عليها الفوائد الجمة
ولا تجعل سبيلًا لشكوى اهل الاطلاع من قلة الفائدة وامتناع
العائدة . وقد غُيبَت في الترجمة بتطبيقها على الاصل مع مراعاة
اسلوب الانشاء العربي وابرادما وصل اليها ما كان من المصطلحات
المألوفة في لغة العرب ما يرادف مصطلحات الافرنج
وذلك مخافة ان نغج اذواق الناطقين
بالضاد فان كنت اخطأت المرمى
فبالعز ولا تنجل عليّ
الكرار

يوسف آصاف



الفصل الاول

(كيف ان ياسارنو تقيده بخدمة)

(المستر فيلاس فوج)

قال المؤلف : لانعرف للمستر فيلاس فوج تاريخ ولادة ولا نعلم له حساباً ونسباً ولا مهنة او صناعة فهو ليس من ذوي التجارة او ارباب الفلاحة او اصحاب الزوارق او من رباني السفن والبواخر ولم يره احد من الناس في قاعة البورصة او في بنوكة الملكة او المدينة ولم يذع ذكره بين خدمة الدوائر او في مصاف المحامين امام المجالس ولم يذكر له اسم بين اعضاء مجلس النبلاء او بين نصراء الاديان ولم يتظم في سلك جمعية من الجمعيات العديدة المنشأة في لندره ومنها جمعية بريطانيا العظمى التهذيبية وجمعية لندره وجمعية الحرف والفصاحة الغربية والقه والصنائع والعلوم المستظلة بظل جلالة الملكة وجمعية الموسيقى وجمعية اعدام المحشرات المنصرة ببني الانسان . وجل ما علمناه من امره انه انكليزي النشأة حاصل على مكانة علياء بين رجال الهيئة الاجتماعية من قوم الانكليز محرز من الاداب والعلوم

والمعارف والفنون ما رفع منزلته في عالم الانسان حتى طارت بذكرة الركبان في كل نادٍ ومكان . الا انه كان يبدل قصارى جهده في مواراة شهرته وكيف نواري ناراً على علم او يستتر نور تحت جنح ظلام وكان كريم الخلق سليم النية حسن الطيبة حاد الذهن نزهاً ايماً ثابت الجنان لا تأخذه الحدة عند الغضب ولا جوله العجب عند نيل الارب فكأنني به يشبه يبرون في طباعه فاذا عاش ماث من السنين لا يعيب البياض بلمنه وفي عام ١٨٧٢ كان يسكن في شارع سافيل المودي الى حدائق بورليغتون داراً رقم فوق بابها عدد (٧) وفيها قضى عام ١٨١٤ سرمدان احد خطباء الانكليز المفلتين ورجالم المحنكين

ولقد احصى المستر فيلاس فوج في عداد اعضاء الجمعية التهذيبية بلندره التي لم يكن يقبل فيها الا من كان من اشراف الناس واعيان البلاد بمقتضى توصية خصوصية من الخواجات بارين اخوان اصحاب الغنى الوافر والذكر الطيب العاطر واصحاب البنك المشهور في مدينة

لندره وقد كان ذا علاقةٍ بأعماله التجارية
 جعلت له بين اهل الثروة مقاماً رفيعاً
 وكان في معيشته لازماً حاد الاعتدال
 وفي دنياه غنياً ولا نعلم كيف حشد
 الاموال ولكنه كان لا يبذل الدينار في
 غير حين اللزوم والاضطرار ولا يبخل
 ببذل الدرهم بسخاء اعانةً للأعمال الخيرية
 وكان قليل العلاقات والداخل لا يتكلم
 الا عند الاقتضاء ولا يتحدث بما لا يجدي
 نفعاً وكان ذا الملم تام وباعٍ طولى في
 علم الجغرافية ومعرفة خصوصية باقى
 اماكن الارض وعندما كان يقع احبائاً
 بين رفاقه اعضاء الجمعية حديث او
 جدال في مواضع جغرافية متعلقة بموت
 السواح وتبهم في الفدافد والتفارق كان
 يصحح اراءهم ويصلح فاسدها ويقوم معوجها
 ويوصل بينهم ذات اليقين بالحجج
 التورية والبراهين الدامغة والادلة الساطعة
 كانها صادرة عن رأي العين وذلك
 بكلام وجيز وعبارات بليغة توهم السامع
 انه جاب انحاء البسيطة واستقرى غورها
 ونجدها وطوى سباسبها وبطاحها مع انه
 لم يبارح من عدة سنوات مدينة لندره

ولم يكن بالطبع مبالاً الى الاغتراب ومعاناة
 الاسفار ولم يكن يسلك غير الطريق المؤدية
 من داره الى قاعة الكلوب حيثما كان
 يقضي اكثر الاوقات في مطالعة صحف
 الاخبار واعب الويست. وكان لهواً يجلو
 له ويطيب لذوقه وفي غالب الاحيان
 كان يريح شيئاً من النقود فيضيقه الى
 حصص الصدقات لاصطناع المبرات
 وما عرفنا له امرأةً وبين هذا من
 دأب الادباء ولا اقارب وانساب وهذا
 من خوارق المحالات. وكان منفرداً
 بسكناه مصطحباً خادماً وكان لا يخلو
 منزله الا حيناً يسيراً من النهار وبين
 اجلى انه كان يقضي فيه عشر ساعات نائماً
 نارةً ومشتغلاً طوراً اما منزله فلم يكن فيه
 شيء من الاثاث الفاخر بداعية انه لم يتخذ
 للبحر باه ضيف او يدخله زائر. وكان
 يتناول الطعام في الظهر والمساء على مائدة
 الكلوب. في اوقات معينة وفي حجرة
 منفردة وما من مرة دعا احداً غريباً كان
 او قريباً لتناول الطعام او شرب كأس مدام
 وكان اذا جلس على المائدة قدم له خدمة
 الكلوب. فوطاً بدمية الصنع من

الوراء وعيناه شاخصتان الى غروب الساعة
الكبيرة البديعة الاختراع المتقنة الصنع
الدالة على الساعات والايام والشهور
والاعوام اذا بالباب يقرع ثم فتح ودخل
الخادم المطرود مستصباً شاباً بالغاً من
العمر حد الثلاثين عاماً فخطب المستر
فوج بقوله :

هونا خلقي يا مولاي
فاجابه لا بأس ثم التفت الى الخادم
الجديد وقال له مستفهاً :
افرنسوي انت وما اسمك
فقال الخادم :

نعم انا فرنسوي يا مولاي وأدعى
جان . والقب . باسبارتو . وقد مارست
المهن العديدة والحرف الكثيرة فكنت
فيها من النابغين المفلحين . وكنت من
منشدي الاغاني على قارعة الطريق فاطربت
برخم صوتي وشنفت الاذان بشجي انغامي
وكنت سائساً في احد الاسطبلات فرضت
الحيل بالاعناء وسستها بحذق وذكاء
وكنت مشعوذاً فابعدت واغربت وخطبت
الالباب بغرائب الالعب . واصطلعت
لي اجنحة قطرت بها في الفضاء مثل

منسوجات ساكسونيا واتوه بالطعام في
آنية صينية وسكبوا له الخمر الجيد من
اباريق صينية في اقداح من البلور الشفاف
ممزوجاً بالثلج الامر كافي فبعد ان ياكل
مرقياً ويشرب هنيئاً يهنض ويخطر خطرات
الغيد اما في قاعة الاستقبال واما في
الايوان المربع حيث تقوم من فوقه قبة
مستديرة مصنوعة من زجاج ازرق يحملها
عشرون عموداً رخامياً . وعلى هذا النمط
من العزلة والتأنيق كان سير معيشته
الصادقة وشأن حاله الراضية

وكان القائمون بخدمته شديدي
الارتياح الى قضائها بالنظر الى اخلاقه
المروضة وما الفة من مثل هذه العادات
ولم يكن يطلب من خادمه سوى النهوض
بواجبه في وقته المعين وفي احد الايام من
شهر اوكطوبر اتاه خادمه المدعو جاس
فورستر بباء لفصل لحبته في درجة ٨٤ من
الحرارة بدلاً من ان تكون في درجة ٨٦
فمخط عليه وطرده من الخدمة

وبينا كان في غرفته تائها في اوديه
القامل بعد طرده للخادم ورجلاه متخاذلتان
وبده مسترخيتان ورأسه مستلق الى

ليونار: ورقصت على الحبال مثل
 بلوندين، وكنت استأذ الفن الثمين
 البدي (الجمناستيك) في فرنسا واخيراً
 كنت قائداً لفرقة المطاقي في الجيش
 الفرنسي فكم اطفأت من حريق هائل
 واخذت من ابنة فاخرة وقصور شاهقة
 وقد بارحت باريس منذ خمس سنوات
 فأتيت مدينة لوندرة التماس الخدمة في
 بلاد بريطانيا العظمى لاني مات بعد ذلك
 العناية الى التمتع بعيش هني في حجر كريم
 غني ولكنك الطالع لا ازال الى الان
 خالياً من مثل هذه الخدمة وقد علمت
 ان مولاي يطلب خادماً أميناً معروفاً
 ببراعة الدقة في اتمام اعماله لا يروم ابتعاداً
 بعد اقتراب ولا جسم في اي الاحوال
 غارب اغتراب فهرولت اليك وما انا على
 قدم الاحترام بين يديك متوقفاً بلوغ
 اميني قبل ان تدركي مني
 - اراك يا باسبارتو موافقاً لمشربي ملائماً
 لمذهبي ولي علم تام بحالك وسير احوالك
 وقد اوصاني بك بعض الخلان فهل
 تعرف شروط خدمتي
 - أجل يا مولاي

- كم الساعة الان
 - ١١ والدقيقة ٢٠
 - واخرج من جيبه ساعة ضخمة من
 الفضة

فقال المسترفوج
 ان ساعتك تؤخر اربع دقائق
 فتأمل الفرق وتدبر و انت منذ اليوم مقيد
 في خدمتي - من الساعة الحادية عشرة
 والدقيقة ٢٩ من صباح الاربعاء الواقع
 في ٢ أكتوبر عام ١٨٧٢
 وبعد ان اتم كلامه تناول بيده
 اليسرى قبعة فوضعها على رأسه وخرج
 من غرفته بدون ان يفوه ببنت شفة ثم
 خرج الخادم السابق وراءه وبقي الخلف
 في المنزل

الفصل الثاني

كيف ان باسبارتو تحقق بلوغ
 امانه

كان الناس في لوندرة يتصدون
 منزل مادام تيسو فرادى وازواجاً قصد
 التفرج على التماثيل المصنوعة من الشمع
 المحكمة الصنع الكثيرة الاتقان بحيث ان
 الناظر اليها يكاد لا يفرق بينها وبين

الادميين . وكان باسبارتو قد شاهدها
فلما رأى مولاه تذكرها وقال في نفسه
لعري ان تلك التماثيل شديدة الشبه
لمولاي فلا اخاله الا منها ولا ارى الا
انه تمص منها ثوب التكون ثم تأمله
واحدى بصره فيه فراه رجلاً جاوز حد
الاربعين من العمر تبدو على وجهه ملامح
احرازه للفضيلة التي يعرفها علماء الهيئة
بفضيلة (السكينة في العمل) حسن الرواء
ذالحية شقراء وجبهة بارزة خالية من
التجمد مائلة الى الصفرة لوناً واسنان كالبرد
وقوام رشيق وبنية معتدلة وطبع هادئ
يدل على كونه انكليزي الدم محضاً كابناء
جلدته القاطنين في الولايات المتحدة الذين
رسمت هيتهم بقلم انجيليكاف كوفان المصورة
الشهيرة . ورأى من ثم ان جميع تصرفاته
دائرة على محور الحكمة والكمال وتبين من
اعضاء جسده تناسباً بامتثل كرونومتر : لروا :
في الدقة والتعادل فكان رشيق الحركة
دقيق الخطى في الخطر والسير وبيان
آخرائه لم يكن بخطو خطوة على غير
لزوم او يسلك غير الطريق القريب
او يضع لجة بصر من غير فائدة او يدي

اشارة في غير موقعها
اما جان باسبارتو فكان فرنسوي
النزعة باريزي النشأة حميد الخصال
حسن الصفات اديباً مهذباً سليم الذوق
كريم الخلق صافي النية طاهر السريرة
ذا رأس مستدير يثنى كل امرء ان يراه
بين كفتي حبيبه وشعور سوداء مسترسلة
الى الوراء يكفي لاصلاحها مرور المشط
عليها بخلاف شعور مينرفا التي اخترع
الراسمون لجهاها ثمانية عشر طرازاً وكان مقتر
التغر ناضر الحيا يرى بمقتليه ورد وجنتيه
واسع الصدر قوي البنية شديد العزم
عالي الهمة ذا قوة عقلية وكان فتى بعد
ان قضى زمن الشباب في اللهو ولم يجده
اللهو نفعا عض اصابع الندم وساقى الى
انكثرة القدم بعد ان سمع بما للانكليز من
التأني في السير والحزم في العمل فقصده
بلادهم ابتغاء الاثراء بتعاطي الخدمة . وقد
طالما بحث عن مولى يشده ازره ويستعين
به على جور الزمان فحزرت احكام القدر
على عكس امانيه ولم يتسن له ان يسفر
على الخدمة في منزل من العشرة المنازل
التي دخلها فان بعضها دهنها صروف

عن الدار فسارع اليه ووقف بين يديه
ثم تقيد بخدمته على ما مر بنا من الكلام
تقدم القول ان باسبار تولبت وحده
في المنزل بعد خروج سيده في طلب
بعض الحاجات فلما رأى نفسه وحيداً
في المنزل جعل يطوف غرفه واحدة بعد
اخرى حتى انه لم يدع فيه حجرة او منفذاً
الا زاره فالتفت ما زار في تمام الانتظار
وكال الاثنان

ولما وصل الى الطبقة الثانية عثر
بالغرفة المعدة له فعرّفها بداهة فاعجبت
وقد رآها متصلة بسائر غرف الدار بواسطة
اجراس كهربائية وانابيب تردد الصدى
ثم التفت الى الحائط فرأى ساعة تسير
في الدقة سير ساعة مولاه المعلقة في غرفته
وكلتاها تسيران الثانية في آن واحد فسر
بذلك واتسم فرحاً وقال في نفسه : لقد
زال النقص عني الى حيث ... وبلغت
ما كنت اتمنى والله رحوم شفيق . ثم عاود
النظر الى الساعة فرأى بالقرب منها لائحة
الخدمة فحش وبش وطاب نفساً وفرعيتاً
ثم طفق يقرأها فاذا هي مشتملة على ما يأتي
ينقض فيلاس فوج من النوم في

المحدثان وتناوبت عليها مصائب الزمان
فدرستها وجعلتها اطلاقاً بالية وبعضها
الاخر سطا على اهلها الطيش فالو الى
الاسفار والسوح في القفار ومرت عليه
هذه الاحوال على هذا المتوال الى ان
استخدمه اخيراً اللورد لوجسفيري احد
اعضاء مجلس الامة فلما رآه اللورد فضولياً
طرده من خدمته وكان اللورد اذ ذاك
في شرخ شبابه يصبو الى اللهو والطرب
ويقضي جميع ليلاليه في الحانات يعاقر بنت
الدنان ويجالس بنات الغرام الى ان
تلاعب الخمرة بلبه وتذهب بصوابه
فيؤخذ الى منزله محمولاً على اكتاف
الشرط ففي احد الايام خطر لباسبار نوان
بعضه انصح لعله يرعوي عن غيه ويرتد
عن ضلاله فيكافئه على نصحه وغيرته
ففعل ولكن ساءت العقبى ورجع بالخفين
بان طرده اللورد من الخدمة فخرج يلتمسها
لدى غيره ولما علم باحتياج المستر فيلاس
فوج الى خادم طفق يستقصي عن احواله
ويستطلع طلع سيره فانتهى اليه من
اخباره انه رصين رزين مستقيم الاطوار
كريم الاخلاق لاهوى الاسفار ولا الغيب

مكتبة جزيلة المنفعة تخدوي على المؤلفات
وكان له غيرها ايضاً ثتان في الكلوب
اودعت احدهما كتب الفقه والثانية كتب
السياسة وكان في داخل غرفته خزانة
حديدية غير قابلة للاحتراق امانةً غدر
للصوص ولم يكن في المنزل اسلحة نارية
او سيوف بشارة او آلات صارعة فانه كان
رجلاً ميالاً الى السلم والسكينة

وبعد ان طاف باسبارتو جميع غرف
الدار وراها على ما يروم ويقتنى سرسوراً
لا مزيد عليه فرقص فرحاً وضرباً وحمد
التقادير التي سافته الي مولاه المحب للضبط
الملازم للراحة الماقت للاسفار
فالها غير مستحيل ولكن

دونه في سبيلنا عقبات
الفصل الثالث

في جدال تكبد المستر فيلاس فوج
من اجله نقات

بارح فيلاس داره ذات يوم في
وقته المعين فبعد ان تقل قدمه البني
خمسائة وخمسة وسبعين مرة واليسرى
خمسائة وستة وسبعين خطوة وصل الى
الكلوب ، البناية الشاهقة التي أنفق على

الساعة الثامنة ويمكث في البيت حتى
الساعة الحادية عشرة ونصف

يُقدم له الشاي واللم المقلي في الساعة
الثامنة والدقيقة ٢٢

يؤتى له بالماء لغسل لحيته في الساعة
التاسعة والدقيقة ٢٧

يلبس اثوابه في الساعة التاسعة
والدقيقة ٤٠

ومن الساعة الحادية عشرة ونصف
صباحاً الى منتصف الليل يمكث في
الكلوب

والنتيجة ان تلك اللائحة كانت
جامعة لجميع ما يحتاج الخادم الى معرفته
اما خزانة الملابس فكانت الملابس
فيها مرتبة على شكل عجيب فان كل
قطعة منها كانت معينة بنمرة متسلسلة
ومقيدة في دفتر : صادر : ودفتر : وارد :
ذكر فيها الزمن والفصل اللذين تلبس
فيها وكان للاخذية ترتيب اخر ليس
باقل غربة من هذا الترتيب

وفي الجملة ان تلك الدار كانت
مرآة الترتيب ونموذج الانتظام ليس فيها
شيء عدم الفائدة وكان فيها للمسترفوج

جواسيس ماهرين من دهاة رجال
الشرطة ليبحثوا عن اللصوص الذين
ارتكبوا هذه الجريمة ولنا مل الامل
بنجاحهم

اندراس ستوار . هل يعرف
البصاصون شبه اللص

جوتيه رولف . هل نظن ان
مرتكب هذه السرقة لص . لا وايبك

اندراس ستوار . الانطلق لقب
لص على من سرق مثل هذا القدر
العظيم من المال اي خمسة وخمسين الف
ليرة او مليون و ٢٧٥٠٠٠ فرنك

جان سيليفان من كان مرتكباً مثل
هذه السرقة يدعى معتوقاً لا لصاً

فيلاس فوج . ان صحيفة المحادث
اليومية تزعم ان الجاني يعد من اشراف
الانكليز وان هذه السرقة حدثت في ٢٦
سبتمبر على هذا الموال كما تقول جميع جرائد
الولايات المتحدة وذلك ان امين الصندوق
بينما كان يقيد في الدفاتر دخل ثلاثة شلينات
وبنسين وعلى مكتبه عدد من السفائح
بقيمة خمسة وخمسين الف ليرة اذا غفلت
يد اللص من غير ان يشعر به احد

بنائها قدروا فر من الدناير لا يتنص عن
ثلاثة ملايين من الفرنكات فدخل غرفة
فيها ذات تسع منافذ تشرف على حديقة
نضرة يكسوها الربيع بساطاً سندسياً مزينا
بالازهار والرياحين وكانت هذه الغرفة
معدة لتناول الطعام فجلس على المائدة
المعتادة ومد له الساط فتناول الغداء
وفي الساعة الثانية عشرة والدقيقة ٤٧
نهض عن المائدة ودخل قاعة المجلس
فتناول الحادام جريدة التيمس فتناولها من
يده واخذ يقرأ فصولها بالامعان واستمر
كذلك الى الساعة الثالثة والدقيقة ٤٥
وبعدها تناول جريدة الستاندرد وقضى
في مطالعتها وقتاً طويلاً

وبعد ان فرغ من المطالعة وفد
عليه زملاؤه الكلفون مثله بلعب الويست
فجرت بينهم المحاوراة الآتية

توما فلاناجان . ما عندك يا صاحبي
من العلم بامر السرقة التي نكب بها البنك
اندراس ستوار . سبقوم البنك
بادائها من عين ماله

جوتيه رولف . قد ارسلنا الى جميع
مرافق اوربا وامريكا ونفوز الارض

جوتيه رولف . من المستحيل ان
يتنبه المرء لامرئ في وقت واحد قد
روى احد المتقدمين على العادات
الانكليزية انه مر يوماً ما بينك لوندريه
فراى على مكتب امين الصندوق سبيكة
من الذهب تزن من سبعة الى ثمانية
ليرات فتناولتها بيدي لانفراج عليها ثم
تناولها رجل كان بالقرب مني للتقص
ذاته وهذا دفعها لذاك وذاك لآخر وهكذا
اخذت تنقل من يد الى اخرى حتى
وصلت الى يد من كان في منتهى دهليز
البنك ولم تعد الى محلها الاصلى الا بعد
نصف ساعة وذلك بدون ان يشعر امين
الصندوق باخذها ونقلها على اكف
المتفرجين او برجوعها الى مكانها فبناء
على ما تقدم لا يصعب التصديق بحدوث
السرقة التي نحن بصددھا فان مستخدمى
البنك يحسنون الظن بكل انسان وليس
لديه خفاء يراقبون ما يجري حوله والذهب
والفضة كما لا يخفى مطمح انظار اللصوص
فتأمل

وقد اتشتر خبر هذه السرقة في جميع
انحاء لوندريه فحدث بامرھا القوم واهتمت

الحكومة بالبحث عن مرتكبھا فبعثت
بالعدد العديد من دھاء الجواسيس
والمفتشين الى اھم المراتى كليفربول
وجلاسكو وهافر والسويس وبرندزي
ونيو يورك وغيرها ليراقبوا المسافرين ذھاباً
واياباً ويقيموا فيها الى ان يلقوا الايضاحات
اللازمة عن شبه السارق وقد رسمت
لمن يقبض عليه بمجائزة قدرھا الفا ليرة
وخمسة في المائة ما يضبط من المال
المسروق وقد قالت جريدة الحوادث
اليومية ان الحكومة اتصلت بعد عشاء
الاستقصاء الى حصر الشبهة في مرتكب
السرقة وكان رجلاً من الاعيان نظر
يوم حادث السرقة في قاعة بيت المال
بخطر الهولباء وقد اخذت رسمه وارسلته
الى جميع الجواسيس الباحثين الذين
ارسلتهم الى جميع الولايات المتحدة وغيرها
من اھم نفور الارض

وبالنظر الى هذه الاحباطات جزم
الناس في لوندريه بوقوع السارق في
قبضة الحكومة ثم حصل لهذه المادنة
بينھم اھية كبرى حتى صارت موضوع
احاديثھم اثناء الليل واطراف النهار

واسعة واصبحت اليوم حرجة
 رولف حرجة بمعنى ان الانسان
 يقدر ان يحويها باسرع وقتاً عن ذي قبل
 بعشر مرات

فوج . وهذا ما يهد للسارق سبل
 الفرار . ثم قال . تفضل والعب يا مستر
 ستوار ولم يتو دور اللعب الاول حتى
 عات ضوضاء الجدل فقال ستوار
 ستوار . لله درك يا مستر رولف
 هل يصح ان تقول ان الارض صارت
 حرجة اذا كانت تظاف اليوم في مدة
 ثلاثة شهور

فوج . في ثمانين يوماً فقط
 جان سيليفان . في الحقيقة ان
 الارض قد امست تظاف اليوم في ثمانين
 يوماً لان المرحلة التي كانت بين روتال
 والله اباد لم يعد لها من اثر اليوم بسبب
 امتداد السكك الحديدية في اقطار الهد
 وهاك التقويم المأخوذ عن جريدة
 الحوادث اليومية للطواف حول الارض
 ايام

٧ من لوندري الى السويس بطريق
 جبل شينيس وبرنزي على السفن

ولاسما بين اعضاء الكلوب الذين تهمهم
 الوقوف على الخبر اكثر من غيرهم لان
 المستر جوتيه رولف وكيل البنك المسروق
 من رجال هيتهم فلا عجب اذن اذا
 طال بينهم الجدل واختلفت منهم الاراء
 ومن جملة ما ذهبوا اليه الاقوال الاتية
 المستر رولف لا بد من وقوع
 السارق في قبضة الجواسيس لان الجائزة
 التي وعدناهم بها تقوي عزائمهم وتنهض
 همهم

ستوار ان حجبك ضعيفة واراءك
 غير سديدة

رولف . اين يذهب السارق وقد
 بنينا من حوله العيون والارصاد
 ستوار . ان الارض واسعة واتجاهها
 شاسعة

فيلاس فوج . كانت كذلك يوماً ما
 وقد طال الجدل بين هؤلاء
 الاعيان وهم جلوس امام طاولة الويست
 على هذا المنوال وقد تخلله العنف والمحنة
 في نهاية كل دور من ادوار اللعب وبعد
 برهة عاد القوم الى الجدل فقال المستر
 ستوار . كيف ان الارض كانت

غير انتباه ورقة في اللعب تعرف بالدام)
 فيلاس فوج . نعم تطاف بالرغم عن
 هذه الموانع (وهنا قطع الجداول اللعب)
 اندراوس ستولر . نعم تطاف ولو
 اقتلع الهنود الفضبان الحديدية واوقفوا
 القطارات واخطفوا العجلات ورجلوا
 الركاب حسبما تعودوا

فيلاس فوج . ولولو . . . (ورسى
 الى الارض بورقتين من ورق اللعب)
 اندراوس ستوار . من يقول شيئاً
 يجب ان يقرن قوله بالعمل واستغفر الله
 عن قول بلا عمل

فيلاس فوج . قطعت جبهة قول
 كل خطيب فاني على اجابة ما تسألني
 قدير وما عليك سوى اعداد لوازم السفر
 فنرحل سوية وتري كل ذلك رأي العين
 وما راه كن مع

اندراوس ستوار . معاذ الله ان
 اتقاد للطيش واركب الاخطار واقحم
 الاسفار وانا سيف غني عنها ولكني اعد
 صكوك الرهان مع اي كان يريد ان
 يتبع الامر ويرحل هذه الرحلة التي
 لا نستطاع في تلك المدة المعينة وانني مستعد

البخارية والخطوط الحديدية

١٤ من السويس الى بومباي على

السفن البخارية

٣ من بومباي الى كلكتا على الخطوط
 الحديدية

١٥ من كلكتا الى كونكون (الصين)
 على السفن البخارية

٦ من كونكون الى يوكوهاما (اليابان)
 على السفن البخارية

٢٢ من يوكوهاما الى سان فرسيسكو
 على السفن البخارية

٧ من سان فرسيسكو الى نيويورك
 على الخطوط الحديدية

٩ من نيويورك الى لوندرو على الباخرة
 ثم الخطوط الحديدية

٨٠

والمجموع ثمانون يوماً

اندراوس ستوار . اجل تطاف
 الدنيا في ثمانين يوماً انا لم يحدث في البحار
 انواء ولم تثر في الجو رياح ولم يطرأ على
 الخطوط الحديدية ما يؤخر السير عليها
 ولم تعطل القطارات . قال ذلك متهمكاً
 (وبنما هو آخذ فيها الكلام قطع على

من الحكمة ان يخاطر بئيل هذا القدر من
المال ويخاطر ايضا بالحياة في مثل هذه
الرحلة فربما لقيت في سفرك ما ليس في
الحسبان

فوج . مها حال دون عزمي فاني
وائق بنجاح هذه المهمة

سليمان . ان هذه المدة التي تحددها
للطواف حول الارض جريدة الحوادث
البيمية قليلة جدا

فوج . ان القليل مع حسن استعانه
كثير

سليمان . حذر حذار من ضياع
الزمان فاعتبر انه يجب عليك ان تنتقل
من السفن التجارية الى قطارات السكك
الحديدية ومن هذه الى تلك من غير
استراحة فيصعب عليك تكبد هذه المشاق
وما اغنى فوادك عنها

فوج . ان رب البيت ادرى بالذي
فيه

سليمان . دع الهزل فاني اراك تمزج
فوج . بين الهزل والمجد بون عظيم
وما الهزل من دأب الانكليز فاني قد
عقدت العزم على الطواف حول الارض

ان ادفع اربعة الاف ليرة انكليزية اي
مائة الف فرنك قيمة الرهن

فيلاس فوج . يمكن ذلك بسهولة
وانا اقوم بهذه الرحلة ولكن على مصاريفك

اندر اوس ستوار . قاتل الله العناد
والاستقلال بالرأي فتقدم للعب فارن

اللعب في هذه الجلسة خير من ضياع
الوقت سدى

ثم تناول ستوار الورق بيده واعاده
الى المسترفوج قائلاً له :

دع الهزل جائنا فاذا شئت عقدت
معك رهانا على اربعة الاف ليرة

فالتين . لم جركا المجدال الى
هذه الحال مع ان الكلام كان في بادئ

الامر من قبيل المسامحة
سقولر . لا ارجع عن كلامي

فوج . لي في بنك بارتن اخوان مبلغ
عشرين الف ليرة فانا مستعد لان اعقد

عليه رهانا مع كل من يطلب ان اطوف
حول الارض في ثمانين يوما

سليمان . ترو في الامر بما مسترفوج
فان العجلة يعقبها الندم ولذلك يجب ان

يسبق العمل التروي والامعان وليس

في ثمانين يوماً اعني في تسع عشرة مائة
وعشرين ساعة او مائة وخمسة عشر ألفاً
ومائتي دقيقة

ولما تأكد اعضاء الكلوب ذلك
العزم قالوا قبلنا فاجابهم المسترفوج اني
والحالة هذه ساركب القطار الذي يقوم
من محطة دوفر في الساعة الثامنة والدقيقة
٤٥ من هذه الليلة لاية الاربعاء الواقع
في ٢ اكتوبر وستكون عودتي الى لوندرة
يوم السبت الموافق ٢١ ديسمبر فادخل هذه
القاعة قاعة الكلوب التي نحن فيها الان
واذا اخلفت الوعد فاكون قد خسرت
قيمة الرهن وبلغ العشرين الف ليرة
المطلوبة لي من بارين اخوان ثم كتب
صك الرهان ووقع عليه المتراهنون وكانوا
سنة اثنا عشر وبعد التوقيع لبث المستر
فوج على جاري عادته ثابت الجنان غير
مضطرب البال او خائف على ماله وان
يبتد لانه عزم ان يتفق في رحلته العشرين
الف ليرة واذا خسر الرهان يكون في
الواقع قد فقد مثل هذا القدر ايضاً من
المال فان ثروته كانت لا تزيد عن
اربعين الف ليرة

اما بقية المتراهنين فقد اخذ الاضطراب
منهم كل مأخذ وعلت وجوههم سمات
الحيرة لا خوفاً من خسارة قيمة الرهن بل
ما عساه ان يرشتم به سكان لوندرة من
سهام اللوم ونبال التعنيف اتقياداً منهم
الكلمة تكون نتيجة الطيش واستئلال الرأي
وبعد التوقيع استأنفوا اللعب ثم
امسكوا عنه مجلول الساعة السابعة ليتمكن
المسترفوج من التأهب للسفر اما هو
فالتفت اليهم قائلاً اني في استعداد تام
ولا شيء يعوقني ثم رى ورقة دهناري
وقال لعب يا مستر ستوار

الفصل الرابع

في تعجب باسبارتو من سيده

فيلاس فوج

استأنف فيلاس فوج رفاقه بالانصراف
في الساعة السابعة والدقيقة ٣٥ فافتدى
عنهم بعد ان وضع في جيبه ما ربحه في
اللعب وقدره ٢٠ جنهما وعند الساعة
السابعة والدقيقة ٥٠ دخل داره واستدعى
خادمه مثنى وثلاث ورباع فلم يجبه وذلك
لفرط ما استولى عليه من العجب والاندھال
عندما رأى موله آتياً قبل منتصف الليل

على غير ما جرت عليه العادة والنجاة
باب صومعته على عجل . ثم بعد ان
سكن جاش الخادم هرع الى غرفة مولاه
وامثل بين يديه منتظراً امراً يقضيه
فاجده اذ ذاك بالسؤال قائلاً ناديتك
كثيراً ولم تجني فقال له - لم يحسن
باسيدي الوقت الذي تعود فيه الى
البيت على جاري العادة اذ لم يحل
متصف الليل بعد . قال هذا واخرج من
جيبه ساعة فضية ضخمة الحجم
فوج . طب نفساً وسكن روعك
فاني لم اسق البك الكلام من قبيل الملام
بل لاهد لك الخبر تمهيداً وانبتك اني
قد عزمت على السفر فتهياً لترحل اولاً

الى دوفر ثم الى كاليه بعد عشر دقائق

من الزمان ومن كاليه نسير على قصد
الطواف حول الارض في ثمانين يوماً
واعلم ان ليس لنا من الوقت دقيقة او
ثانية نصرها سدى فانهب واعدد جعبة

السفر وضع لي فيها قميصين من المنسوجات
الصوفية وثلاثة ازواج من الجوارب
ولك مثلها ولا تنس عباة في غطاء النوم
وما يلزمنا غير ذلك نبتاعه اثناء الطريق

فلما سمع الخادم بذكر السفر حارفي
امر سيده ثم وقف موقف التعجب فضرب
اخماساً لاسداس وهم ان يعارض مولاه
لولا ان تجذبه جاذبة الاحترام له فلزم
السكون بالنظر الى ما رأى من رغبة
مولاه في سرعة السفر فخرج من لدنه
واهن القوى لا يدي حراً فلق الببال
مضطرب الفكر ثم دخل اوضته وانطرح
على كرسي كان فيها فتأوه وتنفس الصعداء
حتى كاد يخفه البكاء ثم ردد في نفسه
قوله : طالما رغبت في الراحة ولم ابلغ
منها المراد كرهت سالف ايامي التي
قضيتها بتعليل الامال والان اصبحت
ابكي عليها

رب يوم بكيت منه فلما

صرت في غيره بكيت عليه
قال . ولقد علقت النفس باللذة
المستمرة والتمتع برغد العيش ولكن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه

تجري الرياح بالانشهي السفن
ثم نهض يغالب الغم والكمد ويحاول
الاستمساك بعرى الصبر ويسأل الله
المعونة ويهيئ لوازم السفر والافكار

عليها والاعتباه لها لان من داخلها أوراقاً ذات قيمة ٥٠٠٠٠ فرنك وبعد ذلك استعلم منه عما اذا كان اعد كلها اشار اليه باءـ اده فتناول الخادم الجعبة بيدين مرتجبتين من ثقلها كأنه تصور ان القيمة التي فيها ذهب رنان وما كانت الا أوراقاً لا تزيد في الثقل عن مثقال ذرة

ثم خرج فوج وخادمه من الدار وغادراها وشأنها مغلقة الابواب فانطلقا الى اخر شارع ساقيل حيث توجد محطة للعربات فركبا عربةً واتجهما عليها الى المحطة المعروفة بمحطة شارين كروس التي يتفرع منها الخط الحديدي المعروف بالخط الجنوبي الشرقي وخذ وصولها اعلن جرس الساعة الكبيرة ان الوقت بالغ اذ ذاك حد الساعة الثامنة والدقيقة ٢٠ وريثاً وقفت بهما العربة نزل الخادم منها قبل مولا

وكان سبب نزول الخادم قبل سيده ان المسترفوج (مولا) بينما كان يتند سائق العربة اجرته تقدمت نحوه امرأة فقيرة عليها علائم الفاقة تتودد بيدها اليه طفلاً وتسبط يدها اليسرى لطلب

تلاعب في رأسه تلاعب الهواء في أوراق الشجر فكان تارة يذهب الى امكان عدم تحقق المقال وطوراً يجزم بصحة الخبر وكانت تمر برأسه هذه الافكار ولا يهندي الى حقيقة الامر سبيلاً

وبما كان مفكراً فيها طراً على عادات مولا فبداها وعلى اخلاقه فغيرها وكيف كان محباً للعزلة فنجح الى الاسفار اذا به هش وبش واصبح باسم الثغر بعد ان كان مقطب الوجه وذلك اثر علمه بانه سيمر على دوفر فيدوس ارض الوطن العزيز ويتبع العين برأى باريس عاصمة بلاده التي كان يأمل ان يمر بها ويجلو بمشاهدتها عن فواده صداً الكمد وعن قلبه غياهب الغم

وعند الساعة الثامنة احتمل جعبة السفر وذهب للقاء مولا فوجده قائماً على قدم الاستعداد للمسير متأبطاً كتاباً مرشداً الى مواعيد سفر القطارات والبواخر في انحاء البسيطة وريثاً دنا منه تناول فوج الجعبة ففتحها واودعها قدراً من السفلج المتداوله في جميع بنوكه الارض ثم اعادها اليه واوصاه بزيادة الاحتراس

دسمبر من السنة الجارية (١٨٧٣)
(في الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ من
المساء

فقال نعم واستودعكم الله الى يوم
اللقاء

ثم ركب القطار مع خادمه في الساعة
الثامنة والدقيقة ٤٥ مساءً نحت جمح ليل
اقبل عليه بجيوش ظلام ضارباً في الافاق
خمام القتام

وكان الجو قد دكن والسحاب
اسودت فتدفق منها المطر وهت
العواصف وثار الانواء ولججت الرعود
القواصف ولعلت سيوف البرق على
صفحات الفضاء وكان فيلاس فوج
متوكتلاً على كفيه منزوياً في احدى زوايا
العربة لا يفوه ببنت شفة وبالقرب منه
خادمه قابضاً على الحقبة بيده يضمها
اليه حرصاً على ما تحوي عليه من
الاوراق الثمينة . ثم ان القطار لم يجاوز
سيدنهام . حتى صرخ الخادم صراخ
الآيس وبكى البكاء البائس فسأله موله
عن السبب فلزم الصمت واجفاً فاعاد
عليه السؤال فاجاب واجفاً ... قال

الاحسان ملتحفة بلباس رثة فعندما وقع
نظره عليها تحركت فيه عواطف الشفقة
فاخرج من جيبه العشرين جنبها التي
كان قد ربحها في لعب (الويست)
ودفعها اليها قائلاً لها . خذي يا امرأة هذه
النقود وسدي عوزك بها واحدي ربك
على كل حال

قال هذا وانطلق الى قاعة الاستراحة
فتبعه خادمه مسروراً بما كان فرحاً بيل
مولاه الى عل الاحسان وصنع المبرات
وعندما استقر بالسيد المقام قد خادمه
بعض الدراهم فاخذ بها تذكرتين للروور
على مقتضاها في قطارات السكة الحديدية
بالدرجة الاولى الى مدينة باريس

وكان عند المحطة رفاق المسترفوج
المترهنون معه فتبادلوا النظرات والتحيات
ثم وجه المسترفوج اليهم الخطاب فقال
انا ذاهب كما علمت لانجاز ما وعدتكم
به وقد اخذت معي تذكرة سفري التي
سامحها في قنصلية دولتي في كل بلدة
امر بها لتكونوا على اقتناع بواقع رحلي
فقال المستر ستور . لا يخفك ان
رجوعك سيكون يوم السبت الواقع في ٢١

بالنظر الى العجلة ... نسيت ---

فقال فوج وماذا نسيت ---

— نسيت المصباح موقداً في اوضتي
فقال المسترفوج وسيتبقى موقداً على حسابك

الفصل الخامس

في اذاعة خبر حديث في انحاء لوندرة
لم يكن المسترفوج يجمل قبل
مبارحته للوندرة ان الالسن العاذلة
ستداول خبر رحلته وتتناول المتديبات
الحافلة حديث سفرته وتلهج الجرائد بذكرها
وتتناقل انباءها وتصح مداولات النهار
وتسي سمر الليل في جميع الممالك المتحدة
بالنظر الى اختلاف الطبقات والاجناس
وانشغاف الناس في تلك الاقطار بعلم
الجيوغرافيا واقبالهم عليه اقبال الظاء على
موارد الماء وتداعيمهم اليه تداعي الجياع
الى التصاع

وكان الامر بعد سفر المسترفوج
ان نهض كتاب الجرائد يقدحون زناد
الفكرة ويشحنون القرى في كتابة
الفصول المطولة والمقالات المسهبه بائين
اراءهم مبدين افكارهم فكان كل من طالها
حكم هوارد خواطر كتابها واجماعها على

تخطيط المسترفوج لتعمله تبعة تلك الرحلة
واحتال مشاقها لكونها ليست بممكنة
النوال على مثل هذا المتوال بل تعد
ضرباً من الحال . ومن اشهر تلك الجرائد
التيبس والستاندارد والافنين ستارد
والمورنين كرونكل وغيرها بما يبلغ مجموعه
العشرين عدداً ولم تصوب رأيه الا جريدة
الدالي تلغراف فانها حكمت بامكان ظهور
ذلك التصور الى عالم الفعل

وقد كثر في تلك الفرصة المشوقون
لمطالعة الجرائد فلم يبق كبيراً او صغير
عظيم او خفيراً الا انكتب على قراءة الصحف
وامعان النظر في منشوراتها المتعلقة بطواف
فيلاس فوج حول الارض وفيما كانت
ترويه عن السنة المتحدثين في مجلس
القوم بتصويب اسهم اللوم نحو فيلاس
فوج بحيث لم يبق احد من كبار اهالي
العاصمة الانكليزية الا سلقته بالسنة حداد
وانزله منزلة الجهلة الاغبياء الذين استولى
عليهم الحمق وتولاهم الجنون

ولقد حدث في بعض الايام الاوائل
من سفر فيلاس فوج ان جريدة
الايلوستراند لندن نشرت فصلاً طويلاً

قالت . بالعجب كيف امال المسترفوج
نظره عن الموانع الطبيعية والعوائق المادية
التي تحول دونه لانجاز الوعد ويلوغ
القصـد . كيف انه جهل ما يلزم ان يكون
نصب العين من طوارق المحدثان على
المخطوط الحديدية التي لا تسلم من العطب
باحيازها الهند في مدى ثلثة ايام والولايات
المتحدة في مدى سبعة ايام اخرى فتتأخر
عن الوصول في مواعيدها الى اماكنها
المتصورة وذلك على افتراض ان تخرج
في المسير عن المخطوط او تثور عليها
العواصف ويساقط الثلج عليها كثيفاً
فاذا كان في اوربا لا يعتمد على قطارات
السكك الحديدية ان تصل في مواعيدها
المعينة فكيف بالهند وشنان بين اوربا
والهند

قالت . المربع المسترفوج انه يحتاج
ان يركب البحار على اجنحة البحار فاذا
ركبها وازيد البحر وهاج وتلاطت فيه
الامواج تميل به الباخرة مع الهواء ذات
البمين وذات اليسار وتلقى ما يلجئها الى
التأخر اربعة او خمسة ايام عن الوصول
الى المراتى التي تصدها ويكون اذ ذاك

فصع العبارة وذهلته بصورة فيلاس وضمته
الاسانيد الدامغة على نجاح مشروعه فاقبل
الناس على قرأته من كلا الجنسين فمنهم
من اخذ بتناصر فوج زاعمين انهم سمعوا
بما هو اشد منه غرابة وقائلين ان ليس في
الكون شيء غير ممكن ما هو خاضع لاحكام
الطبيعة

وقد شفع هذا الفصل بفصل اخر
نشرته جريدة الدالي لتلغراف باحثه في
ارجحية الامر من حيث امكان حدوثه
فاصفت اليه الاذان بل رشح في
الاذهان

والطير قد يسوقه الموت

اصفاق الى حين الصوت

ولكن لتكد الطالع ما لبثت جريدة
الدالي لتلغراف ان وهنت قواها وكلت
عزائتها وغيرت رأبها وبدلت مشربها
وقد نشرت جريدة الجمعية الجيوغرافية
الملكية فصلاً طويلاً في تاريخ ٧ اكتوبر
تخاملت فيه على المسترفوج ورمته بضعف
العقل والحمق واختلال الشعور لتحديده
ميعاداً قصيراً وزمناً يسيراً لانمام رحلته
المهمة فقالت : ان القدر يعي البصر . ثم

الجيوغرافية بخمسة ايام وعند ذلك هبطت
اوراق المستر فوج هبوطاً فاحشاً اذ ربح
في عقول القوم انه يستحيل عليه انجاز
رحلته وايقنوا ان آمالهم لا تتحقق بعد ان
كانوا آملين بالنجاح

وكان بين هؤلاء المشتغلين بامر
المستر فيلاس رجل طاعن في السن
يدعى اللورد البرمال فهذا اللورد كان
يود ان يهب كل ماله لمن يطوف به
الدنيا ولو بعشر سنين ولذلك لبث وحده
متشيعاً لمستر فيلاس وضامناً له النجاح
وقد تراضى مع آخر على ذلك فعرض ان
يدفع خمسة الاف ليره اذا لم يصدق في
حسابه ولما كان جلاسه يتجادبون معه
اطراف الجمدال ويوردون له جميع الاقوال
المجازمة بخيبة الامال كان يجيبهم قائلاً:
اذا لم تأت المهمة التي اتخذ فيلاس تبعثها
على نفسه بالفائدة المتصورة فحسبنا افتخاراً
ان رجلاً انكليزياً قام بتضاءها

وحدث انه في الساعة التاسعة من
مساء ذلك اليوم تلقى رئيس الشرطة في
لوندرة تلغرافاً هذا تعريبه
(انا سائر وراه لص البنك فيلاس

قد انقطع خط الواورات عن اطراد
المواصلات وبمناج رجل الرحلة الى
الانتظار مدة ليومين يأتي البريد الثاني
فيجمله الى حيث يريد وهذا يكفي للحوق
المخلل بحسابه . انتهى

وقد كان لشهر هذا الفصل وقع
حسن في نفوس القراء فقتله جميع الصحف
وشغفته بالشروح والزيادات
اما سكان لوندرة فطفقوا يتراهنون
على نجاح رجل الرحلة او عدمه حتى
اصبحت اشغال الاكتساب محصورة في
صكوك الرهان

ولا اكتم عن القراء الكرام ان الانكليز
تميل بهم فطرتهم الغريزية الى الرهان
فجعلوا لذلك اوراقاً لفيلاس فوج تداولها
الايدي كاوراق البورصة فكانت اسعارها
ترتفع تارة وتهبط طوراً من غير ان تستقر
على حال

كرشة في مهب الريح طائفة
لا تستقر على حال من القلق
وقد استمرت هذه الاوراق على هذه
الحال بين هبوط وارتفاع الى ما بعد
نشر ذلك الفصل في جريدة الجمعية

نحو ما يأتي :

حدث أنه في الساعة الحادية عشرة من صبيحة يوم الأربعاء الموافق ٩ أكتوبر تقاطرت الجمع في مدينة السويس الى الرصيف لانتظار وصول الباخرة مونجوليه من بواخر الشركة الشرقية في البحر المتوسط المصنفة بالحديد والتي محمولا الفان وثمانمائة طن وقوتها خمسمائة حصان وخطه سيرها واقعة ما بين برنديزي وبومباي بطريق السويس وهي من افضل بواخر الشركة واسرعها سيرا ومعدل سيرها بين برنديزي والسويس عشرة اميال وبين السويس وبومباي تسعة اميال ونصف ميل

وكان يندمج بين اولئك الجمع المختلفي الاجناس المتظرين وصول الباخرة الى مرفاء السويس (وهي المدينة التي احيا الموسيودي لسبس رسمها وهيا لها مستقبلاً سعيداً) رجلا نتمشيان على رصيف البحر احدهما وكيل قنصلية حكومة الولايات المتحدة وكان ينظر بعين الفكر الى مرور السفن الانكليزية بترعة السويس ونهاجها الى الهند بمسافة نصف المدة التي

فوج . ارسل حالا امرا الى بومباي بالقاء القبض عليه)

(الامضاء)

فيكس

فكان لورود هذا التلفراف تأثير عظيم في سكان لوندرة . وكان فيلاس في الواقع يشبه بوجهه واعتدال قوامه ذاك الرجل الذي اعطيت جميع صفاته لرجال البوليس ليقبضوا عليه

وعندما علم الناس بهذا التلفراف هاجت فيهم سواكن الظنون واخذوا بالغيب يرجحون وينكرون على المستر فيلاس رحلته بحجة الطواف حول الارض في ثمانين يوما وأنه لا بد ان يكون الامر سر عظيم يخالف الظاهر والله اعلم بالسرائر لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى

حتى يراق على جوانبه الدم

الفصل السادس

كيف ان فيكس اصاب في

قلة الاصطبار

ان الفرص التي سحقت لفيكس وبعثته على ارسال التلفراف الذي تقدم عليه الكلام في الفصل السابق كانت على

كانت تقضيها في الذهاب اليها عندما كانت تتخذ راس الرجاء الصالح طريقاً لها فكان يهيج فيه هذا التأمل عامل المحمد ويثور عليه الانفعال النفسي والغیظ من حكومته لعدم قيامها بهذا العمل الخطير دون سواها

والثاني رجل قصير القامة نحيف الجسم تلوح عليه مخايل الخجاية والذكاء ذو عينين زرقاوين تنفذ اشعثها من بين اهدابها المسترسلة على الوجنتين وكان يلوح عليه انه مصاب بداء الاعصاب وكان يمشي بحجلة في الذهاب وقلة صبر في الاياب وكان اسمه فيكس وهو احد رجال الشرطة الانكليزية الذي جاء من قبل حكومته مينا السويس بصفة جاسوس يرافق جميع الزاهيين الى الافطار الهندية بغية الاكشاف على اللص سارق تلك المملكة فيكبله بالقيود وينال على القبض عليه الجزاء المهود والمبلغ الموعود . وكان منذ يومين قد تلقى رسم شبه السارق من قبل مدير عموم البوليس في لوندرة فكان لذلك في انتظار وصول الباخرة بفروغ صبر بحيث كان كلما مرت دقيقة

خالها ساعة ومن فرط ما كان مستعوداً عليه من القلق اخذ بالاستعلام من حضرة القنصل عما اذا كان من المحتمل ان تبطل الباخرة عن مواعيد حضورها فاجابه لا لكونها من اسرع السفن سيرا وقد حازت قصب السبق في سباق البواخر الذي تجربه الحكومة في كل سنة وجائزة خمسة وعشرين جنيهاً ومع هذا وذاك فانها وصلت بالامس الى بورسعيد وقد بقي عليها ان تقطع مائة وستين كيلومتراً لتصل الى هنا فقال - أَلَمْها تصل من برنزي رأساً فاجاب - أجل فانها بارحت برنزي يوم السبت في نحو الساعة الخامسة بعد الظهر حاملةً بريد الهند وستصل الينا عاجلاً فغالب اذاً ما بك من قلة الصبر ولكن قل لي كيف يمكنك ان تعرف من التعليمات التي تلقتها شخص اللص اذا لم يكن على ظهر السفينة فاجاب بالبداهة وحسن التفرس كما عرفت غيره من قبله فقبضت عليه واذا لم يكن اللص على ظهر الباخرة فلا يقلن من يدي ايها كان - فقال له القنصل اتنى لك ان تصيب المرمى وتنج في مهنتك لان

تنفيا ظلال المآذن وكانت الزوارق
تشق عباب المياه فتطرح الشباك لصيد
الاسماك وكان منها ما يطلق الى الباخرة
فينقل ركبها الى البر

وكان فيكس يجول بين المجموع
ويحديق بصره بكل منهم فلما حلت
الساعة العاشرة ونصف ولم تقبل السفينة
على المرفأ هاج فيه القلق فدنا من
القنصل وسأله قائلاً

الم تصل الباخرة بعد

ليست بعيدة من المينا

كم من الزمان تمكث هنا

اربع ساعات متتالية اي الى ان
يتم تفريغ شحنتها ثم تذهب الى عدن قاطعة
الف وثلثمائة وعشرة اميال وهناك تذخر
الفم وسائر ما تحتاج اليه وبعد ذلك
تتوجه الى بومباي رأساً

اذا لم يكن اللص راكباً السفينة فلا
بدله ان ينزل منها الى السويس ليركب
سفينة أخرى تكون قاصدة مستعمرات
هولانده او فرنسا حيث يتسنى له الفرار
فانه لا مفر له من القبض عليه في الهند
الا انكليزية هذا اذا لم يكن اللص من زمرة

السرقه مهمه . قال . وليس اهم من سرقة
خمس وخمسين الف ليرة فلما سمعنا بتلها
فقال القنصل اسأل لك التجاح ولكن
ارى ذلك صعباً عليك فالتعليقات التي
وردت اليك تدل على ان اللص شخص
ذو هيئة تدل على كونه من خيار الناس
وعطاء القوم

فقال فيكس ان كبار اللصوص
يرتدون من الملابس افخرها ويتظاهرون
من الاخلاق بافضلها فيتمصون ثوب
الكرامة وما هم بكرام ليدفعوا عنهم الشبهات
ولا يكونوا عرضةً للقليل والقال وهدفاً
للام العذال بل يمارسون مهنتهم بمزيد
الحذق والدهاء فلا يمشون في الارض
مرحاً او يصرفون بغير تأنٍ وتديرو ذلك
خشية ان يكشف امرهم ويعلن سرهم

ولما اقبل زمن وصول الباخرة اخذ
الناس يتقاطرون افواجا حتى غصت بهم
الارصفة وحتى كاد الزحام ينعمهم من
الحركة فمنهم نوبتون من جميع الاجناس
ومنهم تجار وساسة وحاملون وفلاحون
وكان الوقت رائتاً والجو صافياً والهواء
لطيفاً منعشاً والمنظر مبهِجاً وفحات المدينة

الاستقبال فانه يفضل المكوث في لوندريه
والبقاء فيها
وبما كان فيكس يقلب اوجه المسألة
ويتأملها اذ تركه القنصل وتوجه الى
مكتب القنصلية الذي لا يبعد عن المحطة
فبقي فيكس يرقب وصول الباخرة بقلة
اصطبار كأنه واثق بوجود اللص فيها
فانه ادرك سهولة فراره من هذه الطريق
وصعوبة هربه من طريق بحر الانالاتيك
وفيا كان غائصاً في بحار الافكار نائمًا في
مفاوز التأمل اذا بضوضاء قامت تحت
السما وصغير يطرق الاذان وطائفة
البحالين تتسابق الى الرصيف لتحمل امتعة
الركاب فتنبه فيكس من غفلته واجال
نظره فرأى الاصابع تشير الى السفينة التي
رست في الميناء في نحو الساعة الحادية
عشرة اما الركاب الذين كانوا فيها فكانوا
عديدين واكثرهم لبثوا على ظهرها يصرون
عن بعد موقع المدينة وروقتها
وكان فيكس يتوسم اوجه الخارجين
من البحر ويقلب فيهم الطرف فرأى رجلاً
بيده تذكرة مرور يتخلل الجموع فدنا منه
وسأله عن مركز قنصلية انكلترة فتناول

فيكس التذكرة من يده وقرأ بعجلة
العلامات المعتادة الدالة على هيئة صاحبها
فاذا بها مطابقة تماماً للعلامات التي تلقى
العلم بها من مدير عموم البوليس فسر
بذلك واخذت يده ترتجف ارتجاف
الفرح وفواده يرقص طرباً ثم سأل
سائله بقوله

هل تختصك هذه التذكرة

لا بل هي لمولاي

واين هو

لم يزل في السفينة

يجب ان يحضر بذاته الى مكتب

القنصلية

وهل هذا الامر ضروري

نعم ولا يتم شيء الا باتمامه

واين مكتب القنصلية

في منتهى هذا الشارع

(واشار الى منزل لا يبعد عن

محلها سوى مائتي قدم)

انا عائد لانادي مولاي ولا شك

ان هذه المتعبة لا ترضيه ثم حي فيكس

وذهب

الفصل السابع

في ان تسجيل تذكرة المرور ليس الزامياً
بارح فيكس الرصيف وانطلق الى
مكتب القنصلية وما لبث ان وصل اليه
وبالرغم عن معارضة الحجاب ولج الباب
بلا استئذان وقبل ان يتندر القنصل
بالسلام ساق اليه الكلام فقال

بالادلة الكافية والعلامم الوافية ظهر
اللس على ظهر الباخرة مونجوليه وقد
خرج خادمه الى البروقصد الحضور اليك
لتسجيل تذكرة المرور

ثم قص عليه ما توقع له وبعد استيفاء
الحديث اجابه القنصل

كل لص او سارق يذل جهده
في سبيل مواراة خبره ومخاثره ولا يبحث
عن حشفه بظلفه ولذلك تراني مرتاباً
فبين وقع عليه ظنك بل غير مصدق
ان يكون هو اللص المتصود فان اللص
لا يجسر على الحضور الى دار القنصلية
لتسجيل تذكرة سفره في حالة كونه ليس
بالامر الالزامي

ان اللصوص يستعينون احياناً بتسجيل
تذاكر سفرهم ليسهل عليهم الفرار واني

لعل وطيد امل ان مولاي بأبي عليه
التسجيل اذا لم يمثل بين يديه
ليس لي وجه للاباة اذا لم تكن
تذكرته قانونية

في عزمي ان التقي القبض عليه هنا
لبينا تصلني التعلبات بشأنه من لوندرو
انت ادري بواجباتك من غيرك
اما انا فلا استطيع ان ...

ولم يتم كلامه حتى قرع الباب ودخل
عليه احد الحجاب برجلين غريبين وكان
احدهما المستر فوج والثاني خادمه وبعد
السلام قدم المستر فوج للقنصل تذكرة
سفره راجياً تسجيلها فاخذها القنصل وقلبها
ظهراً لبطن ثم قرأها منعماً فيها النظر
وبعد ان قرأها سأل صاحبها :

هل انت المستر فوج

نعم يا مولاي

وهل هذا الرجل هو خادمك
(واشار الى باسبارتو)

اجل وهو فرنسوي يدعى باسبارتو
وانت آت من لندن

نعم

والي ابن انت ذاهب

ثم خرج من لندن القنصل يبحث عن
باسبارتو

اما فيلاس فوج فبعد خروجه من
دار القنصلية قصد جهة المينا ومنها ركب
قارباً فارصله الى الباخرة فبعد اليها
ودخل فيها حجرته واخذ دفترًا مخصصاً
للاشتغال على الايضاحات الآتية

بارحنا لندن في الساعة الثامنة
والدقيقة ٤٥ من صباح الاربعاء الواقع
في ٢ اكتوبر ووصلنا الى باريس في
الساعة السابعة والدقيقة ٢٠ من صباح
يوم الخميس الواقع في ٣ اكتوبر

خرجنا من باريس في الساعة الثامنة
والدقيقة ٤٠ من صباح الخميس الواقع
في ٣ اكتوبر ووصلنا الى تورينو من
طريق جبل سينيس في الساعة السادسة
والدقيقة ٢٥ من صباح يوم الجمعة
(٤ اكتوبر)

بارحنا تورينو في نحو الساعة السابعة
والدقيقة ٢٠ من صباح اليوم ذاته فوصلنا
الى برنزي في الساعة الرابعة من مساء
يوم السبت الواقع في ٥ اكتوبر
وفي الساعة الخامسة من اليوم المذكور

الى بومباي
اعلم ان تسجيل التذاكر ليس امرًا
الزاميًا

اعلم ذلك ولكن اطلب اليك تسجيلها
لأمر بي
فليكن كتولك

وللحال تناول القنصل ختم القنصلية
فختمها به وخط فوقها تاريخ التسجيل ثم
اعادها اليه فاخذها وتقد القنصل الرسم
ثم حياه وخرج من لدنه عائداً الى الباخرة
وانفق انه بعد خروجه ظهر فيكس
من خبائه ووجه اليه القنصل الخطاب
الآتي

ماذا رأيت فيه
علامات الاستقامة والشرف
الم تر فيه علامات اللص واحدة
بعد اخرى

ربما تكون فيه بعض العلامات
التي تنير اليها لا جميعها
بل جميعها يا مولاي وتحققاً للظنون
ها اما ذاهب لائق خادمه الذي يلزم ان
يكون مهذاراً وسلم الطوية لكونه فرنسويًا
فلا يخفى خافية على سائليه

ليفربول

لوندرة

وقد قصد بذلك ان يجين الساعات
المكتسبة في السفر فيعلم اذا كان متقدماً
او متأخراً عن المواعيد المقررة لرحلته .
وكان وصوله الى السويس في الميعاد
المضروب له من غير تقديم او تأخير

الفصل الثامن

الحلم زين والسكوت سلامة

فاذا نظقت فلا تكن مكثراً

ما ان ندمت على سكوتي مرة

الا ندمت على الكلام مرارا

بينما كان باسبارتو يتشى على رصيف

الميناء ويقلب الطرف في مناظر لم تخطر

له بخاطر اذا بنفيس وفد عليه فاقترب

منه واخذ بكلمه بما يأتي :

لهلك تكون قد انهيت تحييل

تذكرة المرور . . فاني اراك طامح الفولاذ

بالسرور تحييل طرفك في منظر هذه

المدينة البهيم

اهلاً بك ومرحباً ايها الصديق . نعم

قد انجزنا اعمالنا ولم يبق مانع يحول دون

فرنا سوى سير الباخرة ولا اخفى عليك

ركبتا الباخرة مونجليه قاصدين السويس

فوصلنا اليها في الساعة الحادية عشرة

من صباح الاربعاء تاسع اكتوبر فيكون

مجموع ساعات سفرنا مائة وثمانين وخمسين

ساعة وخمس وعشرين دقيقة اي ستة

ايام ونصف يوم

وكان المسترفوج يرق هذه التواريخ

في دفتر خصصه لرحلته يتدئ من

ثاني اكتوبر وينتهي في الحادي والعشرين

من ديسمبر وقد اتخذ لبيان الاشهر

والاسابيع والايام ومواقيت الوصول

الاعتيادية الى كل من المدن الاتية

اسماؤها

باريس

برندزي

السويس

بومباي

كلكتوتا

سنجاپور

كون كون

بوكاهاما

سان فرنسيسكو

نيويورك

لا لم يحل وقت الظهر بعد وما
الساعة الان الا ٩ والدقيقة ٥٢ (قال
ذلك واخرج ساعة ضخمة من جيبه)

الان حل وقت الظهر تماماً وساعتك
تؤخر ساعتين في الدلالة على الوقت
وربما كان هذا التأخير ناشئاً عن تطبيقها
على ساعة لوندريه فحصل الفرق لذلك
فعليك بضبطها على ساعة السويس لتتمكن
من معرفة سير الارض حول الشمس

سيان عندي وقفت على معرفة
الافاق او لم اقف فعلى الوقت ان يسير
على مقتضى سير ساعتى التي ورثتها عن
اجدادى ولا تؤخر في السنة خمس دقائق
العلمك قادمين من لوندريه رأساً
نم وقد بارحناها من يوم الاربعاء
والى اين مولاك ذاهب

ليطوف الكون في ثمانين يوماً وقد
عقد رهائنا على ذلك زاعماً انه يتم الامر
الذي لا اخاله ممكن الحصول وانا اطلب
اليك ألا تبوح بالخبر لاحد من البشر
فاعرفه واحفظه في زوايا الصدور

— وانا لا اخال ذلك بمنهل الحدوث
ايضاً ولا بد ان يكون من طي الامرار

انذهالي من سيرنا السريع فاني اكاد لا
اصدق بوصولنا الى مدينة السويس
المصرية والبقعة الافريقية واوشك ألا
اتيقن بمبارحتنا لباريس عاصمة الفرنسيس
التي تجلو عن القلوب صدأ الكروب
واني لاسف كثيراً على عدم تمكني من
الاقامة فيها مدة طويلة فاني مررت بها
مرور الخيال ولم انظر اليها الا من نوافذ
العربة التي ركبناها بين المحطة الشمالية
ومحطة ليون

يظهر من كلامك انك في حاجة
كلية الى الاسراع في السفر
ان مولاي مضطراً الى الاسراع في
المسير ومن غريب هذا الاضطراب ان
سفره كان على حين بغتة فلم يتمكن بسبب
ذلك من استحضار ما يلزمنا في سفرنا
ولذلك امرني اليوم ان ابتاع ما هو في
حاجة اليه من الجوارب والقمصان فهل
لي بحسن ولائك وكرم اخلاقك ان
ترشدني الى السوق لابتاع لوازمنا قبل
فوات الوقت

حبا وكرامة اما الوقت فلا تخش
فواته فاننا الان في اوان الظهر

لم ادركها ومقاصد لم اعرفها فاخبرني حماك
الله هل ان مولاك غني وهل انت مقيد
بخدمته منذ زمن طويل

انه ذو ثروة وافرة وهو الان يجمع
قدراً عظيماً من سفائح البانكات وقد سمعته
اليوم بعد مهندس الباخرة مونجوليه بجائزة
عظيمة اذا بلغنا بومباي قبل الميعاد المعين
واعلم اني لم اعرفه الا في اليوم الذي بارحنا
فيه لوندرة وكان اليوم الاول من دخولي
في خدمته

وكانت هذه الايضاحات تزيد ظنون
فيكس تحقيقاً واعتقاده بما توهمه صحيحاً وبعد
ان اتى باسبارتو اليه هذا البيان طفق
يفكر في الامر ثم ساقه التفكير الى التبصر
بسفر المسترفوج الذي اغضب حادث
السرقة بايام قليلة وعمد اليه بحجة ضعيفة
موه به على الناس بغير برهان وقياس
وقد ابد رايه قول باسبارتو انه لم يكن
يعرف مولاة ولا سبب ثروته وغيابه

وبينا كان فكس نشولنا بخمرة الالمانى
مبدأ ظلمات الارياب اذ سأله باسبارتو
قائلاً

— ابعيدة بومباي من هنا وفي اية

ارض هي

— تبعد من هنا نحو عشرة ايام وهي من
ارض الهند

هل هي من ضمن قارة اسيا

نعم

آه قضت علي العجلة يوم سفري
ان اترك في حجرتي صباح الغار موقداً
ولما بلغت مولاي ذلك قال لي انه سيبقى
موقداً على حسابي وقد عدت الخسارة
فعلت ان ثمن الغار الذي يحرق في مدى
اربع وعشرين ساعة يبلغ عشرة شلينات
وهو ما يتجاوز راتبي اليومي بستة بنسات
ومدة السفر كما تعلم طويلة فإلعمل

فلما سمع فيكس هذا الكلام لزم السكوت
مرجحاً احتمال وقوع الامر ثم استمر سائر
ولما وصلا الى السوق غادر فيكس رفيقه
باسبارتو وقد ودعه واوصاه بعدم التأخر
حذراً من سفر الباخرة قبل ان يعود اليها
ثم انطلق الى مكتب القنصلية فلقى
القنصل جالساً على كرسيه فاجدته بالكلام
قائلاً

ستبدي لك الالام ما كنت جاهلاً

وبأتيتك بالاخبار من لم تزود

الطريق الاقرب بعد ان مادت خطوط
السكك الحديدية في جميع اراضي شبه
الجزيرة الانكليزية ولم تعد ضرورة هناك
للرور من رأس جزيرة سيلان

وكان بين ركاب السفينة جمع غفير
من الموظفين الملكيين ومن امراء العسكرية
في جيش الاحتلال الانكليزي وفي جيش
سيباس الوطني وكلهم يتمتعون برواتب
فادحة فوكيل الفريق منهم في العسكرية
يتناول راتباً يبلغ ٧٠٠٠ من الفرنكات
ورئيس الفرقة ٦٠٠٠ فرنك والقائد
١٠٠٠٠ فرنك (١)

وكان على ظهر الباخرة ايضاً قوم من
الشبان الانكليز ذاهبين الى الهند بالتناطير

(١) اما رواتب الخدمة الملكيين
فكانت لا تتجاوز رواتب امراء العسكرية
مقداراً بان كانت رواتب المساعدين في
الادارات من الدرجة الاولى ١٢٠٠٠
فرنك ورواتب القضاة ٦٠٠٠٠ فرنك
ورواتب قضاة مجلس الاستئناف ٢٥٠٠٠
ورواتب المديرين ٢٠٠٠٠٠ ورواتب
الحكمدار العام نيفاً و ٦٠٠٠٠ فرنك

لقد وقفت على الحقيقة ولم يعد محال
للرب فاللص في قبضة يدي وساتبعة
الى الهند الى ان يرد لي الامر بالقبض عليه
فاسوقه ذليلاً

ثم نهض وتوجه الى مكتب التلغراف
وارسل تلك الافادة التلغرافية التي تقدم
الكلام عليها في الفصل الخامس

وبعد ذلك اعد لوازم السفر من
ملبس ودينار ثم ركب البحر على ظهر
الباخرة موجه الى ما ليث ان سافرت
تشق عباب البحر الاحمر سائرة الى حيث
تقصد

الفصل التاسع

كيف ان البحر الاحمر وبحر الهند اعانا
فيلاس فوج على بلوغ امانيه

سارت الباخرة تقطع المسافة الكاثنة
بين السويس وعدن سير الاطيار وتجد
في المسير حذر التأخر عن الوصول الى
بومباي في الميقات المعين وكان اغلب
ركابها فاصدين الهند فمنهم من كان
متوجهاً الى بومباي ومنهم من كان ذاهباً
الى كلكتونا من طريق بومباي التي انضمت

المنطرة من الذهب الزنان لينشوا
 بها البنوكه والحلات التجارية وقد
 امتزجوا بسائر الركاب لمتزاج الماء بالراح
 واختلطوا بهم اختلاط الروح بالجسد
 فعندما كان يبدأ البحر وتسكن فيه
 حركات المد والجزر كانوا يقضون
 الاوقات بالمسرات فيرقصون ويعزفون
 بالآلات الطرب ويتألمون بفعل الخمرة
 تامل الاعصان ويشنفون الاذان
 بضروب الامحان ولا ينفكون عن
 اللهو والطرب الا عند ازباد البحر
 وتلاطم الامواج واهتزاز السفينة فيدخل
 كل منهم حجرته ويتوسد فراشه فتهده
 ضوضاء الاصوات وتعتبها اصوات الزواجر
 ودمدمة الرعود ومخر السفينة السائرة
 نحو باب المندب .
 وكانت الخدمة في تلك الباخرة
 غاية في الاتقان فالسماط يمد للركاب
 اربع دفعات في اليوم ويقدم لهم من
 الفخر المشروبات والذالما كولات فياكلون
 مريثا ويشربون هنيئا
 اما فيلاس فوج فيماذا كان يقضي
 الاوقات . آ بخوصه في اضطراب الماء
 واشتداد الانواء ام كان مستسلما الى
 هبوب العواصف اتواصف وتمايع
 الزواجر شأن الخائف من توقف
 السفينة عن المسير والتجائها الى احدى
 المرافئ القريبة اتقاء جسامه الاضطراب
 وخشية ان يكون ذلك داعيا الى تاخير
 سفره . ام كان ينظر بعين بصير الى
 المصاعب المحدة به وبالبخرة فيشتد
 عليه القلق وتظلم الدنيا في عينه . -
 لا وايبك بل كان جالسا في حجرته
 غير مبالي بموقع البحر الاحمر الذي
 حصل على المقام الاول في تاريخ
 المعجزات البشرية وغير ملتفت الى المدن
 العديدة التي كان يراها الناظرون
 على شواطئ البحر وغير مكترث
 بالمخطر الذي كان يتوعد السفينة في
 ذلك البوغاز الذي فلما اجتازته باخرة
 (على قول الواصفين) من غير ان
 يلحق بها ضرر ولا تتعطل الآليات
 فهو الرجل الذي عرف بالرصانة والتجذد
 والحكيم العاقل الذي بات لا يستطيع
 احد استطلاع خفاياه وامسى لا شيء
 يؤثر فيه

المنطرة من الذهب الزنان لينشوا
 بها البنوكه والحلات التجارية وقد
 امتزجوا بسائر الركاب لمتزاج الماء بالراح
 واختلطوا بهم اختلاط الروح بالجسد
 فعندما كان يبدأ البحر وتسكن فيه
 حركات المد والجزر كانوا يقضون
 الاوقات بالمسرات فيرقصون ويعزفون
 بالآلات الطرب ويتألمون بفعل الخمرة
 تامل الاعصان ويشنفون الاذان
 بضروب الامحان ولا ينفكون عن
 اللهو والطرب الا عند ازباد البحر
 وتلاطم الامواج واهتزاز السفينة فيدخل
 كل منهم حجرته ويتوسد فراشه فتهده
 ضوضاء الاصوات وتعتبها اصوات الزواجر
 ودمدمة الرعود ومخر السفينة السائرة
 نحو باب المندب .

وكانت الخدمة في تلك الباخرة
 غاية في الاتقان فالسماط يمد للركاب
 اربع دفعات في اليوم ويقدم لهم من
 الفخر المشروبات والذالما كولات فياكلون
 مريثا ويشربون هنيئا

اما فيلاس فوج فيماذا كان يقضي
 الاوقات . آ بخوصه في اضطراب الماء

الذي كان واقعاً في ١٢ أكتوبر حدث
انه انتق على ظهر السفينة بصديق فيكس
الذي تعرف به في مدينة السويس
واستشده الى دار القنصلية وسوق
الباعة فحياه بالسلام واظهر له مزيد
سروره من التقدير التي ساقته الى
الاجتماع به مرة اخرى ثم دارت بينها
المحاوره الاتية

باسبارتو - الى اين ذاهب

فيكس - الى بومباي

حمد الحسن الطالع - هل سافرت

اليها غير مرة

نعم ذهبت اليها مراراً لاني من
وكلاء شركة الواپورات الشرقية في
البحر المتوسط

فاذا انت تعرف الهند

فراى من هذا السؤال ما كاد يوقعه
في الارتباك ولكنه ما لبث ان اجاب
نعم ولكن ...

ثم حاول ان لا يسوق الحديث
الى الكلام على الهند وبعد برهة قال له
باسبارتو

كم في الهند من مناظر مدهشة

وكان يقتل الاوقات في كل يوم
بتناول ما كان يقدم له من الطعام
اربع دفعات في اليوم ويلهو بلعب
الويست مع من الفاه في السفينة على
شاكلته وكان الذين عرفهم في الباخرة
من كان على طرازه احد ماموري
جباية الاموال الاميرية الذي كان ذاهباً
الى مركزه في كوا وحضرة الوزير ديسمويس
سميث الذي كان عائداً الى بومباي
والقائد العام للحملة الانكليزية في الهند
الذي كان ذاهباً للبحق باركان حربه
بينارس .

اما باسبارتو فكان منزوياً في حجرة
قائمة عند مقدم السفينة غير متزعج من
المبحر شديد القابلية للطعام وكان في
عزله يتأمل هذه السياحة التي توفر له
فيها لذيذ الطعام وطيب المنام وشهى
المدام ومشاهدة بلاد غريبة فكان لذلك
رافلاً في حل الصفاء ناكراً مع
ذلك ان هذه السعادة لا بد من زوالها
فيطير عقله شعاعاً ويذوب قلبه اسفاً
والتباعاً .

وفي اليوم التالي لسفره من السويس

— فربما كان يا باسبورتو موجباً مهمة
سياسية ويروم ان يخفيها وراء حجاب
هذه الحجة

لا علم لي بشئ من ذلك
وما أكهر وجه النهار ومالت
الشمس الى الغروب حتى اجازت السفينة
باب المندب ورست رابع عشر الشهر
في مياه عدن المعدة محطاً للسفن السائرة
الى الهند لتذخر منها ما يلزمها من الفحم
الحجري والموءنة فاستقرت فيها اربع
ساعات خرج المستر فوج وخادمه في
خلاها الى البر وتوجها الى دار الحكومة
لتسجيل التذكرة

وقد انطلق فيكس في اثرها وتبع
حركات فيلاس الى ان عاد الى السفينة
التي بقي عليها ان تسير مسافة الف
وستائة وخمسين ميلاً لتبلغ بومباي ويعودنه
اليها استأنف نضبة الوقت بلعب
الوبست

اما باسبارتو فقد بقي في المدينة
يتنقل في ضواحيها تنقل الاقياء وينفر
بين اهلها نفور الظبي ويخطر خطرات
الغيد يعري بعينه وجوه سكانها الموءنين

شيء كثير فانك تشاهد فيها
المانزن والمداخن والهاياكل ومعابد
الاصنام وجميع انواع الحيوان كالذئب
والنمر والاسد وغير ذلك وترى فيها
النساء راقصات بخفة غريبة ورقاشة
عجيبة فاتنى لك ايها الصديق الحصول
على الوقت الكافي والزمن الوافي لتزور
هذه البلاد وتشاهد ما فيها من العجائب
— اني اود ذلك كثيراً ولكن دونه
مصاعب يلقها في سبيلي مولاي فانه سقضي
هذه الرحلة في الانتقال من الخطوط
الحديدية الى السفن البخارية ومن هذه
الى تلك بحجة الطواف حول الارض في
ثمانين يوماً وبطل على الناس الحال بخلاف
ما يشف عن ذات الصدور فاولم ان
يتمني هذا الدور في رواية مولاي ويكون
خنايه في مدينة بومباي

— وكيف حال صحته

— غاية في الاختدال وهكذا صحتي
ايضاً فاني آكل كثيراً وما ذلك الا من
جودة هواء البحر

الا يصعد مولاك الى ظهر السفينة

— لا

والتقل في الحديث من القديم الى الحديث^١ ودام الامر كذلك الى ان اشرفت الباخرة في ظهر العشرين من شهر اكتوبر على مدينة بومباي فحفّ الركاب يهشون بعضهم بعضاً بسلامة الوصول وعلام السوررت علو وجوهم وبعد مضي ساعتين طوى ملاحوا السفينة شراعها وتوارت عن الابصار بين غضاضة شجر النخل الكثيف المحاجب المدينة عن العيان ثم دخلت بوغاز جزيرة صالبيت وجولابه والبقاثة وبوتشروفي الساعة الرابعة ونصف اقبلت على بومباي فتقدم فيلاس فوج الى رفيقه الذي قضى معه معظم اوقات السفر في لعب الويست وحياء تحية الفراق الى حين التلاق .

وقد كان وصول السفينة الى بومباي في ٢٠ اكتوبر بدلاً من ٢٢ فيكون المستر فيلاس فوج قد اكسب من منذ قيامه من لوندرة يومين من زمن الرحلة رقبها في دفتر سياحه بمجلد الارباح .

من صومانيين وبارسيسين واسرائيليين وعرب وافرنح وجفرج على حصون المدينة ومعاقلم المنبعة وقلاعها الحصينة ويأمل موقعها الحربي القائم بثابة جبل طارق لبحر الهند وصهاريجها التي يشتغل فيها المهندسون الانكليز بعد مهندسي سلجان بالف عام .

وبعد ان متع النظر من كل تلك المشاهد عاد الى السفينة مندهشاً مما راه رأي العين خاطأ على صفحات له ان في الاسفار نفعا عظيماً .

وفي نحو الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم خرجت الباخرة من مياه عدن متممة سيرها الى بومباي وكان الجرهادنا والريح ملائمة لسير السفينة من الجهة الشمالية الغربية وصواربها مرتفعة في الفضاء تكاد تشق كبد الجوف اغتم الركاب صفاء الوقت وعادوا الى تجديد عزف الموسيقى والرقص بما بذلهم وكان لديهم هواً مستطاباً وكان اسبورتو يقتل الاوقات مع صديقه ييكس بتبادل القصص والمحكايات

الفصل العاشر

كيف ان باسبارتو اضاع

خفيه وولى الفرار

فان قصدتك المحادثات ببؤسها

فوسع لها درع التجلـ والصبر

كل يعلم ان ارض الهند مثلية

الشكل تمتد من الشمال وتنتهي في الجنوب

وان مساحتها تبلغ ١٤٠٠٠٠٠ من

الاميال المربعة وتخوي من السكان

على مائة وثمانين مليوناً وان العلم

الانكليزي يخفق فوق اكثر مقاطعاتها

التي يتولى امورها حكام دار انكليزي يستقر

في كلكوتا وتحت ادارته مديرون من

الانكليز في بومباي وبنغال ومدراس

وقائمقام في مدينة اجره

فالمستعمرات الانكليزية في الهند

تبلغ مساحتها سبعمائة الف ميل مربع

وتأهل من السكان نحواً من مائة الى

مائة وعشرة ملايين اما بقية البلاد الهندية

فتقسم الى امارات قائمة برأسها لم يزل

قاطنوها في عالم الهجبية والخشونة

وكان قد تألف في الهند عصاية

من الوطنيين فضمت اقاليم عديدة الى

حوزتها وابتاعت بعض مقاطعات من

امرائها يدفع خراجها السنوي اليهم الا

انها لم تكن تدفع الا القليل وفي كثير

من الاحيان كانت تستغرق المال ولا

تدفع منه شيئاً وقد عينت تلك العصاية

للبلاد التي امتلكتها حكاماً عسكريين

وامراء ملكيين وشت نفوذها وامتدت

في احتكار الاراضي امتداد النار في

الضرام منذ عام ١٧٥٦ (وهو العام الذي

وضع فيه اساس البناء الانكليزي الاول

في البقعة القائمة فيها الان مدينة مدراس)

حتى السنة التي شبت فيها نيران الثورة

السياسية فتشتت شمل تلك العصاية

ونزعت منها السلطة واخذت منها

الاراضي التي كانت قد امتلكتها بشروي

تقير ومنذ ذاك تقدمت البلاد في المدنية

وشطت من عقال الذل والهوان

وتوفرت في مياها السفن التجارية ومدت

فيها السكك الحديدية وفترعت منها

خطوط حجة وامست المسافة الكائنة

بين بومباي وكلكوتا تقطع في مدى

ثلاثة ايام فكفى الناس ذلك مزيد العناء

بما نشاء عنه من سهولة اسباب النقل

الجنوبية الشرقية الى بور ديفان ثم الى
المدينة الفرنسية المعروفة باسم شاردير ناجور
ومنها يتد الى كلكتا

وكان خروج المسترفوج وخادمه
وبقية الركاب الى مدينة بومباي في نحو
الساعة الرابعة ونصف بعد الظهر. وكان
الاجدر بهذا الرجل ان يطوف شوارع
المدينة شأن السائح في الارض ويتقيد
معافها وطلوها ويזור فيها الاماكن
الشهيرة ويشهد المظهر المدهشة الغربية
كالقندق العظيم المتقن البناء الفسج
الجوانب الوطيد الاركان والمكتبة التي
تخوي على انفع المؤلفات المنسوجة
باقلام اشهر الاساتذة والعلماء والحجرات
المختلفة اشكال البناء وحلقة الافطار
والماذن وكنايس الاسرائيليين وهياكل
الارمن ومعبد الصنم مالياهليل القائم
على برجين عظيمين في اربع زوايا مزينة
بالنقوش والرسوم الجميلة واثار اليفاتته .
كافيتها وسراديها السرية المحفورة
في باطن الارض في الجهة الشمالية
الشرقية من المدينة بالقرب من المينا
وكهوف كانهيري الموجودة في جزيرة

فانهم فيما سلف كانوا يسخرون الخيول
والبغال والمركبات وظهور الناس لنقل
البضائع .

اما الخط الحديدي الكائن بين
بومباي وكلكتا فلا يتصل بالخط الطويل
الذي يكتنف الهند ثم ان المسافة التي
تقطعها السكة الحديدية بين المدينتين
بسرعة متوسطة فلا تزيد على الف او
الف ومائة ميل اي عبارة عن ثلاثة ايام
متوالية وقد اضيف الى هذه المسافة نحو
ثلث هذه الاميال في الاقل بالنظر
الى اتصال الخط المذكور بخط الله اباد
المتد في الجهة الشمالية من شبه الجزيرة
واليك لمع من بيان اتصال الخطوط
الحديدية ببعضها في الاقطار الهندية .

يتدى الخط من مدينة بومباي
مارا بصالسيث وطانه الى سلسلة
جبال جاتس الغربية ومنها يتد في
الجهة الشمالية الشرقية الى بورهامبورغ
الى ان يتجاوز الاراضي المنفصلة عن
بيندلكيند ومن هناك يتد الى الله اباد
وتحول نحو الشرق فيمر بكنج الواقعة
بالقرب من بينارس ثم يتد من الجهة

يعتقدون ان الهرة حيوان مقدس ولعله
اليوم اصبح مخصصاً للسواح
قال هذا وطلق بأكل

ثم انه بعد ان خرج المسترفوج
الى البر يضع دقائق خرج فيكس
وراءه كما تقدم لنا الكلام وانطلق توجاً
الى مركز رئيس الشرطة في بومباي
وعرفه بنفسه وجعله على علم بامورته
واخبره بوجود اللص فيلاس في ثغر
بومباي ثم سأله عما اذا كان ورد اليه امر
من لوندرو بالقاء القبض عليه فاجابه
سلباً وعند ذلك اعتمد فيكس رأسه
بيديه واخذ يحيط في اودية الافكار
خبط عشواء لا يدري ماذا يفعل ثم
طلب من رئيس الشرطة ان يدفع اليه
كناية تامة بالقاء القبض عليه فاي ان
يحبيه الى ذلك بقوله

— ان هذا الامر ليس من
متعلقاتي بل من متعلقات الادارة
العمومية

فاقتنع فيكس بهذا الجواب وآلى
على نفسه ان يستمر على مراقبة فيلاس
فوج لثلاثا بلص من بين يديه ويزنغ

صاليت — قلنا ولو زار تلك الاماكن
وتأمل مشاهدتها لذهبت عنه امتحان
السفر وغوم الاغتراب وطابت نفسه
بما استفاد وقررت عينه بما رأى . على
انه لم يسلك هذا السبيل بل امال
المخاطر عنه وحالما خرج الى اليايسة امر
خادمته بشراء بعض اللوازم واوصاه
بالحضور الى محطة السكة الحديدية
في الساعة الثامنة ثم سار الهويناء ينقل
القدم بخطوات معتدلة متجهاً نحو مكتب
التنصليّة وبعد ان سجل تذكره سفره
عاد الى المحطة ودخل قاعة الطعام
فدث له المائدة وكان عليها ارنب
لم يحل لذوقه فحبه واستدعى
بصاحب الفندق فسأله وعينه ثفرسان
فيه

الأرنب ما قدمت لي

نعم يا حضرة الميلورد
الم يموء عندما ذبح

نعم ماء ياسيدي الميلورد ويمين

الله انه ارنب

لا تخلف اليمين المعظمة بل تذكر
ان اهل الهند كانوا منذ عامين

عن بصره في المدة التي يقضيها في بومباي
وان يظل سالكاً هذا الطريق الى
ان يرد اليه امره باثاء القبض عليه ولم
يكن يعلم ان فوج سيارح بومباي عاجلاً
بعد مضي بضع ساعات

اما باسبارنو فبعد ان تلقى الاوامر
اللازمة من مولاه تيقن ان اجل السياحة
لا يقضي في بومباي بل ربما اتقضى في
كلكتوتا وفي سواها ثم طفق يسأل
نفسه عما اذا كان للرهان الذي عقده
مولاه صحة ما ام لا وما اذا كانت التقادير
تقوده الى اتمام الطواف حول الارض
وهو في غنى عنه

وبعد ان اشترى بعض قمصان
وجوارب من سوق الباعة طفق يطوف
شوارع المدينة الى وقع نظره عن بعد
على احدى الفسحات فرأى فيها ازدهاماً
غريباً فساق القدم الى حيث الجمالير
المتجمهرة يستعلي حقيقة الخبر فرأى اناساً
مختلفي الشيع والاجناس من العجم بقلانس
طويلة وبنياشين بعمائم مستديرة وسنديين
يقع مربعة وارمن باردية طويلة
وبارسيسين بتيجان سوداء وفي وسطهم

نسوة هنديات مترديات بقمصان حمراء
مسترسلة الى الاقدام وموشاة بالخطوط
الذهبية والفضية ورأهن يخترن
بقدودهن الهيف ويمالين تمايل الاغصان
والحماظن تنفك بالقلوب فتك السيوف
بالاعتناق تبدي كل منهن نبيها ودلالاً
معجبة بقوامها فاتنة بجمالها

فاذا مشت مر النسيم بعطفا
فيكاد يلويه لفرط اللين
وكان ذلك اليوم عند طائفة
البارسيسين عيداً سعيداً تخفل به سنوياً
وتشترك معها فيه بقية الطوائف اما
هذه الطائفة فهي الطائفة المشهورة بالصناعة
والتجارة والثروة والتمدن زيادة عما سواها
من الطوائف الهندية

وبعد ان قضى باسبارنو مدة في
تلك الحفلة مستسلماً للدهشة والاندهال
لا ييدي اشارة ولا ينطق بكلمة سارخو
الحطة فر في طريقه بناية مزينة بما يعجز
عن وصفه لسان الواصف فسولت لا
نفسه الدخول اليها ليرى اتقانها البديع
وزخارفها التي تأخذ بمجامع الالباب
وكانت تلك البناية معبداً للصنم

بأذيال أرديتها فانتهز ذلك بأسبارتو
الفرصة وخرج من باب المعبد فبعته
الكاهن الثالث بئير عليه الناس وهو مجد
في السير الى ان بلغ المحطة قبل قيام
القطار بخمس دقائق فدخلها مكشوف
الرأس حافي الرجلين فاقد الامتعة التي
كان مولاؤه قد اوصاه بشرائها ثم اخذ
يحملق في المجموع حتى رأى مولاؤه فشكا
اليه الحال بلسان كأنه تذكر قول من
قال .

بكيت من الدهر مستضحكا

وشرّ البلية ما يضحك

ثم قص عليه الحادث وما وقع له
مع كهنة معبد الصنم مالبيارهيل فقال
له مولاؤه اؤمل ان لا يقع لك بعد مثل
هذا الحادث ثم ركبوا القطار وسارا الى
حيث يقصدان

اما فيكس فكان قد علم ان المسترفوج
مسافر من بومباي فأتى المحطة ليقبض اثره
فسمع بما حدث لباسبارتو عندما كان
يقص الخبر على مولاؤه

وبعد برهة يسيرة من الزمان أوقف
وقت قيام القطار فخرج من المحطة يسير

مالبيارهيل الا انه كان يجهل تماما عادات
البلاد وقوانين المعابد في تلك الديار
ولا سيما معابد الاصنام منها فانه لم يكن
مباحا لاحد من المسيحيين ان يدخل
اليها اما الوثنيون فكانوا يلجونها بحشمة
ووفار حفاة مكشوفي الرأس وكانت
الحكومة الانكليزية تحترم عادات كل
طائفة وتعاقب من يخرق حرمتها عقابا
شديدا .

وكان بأسبارتو جاهلا لهذه العادات
بالنظر الي كونه غريبا لا يعرف طريقة
الدخول الى معابد الاوثان فولوج باب
المبكل السالف ذكره بدون ان يخلع
خفيه او يرفع قبعته فتقدم حتى وسط
الهيكل فرآه ثلاثة كهنة من خدمة الاصنام
على هذه الحالة فاحندمو عليه غضبا
وتزقوا غيظا ثم وثبوا عليه وثبة الاسود
وخلعوا الحذاء من قدميه واثنوه جراحا
اما هو فلبث يغالب الالم حتى غلبه فثارت
في راسه حمية الفرنسيين واستعان على
اولئك الكهنة بمدد الله فاخذ يلطمهم
بكفيه ويرفهم برجليه وبينما كان مشتبكا
مهم سقط منهم اثنان على الارض عاثرين

اجلها عند المنود بصادق الوطنية . وقد
قطن الهند منذ نعومة اظفاره وله الخبرة
النامة باحوالها والعلم الكافي بعادات اهلها
ومشاربهم ولو خطر للمسترفوج ان يستعلم
منه عنها لما تجل عليه بالشرح المسهب
والنفصيل المطول ولكننا عرفنا فوج
واحواله وكيف انه يدور حول الارض
كدوران جرم عظيم من الكواكب
السيارة حول الكرة الارضية على مقتضى
النواميس الفلكية وعرفه ايضا السير
فرنسيس كرومارتي من يوم ابصره جالاً
يلهو بلعب الويست والورق بين انامله
فتعجب من جمود دمه وغرابة اخلاقه
وعدم تاثره من مفاعيل الطبيعة ومناظر
الوجود

ولم يكتم فيلاس فوج عن السير
فرنسيس كرومارتي موضوع رحلته وطوافه
حول البسيطة ولا الشروط التي عقدها
والمدة التي حددها لانتمام هذه الرحلة
وذلك ليكون على بينة من الاسباب
التي دفعته الى التعميل في السفر والاسراع
في المسير

وما قطع القطار مسافة ساعدين

طيراً ابلا جناح الى ان توارى عن الابصار
يشق في ذلك الليل الحالك قلب
الظلام

الفصل الحادي عشر

في ان فيلاس فوج اشترى مطية
باغلي الاثنان

سار القطار في ميعاد سفره المعتاد
وعليه عدد ليس بقليل من الركاب
فبعضهم موظفون ملكيون والبعض الآخر
من تجار العظم والافيون يقصدون الجهة
الشرقية من شبه الجزيرة حيث لبضاعتهم
رواج . وكان باسبارتوقد ركب العربية
التي ركبها مولاه وقبالة الاثني رجل
ثالث عرفه المسترفوج في الباخرة مونجوليه
عند مرورها بترعة السويس وقضى معه
اوقاتاً كثيرة بلعب الويست وهذا الرجل
كان طويل النامة اشترى الشعر يتجاوز
الخمسين عاماً يدعى السير فرنسيس
كرومارتي ويعرف بقائدا الحملة العسكرية
في الهند . وكان لاحقاً بالبحيش المعسكر
بالقرب من بيناري وله الايادي البيضاء
في اطفاء ثورة السيپايس التي ثقب من

حتى عبر الجسر ماراً بجزيرة صاصيت
يطوي البيد طياً واستمر سائراً الى ان
بلغ محطة كاليان فتحول عن الجهة اليمنى
تاركاً فرع الخط الواقع عند كاندالله
وبوناح وساق في وجهة الهند الجنوبية
الشرقية وسار الى ان وقف في محطة
باويل ومنها انطلق بين اشجار ملتفة
وارفة الظل في لحف سلسلة جبال
كثيرة الشعب من الجهة الغربية شاهقة
الارتفاع تكاد تنطح السماء تنقذف من
وسطها حم البراكين النارية وفي اثناء
السير كان المستر فوج والسير كرومارني
يتناوبان قص الاحاديث والاخبار فقال
السير كرومارني لنيلاس

لو عزمت على هذه الرحلة قبل
الآن ببضع سنين لتقيت عوائق وموانع
حائلة دونها
— ولماذا

— لان الخط المحددي كان يصل
الى لحف هذه الجبال فقط فكان الناس
لذلك يضطرون الى اجنيازها على الهواج
او على ظهور الخيل حتى محطة كاندالله
الكائنة على منحدر الهضبة المقابلة

— قد اتخذت الوسائل اللازمة
لاجتناب ما عساه ان يحول من العوائق
دون مواعيد رحلتي .

لواصل بالحكومة امر تجرؤ خادمك
على اختراق حرمة الادبان بدخوله الى
معبد الاوتان في مدينة بومباي لكن
لك ذلك من اعظم العوائق فان
الدخول الى معابد الوثنيين محظوراً
على اي امر كان من المسيحيين فلو
علمت الحكومة بما كان من خادمتك
لحجرت عليه وانالته ما يستحق من
العقاب .

اصبت ولكن ذلك لا يمنعني من
اتمام السير فانه لو وقع في قبضة الحكومة
لنال جزاءه وقضى مدة العقاب وعاد
بعد ذلك الى اوربا ناعم البال لآخر
عليه ولا هو يحزن فاكون انا قد انبعت
ضريقي وما عاقني شأن خادمي

وهنا انقطع عن الكلام ولزم كل
منها السكوت وكان باسبارتو قائماً اثناء
الحديث فما علم بما تحدث الرجلان في
شأنه وهكذا انقضى الليل وما انبج الصبح
حتى كان القطار قد عبر جبال جاتس

بما يدل على حسن هندستها وإتقان بنائها
وفي الجملة ان العيون لا تبصر في تلك
التفارسوى حقول واسعة وأراض
شاسعة وجبال شاهقة تزحف فيها الأرقام
الهائلة وتسرح فيها الضياع الكاسرة وتمرح
على ادبها الأقيال

وفي ذلك الصباح مرّ القطار بمحطة
ماليريم وما بعدها من الأراضي المشوومة
التي كثيراً ما خضبتها بالدماء أيدي
عبدة الآلهة ومرّ أيضاً بمعابد الآلهة البلورة
ثم مدينة أورونجabad عاصمة الملك البربري
أورنج ذيب التي باتت اليوم مركزاً حدى
المديريات التابعة لولاية الملك نيزلم وكان
قد استبدّ فيها بأحكامه ملك عصبة
الشنق المسى فورينغيه

وكانت هذه العصبة تنضي بالشنق
على من رأت بموته سبيلاً الى مرضاة
الآلهة حتى ضاقت الأرض بالبحث
البالية وقد عجزت الحكومة الانكليزية
عن تدارك الامر بالرغم عما صرفت اليه
العزم من تشييت تلك العصبة الشقية
التي لم تزل لما بقية قائمة في تلك الاقطار
الى هذا اليوم

ومرّ بناحيك وتوغل في أراضي كاندیش
المخصصة التي تندفق من حولها جداول
وانهار تستي مزروعاتها وتروي ظمأ
نباتها .

وعند الصباح استيقظ بأسبارتو
من رقاده ونظر الى ما حوله فحار منه
الفكر وتاه منه الرشد اذ ظن نفسه في
منام وحسب ان ما يراه ان هو الاضغاث
احلام وقد كان قبل ذلك غير موقن
انه سيركب البخار ويشق به ارض الهندود
وفي الواقع ان المنظر كان داعياً الى
الدهشة باعثة على الاستغراب

ثم التفت بأسبارتو فرأى امام الآلة
المخارية مهندساً انكليزياً حاملاً بيده
ابريقاً مملوئاً زيتاً يصب منه من وقت
الى اخر بعض قطرات على ادوات الآلة
التي كان يتصاعد منها دخان كشف
شديداً للسواد فيمزروعات القطن والبن
والترنفل والفنفل الاحمر وجوز الطيب
ويكتنف اشجار النخل التي نبتت في
جذورها العشب الاخضر ويقوم بين
بعضها اثار من بقايا اديرة قديمة العهد
ومعابد للاصنام يدهش مشهدها الابصار

العوائق غير المتشطرة والموانع التي تطرأ
على غير ما يرام فتبعث السائح على تمنى
ان يكون له جناحان يأمن بهما غوائل
التأخر في المسير

لسرب القطا هل من يعبر جناحه

لعلني الى ما قد هويت اطيرو
وكان بين التردد والاستسلام الى
هذه الافكار يحسب ما مضى على الرحلة
من الايام ثم يتقل من العد والاحصاء
الى التذمر من ابطاء القطار في المسير مع
انه كان سائراً سير البرق وبين هذا وذاك
يعود الى لوم مولاه لانه لم يعد مهندس
القطار بجائزة كما وعد مهندس الباخرة
مونيولييه وكان يرميه بهذا اللوم وهو
لا يعلم ان للقطارات سرعة قانونية بخلاف
السفن التجارية

وتند المساء بلغ القطار مضيق جبال
سبتور الفاضلة بين اراضي كديش وازاعي
بينديلكد فسار في تلك الجهة مدة الليل
بطوله الى ان اتيج الصبح وحلت الساعة
الثامنة من صباح ٢٢ اكتوبر فوقف بعد
ان جاوز محطة روتال بنمسة عشر ميلاً
في وسط بقعة خالية من الانجار واعلن

وعند الظهر وقف القطار في محطة
بورهامبور حيث اتباع باسبارتو حذاء
مرصعاً باللؤلؤ الزيف فاتعلته والعجب
يلعب بعطفه وحيث تناول المسافرون
الطعام بما امكن من السرعة وعادوا الى
القطار الذي سار بهم بعد ذلك الى
محطة اسورجير بعد ان مر محاذياً شاطئ
ناستي الذي يصب في خليج كامباي بالقرب
من سيرات

قال جول . واني ارى من الصواب
ان اقف بالقاري قليلاً لاطلمه على ما
كان يتلاعب في رأس باسبارتو من
الافكار والنصريات فانه كان يظن في
بادئ الامر ان رحلة سيده تنتهي في
بومباي فلما تجاوزها وتوغل في قلب
البلاد الهندية رجح لديه انطئاق الرحلة
على مشروعتها الذي تقرر في لندرة بعقد
الرهان وتحديد ما حدد لها من الزمان
فحار في الامر واضطرب واستنول عليه
فواعل القلق ثم اخذ يشعر بعاملين احدهما
يدفعه الى اكتساب الرهن والثاني يحذره
من الفشل فيطرق في الارض مفكراً
متأملأ عله يهتدي الى طريقة يتحاشى بها

سائق القطار ان ذلك الموقف محط
لنزول الركاب

فالتفت المسترفوج الى السير كرومارني
فرأى على وجهه علام الارتباك اثر
وقوف القطار في وسط قفارينبت فيها
الحمر (التمر الهندي) والكافور ثم احال
نظره نحو باسبارتو فراه يتفر من القطار ثم
سمعه يصرخ بتعجب واندهال : ان
القصب الحديدى ينتهي هنا فاستعاد
كرومارني كلامه فكرر قوله بأسفين
الخط الحديدى ينتهي هنا فحيث نزل
كرومارني وهى لاس فوج الى الارض
وقدما الى سائق القطار فسألاه

— ابن نحن

— في كفر كولبي

— أنها ينتهي بنا القطار

— نعم لانه يبقى مسافة خمسين ميلاً
يتصل هذا الخط بخط الله اباد

— ولماذا اطلنت المجرائد باتصال
الخطين

— هذا ذلك عن سهو منها وعدم
انتباه

ولماذا اعطيت الركاب تذاكر

الى كلكوتا

— لاني اعهد انهم على علم بانقطاع
الخط هنا

وكان السير كرومارني يخدم في
كلامه غضباً وباسبارتو يكاد ان يثيز
من الغيظ وكان بوده ان يفتك به لولا
خوفه من مولاه الذي التفت الى السير
كرومارني قائلاً له

— يجب ان نطرد المسير الى الله اباد
باي الوسائل

— ولكن ما العمل يا مسترفوج بهذا
الاعتياق الذي يضر برحلك

— ما كنت على جهل به

— فاذا كنت عالماً باقناع الخط

— لا ولكني كنت على شعور بانى

سألقى اثناء رحلتي عائقاً غير متظر عاجلاً

او آجلاً وقد تداركت الامر فحملت

مهندس الباخرة موجهة على التعميل

والاسراع في المسير بغية الوصول الى

بومباي قبل ميعاد الوصول الاعتيادي

ووعده بمجازة من النقود وهكذا كان

وصولنا قبل الميعاد بيومين واظن اننا

حاصلين على الزمن الكافي لان فصل

بتمرينه وتعليمه بغية ان يستخدمه في القتال
لا في ثقل البضائع والركاب وكان معيناً
لثلاثة شهور من السنة يغذيه فيها بالسمن
والسكر اعتقاد ان هذا الغذاء يزيل من
الحيو ان النفق

اما جنس الفيل في الهند فتندر
الوجود وخصوصاً الذكور منه التي كان
الهنود يستخدمونها في مضار الصراع
ومساحات القتال وصيد الافيال وغيرها
من وحوش الغاب فلا عجب لذلك اذا
بلغ امر الاعتناء بها في الهند كل مبلغ فان
الافيال قليلة التناسل ولاتاتي بنتاج الا
بعد ان تألف

ولقد سأل فيلاس فوج صاحب
الفيل ان يكره اياه فابى فعرض عليه ان
يدفع له عشر ليرات عن كل ساعة فرفض
فقدم له عشرين فامتنع ثم اربعين فلم
يقبل واصراً على الابهاء ثم طلب ان يشتريه
فستخر به فقدم له الف ليرة ثم ثمانية فاعرض
عنه ثم الفا ومائتين فنظر اليه شذراً ثم
الفا وخمسمائة وبعدها الفا وثمانمائة ثم الفين
وهنا قبل الهندي فتقدمه فيلاس الثمن
في الحال من سفائح البنوكة فاخذ فوج

الى كلكتوتا في ٢٥ اكتوبر الذي تسافر
فيه سفينة بخارية الى كون كون

وكان بعد وقوف القطار في تلك
النقطة ان نزل منه الركاب وشرعوا في
استكراء المطايا والمركبات حتى انه لم يبق
منها للسير كرومارتي والمستر فوج ما
يسيران عليه فطلبوا عربة فجا وجدوا واذ
ذاك قال فوج اني اسير على قدمي فشق
الامر على باسبارتو خوفاً على جذائمه الجديد
ثم انه بعد ان فكر قليلاً قال لمولاه انه
يوجد مطية للسفر

فقال له فيلاس،

- واين هي

- في محل لا يبعد من هنا سوى

بضع خطوات

- هلم بنا يا حضرة السير كرومارتي

لنتحقق الخبر

فانطلق الثلاثة في الحال وبعد
مضي خمس دقائق من الزمان وصلوا الى
كوخ بلاصق حوشاً فيه فيل وفي الكوخ
رجل هندي فلما راهم اقبل عليهم فاستقبلهم
وادخلهم الى الحوش حيث كان الفيل
فأرأوا فيلاً البقا يدعى كيوني عني صاحبه.

عن يمينه تخطيط السكة الحديدية المشروع
في مدها زاعماً انه يسلك طريقاً قريباً
تقص عن سواها مسافة عشرين ميلاً
ولكونه من اهل البلاد ومن ادرى الناس
بمسالك تلك القفار اتفق فيلاس اليه
مقاليد الامر رغبة ان يكفيه مؤونة العناء
بالسير في طريق وعرة صعبة المسالك
بسبب كثافة اشجار جبل فيندياس حيث
رسمت طريق السكة الحديدية

وبعد ان استوى الركاب على ظهر
الفيل سار الحيوان بهم خيلاً ثم زميلاً
يطوي اليد في تلك الاراضي المقفرة
متهدجاً في السير متفضلاً حتى اعياى من
عليه بما نالهم من عناء الارتحاج ولكنهم
تمالكوا وتجلدوا واستطاعوا - بنى صغرت
انفسهم وكادت تشرف على الزهق وتولاهم
اليأس وتملكهم الخوف وكان باسبارتو
يبدفع من شدة الارتعاش نارة نخورقبة
الفيل وطوراً يطرّح على كفله - حتى كادت
امعاؤه تنقطع واحشاؤه تتمزق وهو صابر
على ذلك صبر كرم على مضض الايام
يغالب مرارة الالم بالهزل والضمك
ويداعب الحيوان تمضية للوقت بالقاء

الفيل واقلب عنه يطلب مرشداً يهديه
الى الطريق فتقدم اليه شاب وعرض
نفسه لخدمته فقبله بالترحيب ووعدته
باجرة وافرة فسر الشاب وللحال عمداً الى
الفيل فاخرجه من مربضه ووضع على
ظهره لباداة وجعل على جانبيه شيئاً اشبه
بالخروج فركب على احد الجانبين السير
فرنسيس كرومارتي وعلى الجانب الاخر
المستر فيلاس فوج اما باسبارتو فركب
فوق اللباداة واما المرشد فاعلى رقبة الفيل
وبعد ان اذخروا مؤنتهم من ماكل
ومشرب انطلق بهم الفيل في الساعة
الداسعة من ذلك اليوم متخذاً اقرب
طريق من الطرق المؤدية الى المحل
المقصود سائراً في وسط غاب من غابات
شجر النخل

الفصل الثاني عشر

في ان فيلاس فوج ورفاقه
قاسوا الاهوال في قفار الهند
وسلك المرشد في طريقه اقرب مسلك
على ما تقدم بيانه فسار في غير الطريق
المألوف سائراً في عرض الصحراء تاركاً

قطع من السكر في فمه فيتناولها بمخرطومه
غير منقطع عن السير ركضاً وعدواً
وبعد مسير ساعتين اوقف السائق
المسير مدة نصف ساعة استراح فيها الفيل
من التعب واجال نظره في الارض فابتلع
ما وجدته عليها من الحشيش وانواع
النبات ثم ورد الماء فشرب حتى اروي
ظمائه وقد طلب ركابه الراحة ايضاً فنزلوا
عن ظهره وقد ابدى السير كرومارتي
تعبه من نزول المسترفوج عن ظهر
الفيل نزوله عن سريره فقال
أمن حديد هذا الرجل

فاجابه باسبارتي

نعم انه مخلوق من حديد

قال هذا واخذ بهم بتهيئة الطعام
وعند الظهر استأنف الفيل السير
في الصحارى الواسعة التي يثبت في بعض
جهاتها شجيرات من الحمير والتخل وفي
البعض الاخر القرطب والشوك . وهي
قسم من اراضي بيندلكاند العليا التي
قل ان تطأها اقدام السواح خوفاً من
هبيبة سكانها وخشونتهم وتعصب اهلها
الذين كانوا يقومون اثناء الاحتفال

براسم ادبايم باعمال لانقي لفظه . وحشية .
بحاجة التعبير عنها لما ان الوحوش لا تجسر
على الاتيان بها . ولم يكن للحكومة الانكليزية
ان تبت بين اولئك السقاط الاجلاف
روح التهذيب والتمدن بالنظر الى اقيادهم
لاوامر ووسائهم اقياد العبيان . وقد وقع
منهم اثناء مرور فوج ورفاقه بارضهم انهم
تجمعوا عليهم واندفعوا في الطريق امامهم
ينظرون الى الفيل شذراً ويبدون عدواناً
وكان السائق يتجنب اذاهم وشرهم بالحيلة
والمكر حتى توارى عنهم

وقلما وجد في الطريق اثناء مرورهم
حيوانات غير بعض قرود كانوا يولون
الادبار بتعوج والتواء مما كان يضحك
باسبارتو ويذهب تنه الم المسير

وكان يتنازع هذا الفتى عدة عوامل
اخصها شأن الفيل وما سيؤول اليه امره
اليه عند وصولهم الى محطة الله اباد فكان
يقول اذا افترضت وقاده مولاي حتى ينتهي
به الى مقره تمثلت امامه وفرة النققات
فيعدل عن استصحابه في الرحلة . وكان
بين هذا الافتراض وغيره يعود الى التساؤل
عما اذا كان من الحكمة اطلاق الحرية

للحيوان ليسير ايان شأ ثم يدفعه الطمع الى
امل ان مولاه يهديه اليه فيجاري في امره
ويرتبك في شأنه - وكانت كل هذه
الافكار تمر برأسه مر الخيال آخذة بجماع
قلبه ولبه واستمر كذلك الى ان قطعوا
جبال فيندياس فاتخذوا منحدرها الشمالي
محط الرحال ازاء كوخ مخترب وكان
الوقت اذ ذاك بالغاً حد الساعة الثامنة
من الليل . وبالنظر الى ما كان في تلك
الليلة من البرد القارس التجأوا الى الكوخ
فاوقد لهم السائق فيه ناراً اصطبلوها وتناولوا
الطعام ما كانوا قد اذخروه في كالي
وما تجاذبوا اطراف الكلام بعد تناول
الطعام حتي تمايلوا بجمرة الوسن فرقد
السير كرومارني والمسترفوج ولبث السائق
مسهد الجفن محافظاً على الفيل النائم

وقضوا في هذه البقعة مدة ساعتين
عادوا بعدها الى المسير فشطّ بهم الفيل
بين اشجار غضة ينهب الارض نهباً الى
ان دنت الساعة الرابعة فوقف مذعوراً
فسأل السير كرومارني السائق ان ينيثه
عن اجفال الفيل فاجابه انه لا يعلم لذلك
سبباً ثم انصت قليلاً فسمع رنة اصوات
تمتزج بدوي الجسم وما لبث ان ارتفعت

للحيوان ليسير ايان شأ ثم يدفعه الطمع الى
امل ان مولاه يهديه اليه فيجاري في امره
ويرتبك في شأنه - وكانت كل هذه
الافكار تمر برأسه مر الخيال آخذة بجماع
قلبه ولبه واستمر كذلك الى ان قطعوا
جبال فيندياس فاتخذوا منحدرها الشمالي
محط الرحال ازاء كوخ مخترب وكان
الوقت اذ ذاك بالغاً حد الساعة الثامنة
من الليل . وبالنظر الى ما كان في تلك
الليلة من البرد القارس التجأوا الى الكوخ
فاوقد لهم السائق فيه ناراً اصطبلوها وتناولوا
الطعام ما كانوا قد اذخروه في كالي
وما تجاذبوا اطراف الكلام بعد تناول
الطعام حتي تمايلوا بجمرة الوسن فرقد
السير كرومارني والمسترفوج ولبث السائق
مسهد الجفن محافظاً على الفيل النائم
وقوفاً متوكتاً على جذع شجرة ولم يكن
يكدر سكون الليل سوى زفير القرو والنهد
واهتاف القروود ولما بزغ الصباح حد
القوم السرى وجدوا في المسير في الساعة
السادسة يجنازون ما بقي عليهم من اراضي
جبال فيندياس معللين النفس ببلوغ
محطة الله اباد عند المساء فانهم كانوا قد

وتلتها فرقة بعض آلات نحاسية وكان
باسبارتو كله آذاناً تسمع وعبوثاً تشخص
الى مخرج الصوت وفيلاس فوج لا ينطق
بكلمة البتة واذذاك نزل السائق الى
الارض وربط الفيل في جذع شجرة قريبة
منه وانطلق يطلب مخرج الصوت فبعد
ان غاب قليلاً عاد وهو واقف على حقيقة
الخبر فقال لاصحابه ان ما تسمعون هو
احتفال بشييع جنازة فاذا كان في الامكان
فلتوار عن العيان . قال هذا ونك
رباط الفيل وقاده الى موضع لا تنفذ فيه
الابصار ولا تصل اليه رميات الانظار
ثم اوعز للمسافرين بالاً ينزلوا الى الارض
اما هو فوقف بجانب الحيوان مستعداً
للفرار اذا دعاه اليه الاضطراب

وبعد هنية مر القوم بالجنازة امام
موقف المسافرين يحفونها بالانغام واصوات
الطبول والصنوج واما هم طغمة من
ال كهنة على رؤوسهم التيجان وعلى اجسامهم
البرفير والارجوان ومن حولهم رجال ونساء
واولاد ينشدون النحان الحزن على اصوات
الصنوج ووراءهم مركبة تجرها اربعة لفراس
من جياذ الخيل وعليها تمثال فيج الصورة

ذو اربعة سواعد مصبوغ الجسم بلون اخمر
مائل الى السواد قليلاً مدلى اللسان
زائغ انسان العين مصبوغ الشفتين
بالحناء وفي عنقه طوق منضدبرووس
الاموات ومن حول وسطه سلسلة ايادٍ
متطوعة . وهذا التمثال يعرف بالالهة
(كالي) ((الالهة الموت والفرام

وكان وراء هذا التمثال جماعة من
طائفة البراهمة يرفلون بافخر الملابس
ويقودون بالعنف فتاة لم ينزل فيها بعض
الرمق وهي من ربات الحسن والجمال
وذوات الخمر والدلال

قد كتب الحسن على وجهها

يا عين الناس فني وانظري

وكان في يديها واذنيها وعلى عنقها
وصدرها وكتفيها من الجواهر الكريمة ما
لا تقدر له قيمة وعليها من اثار النعمة
وعلى وجهها من ملامح الذكاء ما لا يوصف
بلسان . وكانت لابسة ثوباً من الحرير
الهندي وخاراً من اللاذارق من نسيج
العنكبوت يلعب الهواء باطرافه ووراءها
حراس شاكو السلاح متقلدون سيوفاً
وبنادق وغدارات وحاملون جثة على

انه اذا توفي الرجل قبل المرأة يحرقون
زوجته معه فهذه الفتاة التي رأيناها ستحرق
باكراً عند بزوغ النهار
فقال المستر فوج

وكيف لم تنزل هذه العادات الوحشية
مرعية الاجراء الى هذا اليوم والانكليز
ينشرون التمدن تحت سما الهند ويدافعون
عن الانسانية

لا تزال هذه المادة متبعة مرعية الاجراء
في كثير من جهات الهند حيث لا يخفق
علمنا وحيث ليس لنا سلطة وسلطاننا
لا تمتد الى هذه البقعة حيث نحن الان
فكل هذه الارض التي قطعناها والاماكن
التي سنمر بها انما هي مسرح مثل هذه المشاهد
فقال باسبارتو بتأسف

— يستدل بما قال حضرة السير ان
هذه الفتاة لا بد انها تنزق العذاب
الوانا اذا لم تحرق
فاجابه السير كرومارني

ولا ريب في ذلك. وماراه كمن
سمع واذا لم تحرق عوملت بالقسوة والغلظة
فان شعر راسها يحلق وتغذى بقليل
من الارز وتبذ من حياة الاجتماع نبذ

الاكتاف وكانت جثة الشيخ القعيد الامير
الهندي احد سلاطين القبائل وعلى هامه
عمامة مطرزة بالالآل وفي وسطه حزام
مرصع بالماسر وعليه ثوب من الحرير
بمزر كش بالخيوط الذهبية وكان مقلداً
سيفه اشارة الى ما كان عليه في حياته
وفي منتهى الحفلة كان عازفو الموسيقى
يصرخون باصوات قبيحة ويرفعون اصواتهم
بما كان يفوق عزف الموسيقى

وفي خلال الحفلة التفت السير
كرومارني الى السائق وقال له
هل هذه (سوته) ضحية

فاومى اليه السائق برأسه ثم وضع
بنانه على شفتيه اشارة الى انه يريد ان
يلزم الصمت

وبعد ان مرت المجازاة بالجموع
بين تلك الاشجار وغابت عن الابصار
قال المستر فوج للسير كرومارني
وماذا عانيت بلفظة (سوته)

هي لفظة من لغة الهندو يعبر عنها
في لغتنا بلفظة ضحية والمراد بذلك ان
تلك الفتاة التي رأيناها في تلك الحفلة
هي امرأة الشيخ القعيد ومن عادات الهندو

المحذاء المرفوع الى ان تموت ذليلة مهانة فهي
لذلك تفضل الموت على البقاء اجنبياً
لتنوع الاغذية ولحرمان الهناء
وقد تكون المرأة لذلك في بعض الاحيان
ضحية صادرة عن تمام الارادة فتضطر
الحكومة الى التدخل في الامر منعاً لحدوثها
وعند ما كنت منذ بضع سنين في
احدى وظائف الحكومة في بومباي حدث
ان ارملة في سن الصبوة انت حاكم
المدينة والتمست منه ان يرخص لها في
الاحتراق مع جثة زوجها فرفض الحاكم
طلبها ونهاها عن غيها فلم ترعو ثم خرجت
من المدينة والتجأت الى حى بعض
السلاطين المستقلين حيث انفذت مرغوبها
وكان سائق الفيل يهز رأسه كلما
سرد السير كرومار في عبارة من قصته وفي
آخر الكلام قال السائق :

اما ضحية البارح فليست صادرة
عن ارادة شخصية كما لا يخفى علينا نحن
معشر البيندلكاند فان تلك المنكودة الحظ
ذاهبة الى حتفها بالرغم عنها ولا يغرنك
منها اتيادها فانها سكرى بدخان القنب
والافيون ولا تعي الى اين سائرة فهي لذلك

قال هذا واخرج الفيل من مريضه
ثم اعلى رقبته وهم على الرحيل فافوقه
المستر فوج ووجه الى السير كرومار في
الخطاب فقال

— ما رأيك في اقاذا هذه الفتاة
— يا للعجب وماذا يهمك امرها
— لدي من الزمان فرصة اثنتي عشرة
ساعة اود استخدامها في الدفاع عن
الانسانية
— لله درك ما اتجبعك وما اثبت جناتك
— نعم ولكن في بعض الاحيان وعند
امتلاك الزمان

الفصل الثالث عشر

ويومٌ علينا ويومٌ لنا
ويومٌ نساء ويومٌ نسر
واهتم المستر فوج باقاذا الفتاة فكان
امراً شاعلاً بل كان مشروعاً محفوفاً
بالمصاعب والاهوال يتوعد حياة فيلاس

ان تدبروا الامر فانه اذا وقعنا في
قبضة الاعداء فلا شك اننا نعدم الحية
بعد ان نذوق جميع انواع العذاب فاجابه
فيلاس

لا تدبر لك امراً

فاولوا التدبير هلكي

حقق الامر تجدنا

نحن اولى بك منك

- وارى من الملائم ان نتظر الليل

للشروع في العمل

- نعم وهذا اوفق وافضل

ثم اخذ يشرح للمسترفوج ما يعلم

من احوال الفتاة فقال

- هي فتاة هندية ولدت في مدينة

بومباي وشبت على كرم الاخلاق وحسن

العادات واقتبست التهذيب والاداب

من الانكليز حتى فاقت ذوات جنسها

من بنات جلدتها فخالها الناس اوربية وهي

فاتمة المحسن بدیعة الجمال بارسية النسب

ولها ابوان غنيان في بومباي واسمها عائدة

ولما بليت بموت والدها زفها اقاربها

بالرغم عنها علي هذا الشيخ البند بكاندي

وذلك منذ ثلثة شهور فبالنظر الى ما

بالخطر او بوقوعه في اشراك الهوان وتعرضه
لنسوة معاملة الهند فيسومونه خسفاً وحيفاً
ويوسعونه ضرباً وطعناً وانما اتفق وكان
من حسن حظه ان يطلقوا سبيله فيكون
قد فقد الحية المعنوية بقصد فائدة الرحلة
وقيمة الرهان . ولكنه مع هذا وذاك
لم يتردد في الامر وقد لقي المستر كرومارني
معبداً والفتى باسبارتو معبداً غير انه خشي
خيانة السائق فعزم ان يطلب اليه
التزام الحيادة اذا ابي ان ياخذ بناصره
ويرشده الى الوسائل التي تمكنه من بلوغ
الغاية باقذا الفتاة

تم كاشفه السير كرومارني بما في
النية فقال

- ثلوا بولائي وحسن وفائي وصدق

خدعتي وصفاء نيتي فان من تريدون

اثمانها هي من ابناء جلدتي فهي بارسية

مثلتي لا يهون علي هلاكها ظلماً

وعند ما سمع من فيلاس هذا الجواب

الذي يشف عن موالاته واخلاص شكر

له ما اظهر من الغيرة وصفاء السرية

فقال السائق:

ولكن يجب عليكم قبل الشروع في العمل

الهيكل او عما اذا كان يمكنهم ان يتقبلوا
الحائط ويخرجوا الفتاة من الثقب .
وطالت بينهم المناوأة من غير ان يقرروا
طريقة ما وانما قرروا وجوب انقاذ الفتاة
في الليلة ذاتها قبل بزوغ الصباح فيصعب
عليهم اذ ذاك امر انقاذها

ولبت المسترفج ورفاقه يتظرون
اقبال الليل فلما خيم الغسق سكنت
التوضاء واخذ جميع المحصور من الهنود
في الثبول بالافيون المزوج بتقيع الثقب
حتى امسوا في حالة سهل معها على اي
كان اختراق صفوفهم والدخول الى
هيكل صنهم على حين غفلة منهم فهم
اذ ذاك الثلاثة المسافرين (وكانت الساعة
السادسة من الليل) على اكتشاف موقع
الهيكل يتقدم السائق وبعد ان ساروا
عشر دقائق بلغ بهم القتي الهندي شاطئ
جدول يجري فيه ماء زلال فرأوا على
ضوء مشاعل موقدة من حطب الصنوبر
كومة احطاب متجمعة كدسامرثودة بنحش
الصندل الثمين منداة بزيت مطيب وفوقها
جثة الشيخ القعيد مدهونة بالطيب معدة
للاحراق مع جسد ارملة الحمة ورأوا

علمت من مستقبل حظها ساعة وفاة
زوجها ركت الى الفرار من دار بعلمها
وشردت نائمة في البراري والقفار ولكن
سوء حظها ساق الايدي اليها قبض عليها
وهي الان كما ترون مسوقة الى العذاب
الاليم ولا مفر لها منه ولا مناص
وكان الشاب الهندي يتقد في كلامه
شقة وغيره ويلتهب حدة ويذوب كآبة
وغماً ويقلب اوجه الحديث متفتناً في
ضروبه متقللاً في اساليبه يجد فيثير
الاشجان ويمزج فيذهب الاحزان فزاد
ذلك سامعيه رغبة في انقاذ تلك الفتاة
من شدتها و اشاروا الى السائق ان يقودهم
الى مكان الضحية وان يدنو بهم من
هيكل بيلاجي ويجعلهم بقدر الامكان على
مقربة منه فلبى وسار بهم وبعد ان ساروا
نحو نصف ساعة وقف عند غابة كثيرة
الاشجار تبعد عن الهيكل خمسمائة قدم
وتحجب عنهم الانظار وهناك تباحثوا في
الوسائل التي تؤدي الى بلوغ المراد وكان
السائق يعرف مكان هيكل الصنم حيث
حجر على الفتاة فسألوه عما اذا كانوا يقدررون
ان يخترقوا المجموع وهم نيام فيلجئون ابواب

الغائب

وعلى ذلك لبثوا ينتظرون الوقت
المرغوب بالقرب من جذع شجرة وقد
طال عليهم الانتظار وشبهوا من الاصطبار
تحت غصون الأشجار والمشاعل موقدة
والحراس مكثلون بآئد السهادر والأنوار
تنفذ أشعتها من منافذ الهيكل وبينما هم
كذلك إذ تركهم السائق وتوجه لاستطلاع
ما في تخوم الغاب

وبعد أن انتظروا حصول الفرصة
الممكنة إلى منتصف الليل وكان الحراس
إلى ذلك الوقت على حالم من السهر
والإتباء عمدوا إلى اتخاذ طريقة تلائم
الحالة فاتفقوا على خرق حائط الهيكل
ولما عزموا على إجراء الضريبة راعهم شعور
الكهنة القائمون حول جسم التقدمة فترددوا
في الأمر وبعد أن استغرق تحدتهم زمناً
طويلاً أوماً إليهم السائق أن اتبعوني
فساروا وراءه وبعد أن طافوا مدة غير
يسيرة أدت بهم خاتمة المطاف إلى حائط
الهيكل بدون أن يصادفهم أحد في طريقهم
لأنه لم يكن في الطريق التي سلكوها خفراء
أو حراس كما أنه لم يكن في جهة الهيكل

الهيكل على بعد مائة خطوة من المحط
ثم بارحوا هذه البقعة بهدوء وسكينة
والسكوت لا يكدره سوى ميل الهواء
بالاغصان وساروا إلى منتهى الغاب
وهناك وقفوا مندهشين مندهلين من
رؤية جمع غفير من رجال ونساء وأولاد
سكارى بنجمة النوم منطرحين على الترى
كأنهم صرعى في ميادين الوغى ومن
حولهم بعض سكارى الأفيون وعليهم أشعة
أنوار المشاعل وبالقرب منهم هيكل
الصنم بيلاجي تكتنفه الأشجار وعلى أبوابه
الخفراء والحرس متقلدون السيوف ومن
داخله طائفة الكهنة تقيم الشعائر الدينية
وبتلون الصلوات ففي هذه الحالة رأوا
أنه يستحيل عليهم الوصول إلى الهيكل
فارتدوا إلى الوراء عالمين أنهم لا يستطيعون
إدراك مبتغاهم ثم وقفوا يجادلون الآراء
باصوات مخفضة إلى أن قال السيد
كرومارني لرفيقه

— فلنتظر قليلاً فإنا في الجميع
الأول من الليل وفي الساعة الثامنة فإذا
تربصنا إلى أواسط الليل واستولى الكرى
على جنون الحراس طاب لنا إدراك

التي قصدوها منافذ او ابواب

وقد كان الليل وقتئذ مظلمًا
والظلام حالكا والتمر قريبًا من الزوال
نفثي عبياه الغيوم المتلبدة وكان تكاثف
الاشجار الشامخة يزيد القنصام قتاما عند
الهيكل حيث كان فيلاس ورفيقاه مرتبكين
في شأنهم لا يدرون بأي وسيلة يتقبون
الحائط وليس لديهم من الادوات ما
يستخدمونه في ذلك سوى سكين الجيب
ولحسن حظهم كانت جدران الهيكل
مبنية من الاجر والخشب فلم يكن لذلك
من صعوبة في خرقها فان اول قطعة
من الاجر اذا خرجت جرّت الثانية
وما اخذوا في العمل حتى سمعوا
صراخا من داخل الهيكل واخر تلاه من
خارجة فوقفوا مذعورين ثم اريدوا على
انقاذهم خائبين فارين الى الاشجار بطاردون
الرب الى ان هدأ روعهم فعادوا الى
استئناف العمل ولكن ابني تكدي الطالع ان
يحقق امانهم بافئاذ الفتاة فان الحراس
كانوا اكثر من اسباب التحفظ محيطين
بجميع جوانب الهيكل احاطة الهالة بالتمر
او الاكام بالتمر فلما رأى السهر كرومارني

من صعوبة الامر ما رأى صفق صفقة
الاسف وكاد باسبارتو يغيب عن الرشد
وثارت في فواد الفتى الهندي ثورة الاحزان
اما فيلاس فوج فلبث ساكن الجنان
لا يحرك ساكنا فقال له السهر كرومارني
لقد خاب الامل من ادراك الارب
وما نحن الا نافخون الا في غير ضرم فسر
بنا نعود الى حيث كنا فقد اقترب النهار
فقال فوج

لا تنظن من رحمة الله

ولرب نازلة يضيق بها التي

ذرعا وعند الله منها المخرج

فالمبر مفتاح الفرج والعجلة لا يعقبها
الا الندم فلندرع بدرع الصبر فان الوقت
لم يفت علينا ووصلنا الى محطة الله ابدا
مضمون قبل ظهر الغد

فتعجب كرومارني من هذا الجواب
واخذ يأمل الامر بعين البصرة عليه
يهتدي الى ما عساه ان يجني مائت الامل
في قلب فيلاس فوج ثم قال في نفسه
لم يبق الا طريقة واحدة وهي ان
يقتم الصفوف ويتشل تلك الضحية من
وسط العذاب

ثم قال

ولكن هيهات ان يفوز بنفسه
ومع كل ذلك لم يخالف رفيقه بل
تقدم معه نحو الغاب واقام واياء تحت
الاشجار الغضة يرفان حركات الهنود
النيام

اما باسبارتوفائه جالس على احدى
الاشجار واخذ يتأمل فكراً طراً عليه وهو
الوثوب على زمر الهنود واغاذ الفتاة من
بين ايديهم ثم زحف بعد هنيهة كالافعى
على غصون تلك الشجرة المائلة الى الارض
وترى

وكان الظلام لم يزل حاداً الا انه
بدت في كبد السماء علام اقبال الصباح
فقام النيام وضربوا الصنوج والطبول
اشارة الى دنو اجل التضحية واحراق تلك
الفتاة المنكودة المحظ وحيث فتحت ابواب
الهيكل ولاح من داخله نور ساطع تمكن
السير كرومارتي والمسترفوج بواسطته
من رؤية تلك الفتاة التي كان يجريها
كاهنان الى خارج الهيكل وهي تحاول
البقاء فيه فرق لها قلبها ونديا حظها
وحاراً في اي الوسائل يتخذها لاقادها

وعند ما اخرجها الكاهنان طافا بها في
وسط الجمع فعاودها المحمول ثنية واستحوذ
عليها المحمود من تصاعد دخان التنب في
انفها وهي تخترق صفوف الفقهاء الذين
كانوا يقابلونها بالبشر والاياس والصبيح
والانغام فاندمج في اخر الصفوف اللاحقة
بها المسترفوج ورفيقاه وبعد مسير دقيقتين
وصلوا الى شاطئ الجدول فوقفوا على بعد
خمسین خطوة من كومة الحطب التي
كانت جنة الشيخ المتوفى ملقاة عليها
وهناك ظهر لهم جسد الضحية مدودا بالقرب
من جنة زوجها وبجانبيها مشعل يضي
وقوم يصون الزيت على الاحطاب
ويشعلونها فلما شاهد فيلاس فوج هذا
المنظر المحزن هاج فيه ما كان ساكناً من
الحمية فاراد ان يقتحم كومة الحطب فارقه
السائق والسير كرومارتي وبينما كان
يحاول التلصص من بين ايديهما اذ سمع
صوت مرعب مخيف من فوق كومة
الحطب خفت له القلوب جزعاً وارتعدت
منه المفاصل خوفاً فظن المحصوران الشيخ
لم يكن مائتاً وان فيه رمقاً من الحياة ثم
احدقوا بالحطب فرأوا الشيخ يدنو من

امرأته وبنهضها بذراعيه وينزل بها من على
الاحطاب بين الدخان المصاعد فسط
كلاهما على الارض مرتجفين فلما نظرهما
القهاء والخبراء اكبوا على وجوههم يعضون
الارض ولا يحسرون ان يرفعوا ابصارهم
لمشاهدة الاعجوبة
وما زال الشيخ سائراً والفتاة بين
زراعيه يفرق صنوف الجموع حتى بلغ
مكان فيلاس فوج والسير كرومارني
اللذين لبثا على الاقدام والسائق مخفياً
بالقرب منها فقال لهما بصوت منخفض

اتباعني

ومن هو رجل الاعجوبة . هو البطل
باسبارتو الذي انتشل تلك الفتاة من
مخالب المنون بشجاعته وبسالته وشق
الجموع سائراً بالفتاة غير مبال بامتداد
اللهيب او تكاثف الدخان وهو الذي
اقرب من مولاه ومن معه وقال لم بذلك
الصوت المنخفض ان اتباعني فبعاه ووراءها
المسائق وساروا جميعاً بحمدون الله على
تحقق امنيتهم الى ان استولوا على ظهر الفيل
واطلقوا له العنان فسار

وبعد برهة من وقوع ذلك الحادث

الفصل الرابع عشر

في ان فيلاس فوج عبر وادي كانج العجيب
ولم يكن يأمل بمشاهدته

وبعد ان افلح السعي ونجح العمل على
نحو ما تقدم الكلام عليه قضى باسبارتو
ساعة في الفهقة كان يشتد ضحكها فيها
كلما تذكر الحيلة التي اخترعتها والمخدعة
التي تطلت على اولئك الهندود فاحلوه محل
شبنهم المخطئ زوج الفتاة التي فازت بالحياة
وقد شكره السير كرومارني اقدمه
ونشاطه واثني مولاه المسترفيلاس على
بسالته وشجاعته فاجاب ان الفصل في

او كطوبر عند الظهر ليركب منها الباخرة
التي تسافر الى كون كون

وفي محطة الله اباد اعد للفتاة حجرة
لستريح فيها وكلف باسبارتو بالذهاب
الى البلدة لبيتاع لها من الملابس ما هي
في حاجة اليه

اما مدينة الله اباد (اعني مدينة الله)
فهي من مدن الهند المقدسة لانها مبنية
عند نهريْن متدسين وهما نهر الكنج ونهر
جومنه اللذان يقصدها الناس من جميع
جهات الهند . وقال راما ان نهر الكنج
منبعه الفردوس وهو يجري على الارض
رحمةً بالعباد وحباً بالولي براهيم

ودخل باسبارتو سوق البلدة لشراء
ما كلف بشرائه فطاف شوارعها مفتشاً
على مخازن اللبوسات فلم يجد فيها سوى
دكان واحد ل احد الاسرائيليين فيه بعض
المسوجات فاشترى للفتاة منها ثوباً وبرنسا
طويلاً وفرواً من جلد الثعلب يبلغ خمس
وسبعين ليرة انكليزية وعاد الى المحطة
وكانت صروف الحداث قد اخنت على
هذه المدينة الزاهرة فعطلت تجارتها
ودرست صناعتها ودكت حصونها

ذلك راجع الى مولاه دون سواه فهو الذي
كان باعثاً على اقدانها من مخالف الموت
الزوام

وبراً على الفتاة ساعات طوال من
غير ان تفيق من سنة الرقاد لتري
ما مر عليها وما آلت حالها اليه ولكي
تستفيق جرّعها السائق اثناء الطريق
كؤوس الرحيق ممزوجةً بالماء ولكنها
لم تستفيق بل لبنت غائبة عن الصواب واهنة
القوى لا حراك بها فبا انزعجت عليها
الخواطر لان ذلك كان شأن من سكر
بتقيع القلب

وبناء على ذلك لم يقلق السير كرومارني
لغياها عن الرشد بل اهتم بافهام المستر
فيلاس انها اذا بقيت في ارض الهند تعود
الى الوقوع في شرك الاخطار فتقتل فوعى
المستر فوج كلامه ثم قال له انه سيستصحب
السيدة عائدة في اسفاره

وفي الساعة العاشرة وصلوا الى محطة
الله اباد التي تمتد منها الفرع الحديدى الى
مدينة كلكتوتا ويقضي القطار سبعة زهابه
اليها مسافة يوم وليلة وكان من الواجب
على المستر فوج ان يقدم اليها في ١٥

وهدمت أسوارها

وبعد أن مضى بعض ساعات على
عائدة افافت من غشوتها وعادت الى
رشدتها فاجالت، لحظتها فبين حولها ترشق
به الاقنعة فبحرّح وهرّح ولم يبق للبرء
من مطرح

بين اهل الهوى واهل الجمال

كل يوم دمّ بغير قتال
وكانت بذلك على حد قول الشاعر
من حسنهما ان ليس يوصف حسنهما

وجمالهما ان لا يجد جمالها
هي آية المحسن التي قد اعجزت

وصافها من حيث عزّ مثالها
ترنو بمقلّة جوهر نباله

وارحمته لمن نصيب نبالها
وتعزّ من تحت الغلائل قامة

من غير شك قاتل عدالها
ومن استنجار بعظمها من طرفها

ابقى له شرك الغرام دلالها
فاذا رنت واذا اثنت واذا دانت

فكنت فما من جيلة نخالها
قال فرن ، وهي احق من الملكة

احسبنا جاره بوصف الشاعر انكاف .

وكان شعرها اللامع الاسود مسترسلاً
على كتفها وجبينها يفوق الثلج بياضاً
والبدريهما وضياءً ويقطف الورد من
وجتها المستديرين وتنعكس من اضواء
البدور اشعة ساطعة على انسان عينها
البارزتين من تحت هديها الطويلين
ولها اسنان كالهرد يقتر عنها ثغرها البسام
واذنان صغيرتان بيضاوان كأنهما خلقتا
من طينة الملائكة . وفي رجليها اطواق
من افخر جواهر جزيرة سيلان واثمن
لاي جوكند ولها خصر نحيل وقامة هيفاء
وعلى وجهها خمار من الحرير الهندي كأنه
منضد بالفضة متقوش بيد النفاش ((الاهي))
المدعوفيكما كارمد

وحدث ما استطعت عن حسن
السيدة عائدة وجمالها وتهذيبها وآدابها
وكانت متقنة درس اللغة الانكليزية كل
الاتقان وتكلم فيها بافصح وأوضح بيان
وقبل ان قام القطار من محطة الله
اباد تعد فيلاس فوج السائق اجرته على
مقتضى ما بينها من الاتفاق ثم وهبه
الفيل جزاء خدمته الصادقة واخلاصه
النام فشكر السائق وحمد ما استطاع

الله على خلاصها وإنما ازعجها ما كان لم
يزل محدقاً بها من المخطر بقاءها في ارض
الهند فرأى المستر فوج على جبينها الواضح
علائم الأرتياك فعلم بما كان موضوع
افكارها فقال لها

يا سيدتي اننا سائرون الى كون كون
حيث تكونين في مأمن من المخطر لا يدركك
السلبه الاثقية ولا يظفرون منك بمغرم
فانجلت عن جبين الفتاة اذ ذاك غوم
الغم والاضطراب وزال عنها الوجع اذ
علمت انها ذاهبة الى كون كون . المدينة
الانكليزية التي يقطنها احد اقربائها من
يجرون ذبول الوجهة ومطارف الثروة
ويتمتعون بنعيم التجارة الواسعة

وعند الظهر وقف القطار في محطة
بينارس التي تبعد بضعة اميال عن
كون كون والتي يعسكر فيها الجيش
الانكليزي الكائن بامرة السير كرومارتي
فدنا السير كرومارتي من رفيقه فودعها
ثم ودع السيدة عائدة وانصرف عنهم جميعاً
وفي قلبه نغصة الفراق

وبعد ذلك سار بهم القطار في
وادي الكنج فشاهدوا من وراء زجاج

الى الشكر والحمد سيلاً وبعد ذلك
ركب فيلاس فوج ورفيقاه احدى مركبات
القطار واجلسوا السيدة عائدة في المجل
الاول وجلسوا هم بالقرب منها مقدمين
لها الاشربة المنبهة واستمروا كذلك حتى
افاقت من سكرتها فوجدت نفسها على
عربة يجريها البخار اسوة باقي عربات القطار
الموجه الى مدينة بينارس التي تبعد عن
محطة الله اباد مسافة ثمانين ميلاً يقطعها
القطار في مدة ساعتين فاستولى على الفتاة
عند ذلك الاندهاش واحمرت خجلاً اذ
رأت حولها اشخاصاً من الفرنجة ما رأتهم
قط يعتنون بها ويهدون لها اسباب الراحة
والصفاء وفي اثناء المسير قص السير
كرومارتي عليها ما كان من امرها واعلمها
بمن كان سبب خلاصها ونجاتها

فلما فرغ السير كرومارتي من كلامه
انفتحت عائدة نحو منقذها والدمع مل
عينها ولم تنطق ببنت شفة تاركة للدمع
ان يعرب عن عواطفها وينوب عنها بتقديم
الشكر على النعمة والامتنان من الغيرة .
ثم اخذت تذكر المصائب الذي كاد
يفتك بها فارتعدت فرائصها وحدثت

والنوافذ مناظر تدهش الابصار وتجبر
 الافكار ان رأوا جبالاً تنطح السماء بقممها
 الشاخنة يكسوها الربيع بساطاً سندسياً
 وحقولاً مزروعة من الحنطة والشعير
 والادره وبجيرات تسج فيها التماسيح وقرى
 تأهل سكانها وصحارى تنبت الخضار
 وهجناً ونجبالاً ورجالاً ونساءً وولداتنا
 قاصدين الاستحمام في تلك المياه المقدسة
 عندهم . وكان الفصل يومئذٍ فصل الشتاء
 فكان البرد قارساً والمستحمون لا يبالون به
 ويقطن هذا الوادي طائفة شديدة
 الكراهة والاضطهاد لمذهب البوذيين
 تعبد الاله (ابراهيم) (التجسد في ثلاثة
 افاقيم) (وياشتو) اله الشمس
 والكواكب و (صيفه) اله اليأس
 والبطش اما ابراهيم فهو اله الكيموت
 والشرعية . وجميعهم يخدعون غضباً
 ويستشيطون غيظاً ويمزقون كدراً عندما
 يرون الهند انكليزية ويرون في مياه
 الكنج سفناً تجارية يحفل من دويها الذباب
 الحائم على وجه الماء وتهرب السلاحف
 الزاحفة على ضفتيه ويرتجف النساك
 المنتشرون على شاطئيه

ومن سرعة مسير القطار في قلب
 ذلك الوادي لم يتمكن المسافرون من احداث
 البصر فيها مرّاً بنظر من المناظر التي تفر
 بها النواظر ونسر الخواطر كمدينة شينار
 الكائنة في جنوبي مدينة بينارس على بعد
 عشرين ميلاً منها ومدينة غازيپور المنحوية
 على عدة معامل لاستخراج ماء الورد
 وكصرح اللورد كور واليس الكائن على
 الضفة الشمالية من نهر الكنج ومدينة بانطه
 الزاهرة النابغة في التجارة والصناعة والرائج
 فيها سوق الافيون ومدينة مونفير التي
 تضاهي مدينة ليفربول في المعامل
 الحديدية المنشأة لصب الحديد والسلاح
 الابيض

وما برح القطار سائراً حتى هجم
 جيش الليل فرفع فوق الارض راية الظلام
 وحجبها عن العيون فصارت لا ترى شيئاً
 موجوداً ومراً الليل على هذه الحالة وفي
 الساعة السابعة من صباح اليوم التالي
 الواقع في ٢٥ اكتوبر بلغ القطار محطة
 كالكونافاستراح فيها المستر فوج مستظراً
 حلول الظهر ليركب الباخرة المسافرة الى
 كون كون وكان قد مر عليه من يوم

الفتاة معنا-

- نعم

ثم سار الجندي وتبعه المسير فوج
والسيدة عائدة وباسبارتو الى ان وصل
بهم الى مركبة يجرها فرسان من جباد الخيل
فركبوا جميعاً وسارت بهم في طرق
حرجة المسالك ملأى بالكواخ ناهل
من القوم الرحل سكاناً متردين بشباب
رثة واستمرت سائرة الى ان مرّت بمدينة
اوربية ذات بنايات شاهقة مبنية من
الاجر الاحمر تنفيا ظلال التجار من شجر
جوز الهند فوقفت بهم امام قصر عظيم
وهناك نزل الجندي وانزل المسافرين
من المركبة وسجنهم في احدى غرف القصر
وامرهم ان يلبثوا فيها حتى الساعة الثامنة
وانصف حيث يساقون امام قاضي اوباديه
ليسمعوا الحكم الصادر عليهم

فجلس باسبارتو على مقعد في السجن
يندب سؤ حظه والتفت السيدة عائدة
باعتين اغرورقت بالدموع الى المستر
فوج وخاطبته بصوت خشنه البكا
قائلة له

- لا كنت ولا كانت نجاتي فانا

خروجه من لوندريه حتي وصوله الى كلكوتا
ثلاثة وعشرون يوماً وعلى مقتضى تعديله
لاوقات رحلته يكون قد وصل الى كلكوتا
في الميعاد الذي يجب ان يصل فيه اليها
بدون تقديم او تأخير

الفصل الخامس عشر

في ان المستر فيلاس فوج بذل مبلغاً
وافراً من القود في سبيل حرجه
ولما وقف المطار في المحطة نزل
منه باسبارتو ثم تبعه المستر فوج قائداً
بيده السيدة عائدة الى الرصيف وهناك
عزم ان يذهب بهاتوا الى الباخرة حيث
تستريح من عناء السفر في احدى غرفها
وقد آلى على نفسه ان يرافقتها والافراقها
قطما دامت في ارض الهند محفوفة بمخطر
الموت وقبل ان يسير رأى امامه احد
الجند واقفاً فقال له

- أحضرتك المستر فيلاس فوج
وهذا خادمك باسبارتو

- نعم

- اتبعاني

- أُمّاح لنا ان نصحب هذه

المرفوعة من الكهنة على فيلاس فوج
وخادمه باسبارتو لخرقها حرمة الاديان
وبعد ان فرغ من قراءتها اجاب فوج
وهو ينظر الى الساعة وقال

— هذا صحيح واقر بمجدوته ولكن اكلف
الكهنة بان يحيطوا بالحكمة علما بما كان
في عزمهم ان يرتكبوه في هيكل يلاجي
— وقال باسبارتو

شهد الله انهم لولانا لكانوا قتلوا نفسا
حرم الله قتلها واماتوها اشنع مبته فوق
كومة من الاحطاب يوقدونها فتعترق
فتعجب الكهنة من سماع هذه التهات
التي وجهت عليهم وما قتها مغزاها ولا
ادركوا معناها

فسأل القاضي باسبارتو بقوله
— وهل كان ذلك في مدينة بومباي
فتلجج في الجواب ولم ينطق بكلمة فقال
كاتب الجلسة

— وشيئا لما ادعى به الكهنة من تجربته
على ما فعل هاحذاؤه الذي تركه
في المعبد

قال هذا ووضع الحذاء على مائدة
كانت امامه

السبب في شقائك وسحبك وهك وحررك
ولكن لا تندم يا مولاي على ما فعلته
معي من الجميل فجزاك شكري واطلب
البك ان لا تخلى عني لئلا يسوء مصري
واقعد الحيرة لا محالة

فاجابها المسترفوج
اني لا اتخلى عنك مها حماني امرك
من المشاق والمناعب وكبدني من النقعات
حتى نصلي الى كون كون
فقال باسبارتو

ان الباخرة تسافر من هنا عند الظهر
فقال فوج
وسنكون عليها قبل الظهر
وفي الساعة الثامنة ونصف سيقول
الى القاضي ومثلوا بين يديه

وبعد انعقاد الجلسة نهض كاتب
القيود واستدعى بالمسترفوج وباسبارتو
فاجاباه الى الدعوة ثم دخل صاحب
الحكمة ثلاثة كهنة من الهند ووقفهم في
بيرة المجلس فلما رآهم باسبارتو قال لرفيقه
(هؤلاء هم الالباسة الذين اردوا ان يحرقوا
الفتاة عائدة)

ثم قرأ الكاتب علنا نص الشكوى

فلم يسمعه غير الاقرار فحينئذ صدر الحكم وقراءه القاضي فاذا هو بنصه هكذا
(بما ان حكومة جلالة الملكة تشمل مجامعتها)
(جميع الهنود وندافع عن اديانهم على)
(السوء وبما ان ياسبارتو قد اقر بالجريمة)
(التي ارتكبها بدخوله الى معبد الصنم)
(ماليارهيل الكائن في مدينة بومباي)
(في اليوم الواقع في ٢٠ اكتوبر قد)
(حكمتنا على ياسبارتو بالسجن خمسة عشر)
(يوماً واداء غرامة قدرها ٢٠ ليرة انكليزية)
(وبما ان الموالي يسألون عما يفعل)
(خدمتهم فقد اعتبر المستر فوج ايضاً)
(مجرماً ولذلك قد حكمتنا عليه بالسجن)
(مدة ثمانية ايام وبدفع غرامة قدرها ٥٠ ليرة انكليزية)

وبعد تلاوة هذا الحكم طابت نفوس
وانقبضت نفوس فاهتز فيكس طرماً
وظفغ فواده سروراً لصدور الحكم على
المستر فوج بالسجن ثمانية ايام في مدينة
كلكتونا بحيث يتيسر له في خلالها تلقي
الاوامر من لندره بالقبض عليه اما ياسبارتو
فانه وقف في موقف الحزن والكمد بنذب
سوء حظه ويتنفس الصعداء وما همه سوى

فلما رأى ياسبارتو ذلك تذكر ما
كان ناسياً وحق به قلق شديد لم يستطع
اخفائه فانه علم ان موضوع الشكوى هو
دخوله الى هيكل الصنم ماليارهيل في
مدينة بومباي وليس محاولته خرق جدران
هيكل جيلاجي

مر بنا الكلام على ان البصاص فيكس
قد سمع ياسبارتو في محطة بومباي يقص
على مولاه ما وقع له مع كهنة هيكل
ماليارهيل فعمل على دس الضغينة في
افئدة الكهنة وحتم على اقامة الدعوى
امام الحكومة فاتحاً لهم باب الطمع في نيل
قدر وافر من الذهب ارضاء لهم فبعثوا
برسائل برقية الى حاكم كلكتونا ليلقي
القبض على فيلاس فوج وخادمه لحماية
ارتكبوها فنجعلت الحكومة تبحث عنها حتي
وصلا الى مدينة كلكتونا وكان الكهنة قد
وصلوا اليها قبلها لكونها اضاعا زمناً في
سبيل اتقاذ الفتاة عائدة ولم يكن لفيكس
من مأرب في ذلك الا اعاقه فيلاس عن
السفر مدة حتى يصله امر القاء القبض
عليه من ادارة عموم البوليس في لندرة
وسأل القاضي ياسبارتو عما يقول

الحكم على مولاه وزجه في السجن مدة ثمانية
ايام من غير ان يأتي منكراً او يقترب
ذنبا

واما فيلاس فوج فما ثار له جاش
ولا اختلج في صدره غيط كأن لم يحكم
عليه ولم يكن له دخل في الامر ولما عمد
الكاتب الى اعلان قضية اخرى لاستماعها
طلب المستر فوج الى القاضي الافراج عنه
بالضمانة فطلب منه القاضي دفع مبلغ
قدره الف ليرة قبل فوج ودفع القدر
المطلوب من السفائح التي تحويها جعبته
وخرج موعزاً للخدمة ان يتبعه فعند ذلك
التفت باسبارتو الى القضاة ومألم بغضب
ان يرجعوا اليه حذاءه فردوه اليه ثم تبع
مولاه الذي كان يخطر كالغيد ممسكاً
بساعد الفتاة عائدة غير مبال بما فقدته من
المال وكان فيكس يتأثرهم الى ان ركبا
عربة سارت بهم الى رصيف البحر حيث
ركبا صندلاً اوصلهم الى ظهر الباخرة
رائعون التي كانت على اهبة السفر الى
كون كون . ولما تحقق فيكس سفرهم
ضرب صدغه بيديه وخطب الارض برجليه
واطلق للسانه العنان شتماً وتجديقاً ومخط

الفصل السادس عشر

كيف ان فيكس تجاهل تماماً ما كان
يسأل عنه

لم تتوفر اسباب الراحة للسيدة عائدة
في الباخرة رائجون التي يبلغ ممولها الف
وسبعائة وسبعين صنّاً وقوتها اربعمائة

عائلتها الشريفة حديثها

كونها على ريب من لها

الرعاية في نزولها عليه في كون دور

وكان فيلاس فوج كله آذاناً مصغية

الى حديثها وهي تبدي من الدلال على

غير عدم ما كاد يجعلها صبا مستهماً

ولو لم يكن كما عرفناه من حيث التأثير

والافعال لا فتين بها واشتدت غيرته

عليها ولكنه لم يأف الهوى ولم ينق طعم

الصبا فتحول لذلك عن الافتتان بحال

هذه الغادة المحشاء الى الاعناء بامرها

وبلازمتها على قدر الامكان لثلا يدركها

الملل من العزلة وقد اقتصر على ان يظهر

لها الملائقة والمؤانسة من ضمن دائرة

الادب والاحشام

وكان باسبارتو قد اعلم السيدة

عائدة باخلاق المستر فوج وبما هو عليه

من غرابة الطباع وبأمر طوافه حول

الارض في ثمانين يوماً

وما زالت الباخرة تشق العباب

والريح طوعها حتى اشرفت على جزيرة

اندامان انني تنطح السحاب يجبالها العالية

وتتخللها فلولات واسعة شاسعة يظللها

حصان وتضارع الباخرة مونجوليه في

سرعة السير لا في تمام الاتقان والانتظام

وهي من بواخر شركة الوابورات الشرقية

المتخذة خطة مسيرها بين الصين واليابان

وتسير مدة اثني عشر يوماً تقطع في خلالها

مسافة ثلثة الاف وخمسمائة ميل وهي

المسافة الكائنة فيما بين كلكتوتا وكون كون

وقد قضت السيدة عائدة الابهام الاوائل

من سفر الباخرة في قص الاحاديث على

المستر فوج بما كان يذهب عنه الشجن

ونزيل عن قلبه الحزن معربة له من آن

الى آن عن مزيد امتنانها من اهتمامه بانقاذها

واعتنائه بها فانشرح باطف كلامها صدى

وقر بمحاسنها الفتاة عيناً

وقد كشفت له النقاب في خلال

الحديث عن حسبها ونسبها وذكرت له

لمعان تاريخ اعظم رجال عائلتها واقربائها

الذين نالوا نياشين الشرف من جلالة

امبراطورة الهند وجمعوا الاموال من اتجارهم

بالاقتان واحاطته علماً باسم الناجر

الشهير السير جامس جيمهورى المقيم في

مدينة بومباي ابن عم المكرم جيمى احد

اغنياء كون كون واعظم اقداراً وهو من

عن ارسال الامر القاضي بالقبض عليه
ولا سيما اذا بلغ كون كون ولم يلق الامر
المتنظر فان هذه المدينة هي آخر
حدود مملكة انكلتره في الهند فاذا تجاوزها
ودخل فوج ارض الصين او اليابان او
امر كاتندر عليه القاء القبض عليه بسهولة
فان شرائع هذه البلاد تقضي باطلاق
الحرية لكل متجني اليها من مرتكبي الذنوب
في غيرها الى ان تصدر عليه الاحكام بما
يستأهله من العقاب وبهذه الطريقة يتمكن
اللص من التخلص والفرار وتكون اعقاب
البصائر وتنقاه قد ذهبت ادراج الرياح
ومر على فيكس ساعات طوال
قضاها في حجرته بالباخرة متقلبا بين اليأس
والرجاء تائها في قفار الافكار والتصورات
واستمر كذلك الى ان حكم بانه اما ان
يتمكن من القبض على المستر فوج في
كون كون واما لا فانتم له الامر الاول
يكون قد بلغ اربه ومشتهاه ونال الشرف
والافتخار ولا فيكون مسعاه قد اخفق
ولحق به العار والشنار فلا يتجاوز تلك
المدينة في اختفاء اثر اللص
وكان في عزمه ان يكشف باسبارتو

شجر الفخل والخيزران وجوز الطيب
وغير ذلك من الاشجار الغضة التي تجلب
الاصار عن الابصار ووراء هذه الفلوات
سلسلة جبال عديدة ياوي منحدرها طير
السنة الذي يطبخ من لحمه الذلما كولات
في مملكة ابن السباء

وباسرع من لمح البصر اجازت السفينة
هذه الجزيرة ودخلت في بوغاز ((مالاغا))
المتصل ببحر الصين

وعند ما تحقق البصائر فيكس
مبارحة المستر فيلاس فوج لمدينة كلكوتا
امسى مصعوقا بصعقات الخيبة فتوجه الى
ادارة الضابطة واعلمها بعزمه على الذهاب
الى مدينة كون كون وطلب منها ان
ترسل اليه ما عساه ان يرد اليه من لندره
متعلقا بوجوب القبض على المستر فوج
ثم عاد الى المينا وركب صندلا فواصله
الى الباخرة راتخبون وهو في حال من
القلق والاضطراب لا يعلم شدتها الا الله
وقد اخذ يتنازعه عاملان هما بذل المستر
فوج للدنيار بمقاساته مشاق الاسفار
والخوف من فرار المستر فوج من بين
يديه اذا تاخرت ادارة البوليس في لندره

ان يذهب على غير طائل حتى اذا رست
الباخرة في مياه سنجا بور في اليوم التالي اي
اول نوفمبر رفع الامر الى حكومة كون كون
بسلك الاشارة البرقية وكلفها بالقبض على
المستر فيلاس وزجه في السجن لارتكابه
جريمة السبي وانتهاك الاعراض باغتيل
فتاة يسوقها امامه على غير ارادتها ويسوءها
الخسف والعار

وعزم فيكس ان يجتمع بياسبارتو
ويطارحه الحديث ليستطلع منه طلع الحالة
وقوفا على خبر الفتاة واصطحاب المستر
فوج لها فخرج من حجرته وصعد الى ظهر
الباخرة فالتقى بياسبارتو الذي لما حانت
منه التفاتة اليه اقبل عليه وحياه تحية
المشتاق بعد طول الفراق وقال له

— ما لي اراك على ظهر الباخرة العلك
تطوف مثلنا حول الارض في ثمانين يوما
فاجاب فيكس

— لا وانما قضت علي بعض البواعث
بالذهاب الى مدينة كون كون لاصرف
فيها بضعة ايام في قضاء بعض الحاجات
وكيف حرمته من انسك والطافك
في المدة التي مرت بنا من حين

بما خطر له الا انه خاف سوء العتي فامتنع
وشغل عن الاستسلام للناملات بالتعجب
والانذهال عند مشاهدته بجانب المستر
فوج فتاة حسناء تمس بحلة البهاء وتمجاذبه
اطراف الحديث فظن انها خليلته وانها
واعده بعد اقتضاح امرها على الاجماع في
ارض الهند حيث يكونان بمعزل عن
العادل والرقيب واية شجرة ما هزها الهواء
اي غصن ما حركه رياح

اي قلب لم ترمه عينان

وحاول البصاص فيكس معرفة من
تكون هذه الغادة الحسنة وابن ومتى
التقت بالمستر فوج حتى اذا ما دلته قرابين
الاحوال على كونها خليلته له مقيدة بعمل
سواه واغتالها يداه من حجر زوجها
افتنانا بحسنها وجمالها وشى عليه ودس
الدسائس واستلفت اليه انظار الحكومة
فتقبض عليه لتتحرى امره ويكون بهذه
الوسيلة قد التى في طريقه عثرات اوقفت
اطراد مسيره الى ان يرد اليه من لوندرو
امر القبض عليه

وكان البصاص فيكس شديد الرغبة
في الوقوف على حقيقة الامر ضنا بالوقت

— لا ولكنه سيسلمها لاحد اقرانها
 في كون كون
 فتكدر فيكس عند سماعه هذا الجواب
 وصرف باسنانه ثم دعا باسبارتو لتناول
 كأس مدام فقبل الدعوة وشرب الكأس
 على سر تلاقيهما في الباخرة رائحون

الفصل السابع عشر

في ضروب مختلفة من الكلام
 ومَرَّت ايام السفر من كلكتوتا الى
 كون كون وباسبارتو بلقي في خلالها
 بالبصاص فيكس على ظهر الباخرة
 فيصرفان الوقت في الحديث غير ان
 فيكس كان يتعاشى في حديثه الطويل
 والاسهاب لتلا بآتي غير مختار بما يشف
 عن ذات الصدور
 اما باسبارتو فكان يتأمل البواعث
 التي قضت على فيكس باتباع هذه الخطة
 من السير وراء فيلاس فوج وبما انه من
 طبع كل انسان ان يتأمل الاسباب
 ويأولها خطر لباسبارتوان فيكس انما
 هو مكلف من قبل اعضاء الكلوب في
 في لوندرو باقتداء اثر فيلاس فوج في

خروج الباخرة من مرفأ كلكتوتا
 — لان الم البحر الم في فكدر صفاء
 عيشي والثاني على فراش العناء انقلب
 بين اليأس والرجاء بسبب انحراف صحي
 ولكن قل لي كيف حال مولاك
 — في غاية ما يرام من العافية والتجراح
 في طوافه حول الارض في ثمانين يوماً
 وباليك تعلم من نصطب معنا
 — من من

— عادة حسناء تزرى بالشمس بهاء
 وبالبدر جمالاً وبالغصن اعتدالاً
 — عادة غادة ... فتاة .. فتاة ...
 و
 — اجل

ثم قص عليه ما توقع له في هيكل
 صنم بومباي واخبر بما قضى به عليه وعلى
 مولاة في مجلس كالكتوتا وسط له كيفية
 شراء الفيل واتخاذ الفتاة عائدة من
 الحريق فكان فيكس يسمع الكلام بتعجب
 واستغراب كأنه ليس على علم ببعضه وبعد
 فراغ باسبارتو من كلامه قال له فيكس
 — هل في عزم مولاك ان يستصحب
 هذه الفتاة الى اوربا

والخيزران وجوز الطيب التي يتفاء ظلالها
مئات من القروذ والغورة والفهود التي
تأتي تلك المراض من جهات مالاغا
بطريق البوغاز عائمة على وجه الماء

وبعد ان قضى المسترفوج والسيدة
عائدة مدة ساعتين في جوب الغيطان
يستنشقان النسيم عادا الى المدينة ذات
البنائات الشاهقة والقصور الجميلة التي
تكتنفها الحدائق من كل ناحية وصوب
بما يسر الخواطر ويقر النواظر

وكان باسبارتو قد خرج من الباخرة
الى المدينة سنجاور وبعد ان جال في اسواق
المدينة عاد الى ارضة البحر يتظر اباب
مولاه ولما ان وفد عليه مصحوباً بالسيدة
عائده دنأ من الفتاة وقد لم لها فاكهة كان
قد ابتاعها من السوق ثمراً يشبه التفاح
حررة ورائحة فتناولته من يديه واثنت عليه
وركبوا جميعاً صندلاً واحداً اوصلهم الى
الباخرة التي اتوها غاصّة بالركاب الخلفي
الاجناس من هنود وسيلانيين وصينييين
ومالين وبورتوغاليين وقد اقلعت بهم
بعد الساعة الحادية عشرة قاصدة جهة
كون كون التي تبعد عن سنجاور مسافة

رحله ليأتيهم بالبهاء الصحيح القاطع لقول
كل خير بكيفية اتمام الرحلة

وقد ساء باسبارتو لدى هذا التأمل
عدم ثقة رجال الكلوب بمولاه حتى انهم
الحقوا به جاسوساً سرّياً يرقب سيره ولكنه
ارتأى ان يكتم الامر لئلا يثير في مولاه
عامل الغضب

وما حلت الساعة الرابعة من صباح
يوم الخميس الواقع في اول نوفمبر حتى
اجازت الباخرة وانجوت بوغاز مالاغا
ورست في مياه سنجاور لنذخر الشم والشم
والماكل والمشرب . وكان رسوها قبل
ميعاد وصولها القانوني بست ساعات
رقمها المسترفوج في حقل الارباح من
دفتر رحله ونزل الى البر مستصحباً السيدة
عائدة وربما استوت قدماء على الارض
انتأجر عربة يجرها فرسان من خيول
هولانده فركبها مع السيدة عائدة والباص
فيكس يرقبها عن بعد فسارت بها في
جزيرة سنجاور بين الحدائق والرياض
والبساتين والغياض التي تجلو عن الفواد
صداء الكد حتى مرّت بها تحت ظلال
اشجار من النخل والقرنفل والفلفل

الشركة الشرقية^(١) وغيرها من بواخر شركة جولوجونده وكوريه نقصاً واختلالاً من حيث تجويفها واتساع دائرتها فانها لا تكاد تحمل سدس ثقلها حتى تغوص في الماء بخلاف السفن الفرنسية من سفن شركة الميساجيري والامبراطورية والكاميادج فانها تحمل بقدر ثقلها من المياه ولا تغوص

ولا تسل عن باسبارتو فانه كان يخدم غيظاً على مهندسي السفينة ويسلقهم بلسان حاد ويرمي عملها باسم التعنيف والتعريف ويشتم شركة البواخر ويدعو بالقطع على الالدي التي انشأتها والبحر الذي اقلها

وربما كان غيظ باسبارتو ناشئاً عن تذكره لمصباح الغاز الذي تركه موقداً في حجرة بشارع سافيل في لوندرة فشط عن الرشد لعله بانة لا يزال موقداً على نفقته ومل من طول السفر

وبينما كان ذات يوم على هذه الحالة من الضجر والقلق سأله البصاص فيكس

(١) التي تمخر مياه الصين

الف وثلثا ميل وفي بادئ سيرها كان الجو صافياً والهواء معتدلاً ولكنها لم تقطع بعض اميال حتى ثارت الرياح وازيد البحر وتلاطمت الامواج وهبت العواصف من الجهة الجنوبية الشرقية فهدت للسفينة سبيل السير السريع لا سببا بعد ان نشر الربان شراعها

ولم يكن من متعنى المسترفيلاس فوج سوى ان تمكن السفينة من الوصول الى كون كون في مسافة ستة ايام حتى يتسنى له السفر على الباخرة التي تسافر في ٦ نوفمبر الى يوكوهاما (احد مرافئ اليابان المهمة)

واشتدت ثورة الانواء على السفينة وهي تشق العباب حتى كادت الامواج المتلاطمة تبلعها فانها كانت ترفعها تارة الى ما يوازي ارتفاع الجبال الشاخنة وتخضعها طوراً الى اعماق اودية البه حتى انخلعت قلوب الركاب واضاعوا الرشد والصواب فاستلقوا على ظهورهم من اللع والحدوف وشدة الاهتزاز

وهنا محال للقول ان في بناء باخر

عن سبب كدره فأجابه

- اني سئمت من طول السفر

- هل في عزم المسترفوج ان يذهب

من كون كون الى يوكوها على اول
باخرة

- لا محالة

- هل انطلقت عليك خديعة في

هذه الرحلة الغريبة

- وعليك

- معاذ الله

- بالخداع . فعليك اذن ان

تستمر مرافقاً لنا في هذه الرحلة حتى تفرق

الفث من السمين وتميز بين الشك

واليقين

- اني عازم على ذلك اذا سمعت

لي الظروف ومكنتي الاحوال

- اظن انها تسمع لك بمبارحة

كون كون كما سمعت لك بالسفر من

بومباي والمخرج من كلكتوتا ولكن قل

لي ماهو الربح الذي تترجمه من هذه الحرفة

- تارة يكون كثيراً وطوراً يكون

قليلاً حسب الظروف ولكن لست في

هذه المرة مسافراً على نفقتي الشخصية

- اني عالم بذلك جيداً

قال هذا وضحك حتى استلقى

على قفاه

فتبين البصاص فيكس من ذلك

ان الشاب الفرنسي اطلع على امره ووقف

على خبره فراحه اتصال الامر بالمسترفوج

وعند انتهاء الحديث انطلق فيكس الى

حجبرته فدخلها مكتئباً معتبداً رأسه بين

بديه مفكراً في شأنه وفيما عسى ان يغذره

من التذاير بعد اخضاع امره . واستمر

كذلك الى ان خطر له ان يترصد ويتجسس

في تبادل الحديث مع باسبارتو في هذا

الشأن حتى اذا علم من سياق الكلام ان

بين الخادم ومولاه اتفاقاً على ارتكاب

السرقه نشط الى اقفاء اثرها واما اذا تحقق

فساد ظنه وبراءة المسترفوج اوقف مسيره

في كون كون

الفصل الثامن عشر

كيف ان كلا من المسترفوج وباسبارتو

وفيكس توجه في سبيله لتضاض

حاجاته

واشتدت على السفينة وطأة الانواء

يوكاها ما قد اقلعت اليها فيتوقف اذ ذاك
سفر المسترفوج اليها

وكان فيكس لدى هذه التأملات
غير مبال بما كانت يقاسيه من التعب
والعناء اما باسبارتو فكان شديد السخط
على هياج البحر العجاج وتلاطم الامواج
ويرتفع انفعالا من اسباب ذلك التأخر
ويهمزق بأسا من المحصول على المراد
وقنوطا من الوصول الى كون كون قبل
ان تسافر منها الباخرة المعينة للسفر الى
يوكوها ما كأنه نفس عاقد الرهان المعرض
لخسارة مبلغ العشرين الف ليرة

وكان تارة يتأمل ثورة العواصف
وهبوب الرياح فيتحول عن مصدر هبوبها
الى النظر في كيفية سير السفينة وحينما
يذهب الى ريان السفينة ليستعلم منه عن
وقت سكوت الانواء وآونة ينطلق الى
نوتية السفينة ويحثهم على الصبر والتجملد
واستمر كذلك الى ان وقف شاخصا الى
الفضاء لا ينطق بكلمة ولا يدي حراكا

وفي ٤ نوفمبر تغيرت الرياح وجاهت
ملائمة لاسير السفينة وسبحان مغير الاحوال
ومبدل العسر باليسر فهدأ روع باسبارتو

في الايام الاخيرة من سفرها لما اشتداد
فئارت عليها العواصف والزواج بمجة
لا مزيد عليها في ثالث ورايع نوفمبر
وتحولت الريح الى الجهة الشمالية الغربية
فحالت دون مسير السفينة ومنعتها من
الاستمرار على سيرها المنتظم فطوى ربانها
الاشرة ما عدا شراع الصاري الاوسط
لتنمکن من استقرار خطة سيرها على مهل
بحركة عشرة دوايب من الرفاص

ولا خفاء انه اذا دامت الحالة على
ما هي عليه من ازباد البحر وهياج الانواء
يتأخر وصول السفينة الى كون كون
مدة عشرين ساعة في الاقل وهذه المدة
كافية لان تحبط مسعى المسترفوج وترده
الى بلاده خاسرا خاسرا اذ ينقطع بها
خط المواصلات بين البواخر التي تسافر
من اماكنها في اوقاتها المعينة

ويقدر ما كان البحر مزيدا كان
البصاص فيكس فرحامسرورا بل كان
يبتهل الى الله ان يزيد عصف الانواء في
ذلك البحر العجاج لتتأخر السفينة عن
الوصول الى كون كون عدة ايام بعد
ميجادها المعين فتكون الباخرة المسافرة الى

يوكوهاما قبل سفر الباخرة منها الى سان
فرنسيسكو فان بين السفن التي تجاز
الباسيفيك عهداً قديماً بالواجبات التي
نشأ عما اذا حدث لاحداها تأخر عن
مواعيدها فتبسم المسترفوج سروراً وامتناناً
من التقادير التي احدثت هذا التأخر
غير المتظر لسفر الباخرة ثم شكر للرئيس
تعليماته الجلية وعاد الى حجراته في السفينة
اما باسبارتو فكان كله ساعة ذلك
الحديث اذناً مصغية فزاله عند سماع تلك
الكلمات كل وجل واضطراب ثم اقبل
على الرئيس فهزّ يده دلالة على التشكر
والامتنان

وفي الساعة الاولى بعد الظهر رست
السفينة في مرفأ كون كون فنزل ركبها
الى البر وكل منهم مشغول بشأنه متوقع
للوصول الى اريو

وبما ان السفينة كارناتيك المكلفة
بنقل البريد الى يوكوهاما لا تبارح مياه كون
كون الا في الساعة الخامسة من صباح
اليوم الثاني كان للمسترفوج فرصة ١٢
ساعة يقضيها في الاهتمام بشؤون السيدة
عائدة فنزل الى البر مستحباً اياها وانزلها

وعلى اهداب آماله بنواصي التقادير
ولكن السفينة قد ابطأت كثيراً في
المسير بحيث استحال عليها ان تبلغ يوكوهاما
في ميعادها المعين اي في ٥ نوفمبر . وقد
وصلت في الساعة السادسة من صباح
سادس نوفمبر الى مدخل بوغاز كون كون
فحضر اليها رئيس البوغاز ليتولى قيادتها
في الدخول الى المرفأ قصد ان تدخله
امنة شر الصغور

وعزم باسبارتو مراراً على الاستفسار
منه عن سفر البريد الى يوكوهاما ولكنه
كان يمتنع من ابداء ما لديه . فان شدة
الخوف كانت تجعله على الاعتقاد بان
سؤاله سيلقى جواباً يبيت فيه بقية الامل
فلبث لذلك يعافي الم الصبر اما المستر
فوج فدنا في خلال ذلك من الرئيس
وسأله عن بريد يوكوهاما فاجابه الرئيس
ان البريد جاؤراً عن ميقات سفره الى
الغد لان السفينة ((كارناتيك)) التي
كانت مزمنة ان تنقله الى المحل المعين له
طراً على بعض آلتها تعطلت مست
الحاجة الى اصلاحه قضت بآجيل
السفر الى الغد وانها لذلك ستصل الى

منك الاحزان ويجلو عنك صداة الاخبان
ثم التفت الى خادمه باسبارتو وامره
بان يذهب الى السفينة ((كارناتيك))
ويعد فيها ثلاث غرف مخصوصة فتوجه
باسبارتو الى السفينة مسروراً . اما الفتاة
فانشرحت بذلك صندراً . واقترب مبسماً
عن لؤلؤ دري بعد تقطب وجه خلته
بعد الانبساط بدرًا

لم يضحك الورد الا حين اعجبه
حسن الرياضة وصوت الطائر الفرد
كَأَنَّ فيه شفاءً من صباهه
تشفي القلوب من الاوصاب والكد
لا عذب الله الا من يعذبه
بسمع بارد او صاحب نكد

الفصل التاسع عشر

كيف ان باسبارتو اهتم بشأن مولاه
بقتضى عهدة تانكين المحقة جزيرة
كون كون بالاملاك الانكليزية بعد حرب
سنة ١٨٤٢ : ومن ذلك الحين جعلها
مهاجرو الانكليز محطة الرحال فعموا فيها
التجارة والصناعة وانشأوا فيها مرفأ تجارياً
واطلقوا عليه لقب ((مرفأ فيكتوريا))

في فندق ((الغلوب)) مشيراً الى خادمه
باسبارتو بالاعتناء بها ثم سار الى المدينة
التماس التعرف بخضرة المكرم جيجي احد
اقرباء الفتاة ليطلعه على ما كان من امر
نسيته ويسلمها له

ولهذا انصد توجه الى البورصة علماً
منه بان ((جيجي)) معدود من اعظم
تجارها ووجوه وجهائها وانه يسهل عليه
الاسترشاد اليه من اهل البورصة - ولما
بلغها استدل على احد سمسرتها فاستعلم
منه عن مقر جيجي المذكور فاجابه السمسار
انه بارح كون كون منذ عامين بعد ان
جمع منها مالاً لا تحصى ارقام ولا تحصره
اقلام فاخار الإقامة في اوربا وفي الغالب
انه استقر في هولانده

وبعد ذلك عاد المستر فوج الى
الفندق واخبر السيدة عائدة بما سمعه من
مبارحة نسيبها لمدينة كون كون فكان
من الفتاة ان لزمته الصمت حيناً ثم عمدت
الى الافتكار فامرّت يدها علي جبينها
الوضاح وسألت المستر فوج عما تجر به
فاوعز اليها بالسفر معه الى اوربا وقال
لها ان سفرك معي الى تلك الديار يذهب

السن لابسين ثياباً صفراء فرقيم بعين
الاتقاد ثم سار حتى بلغ دكان حلاق
فدخله ليحلق لحيته على الزي الصيني فعلم
فيه ان اولئك الشيوخ ما لبسوا تلك
الثياب الصفراء الا لانهم تجاوزوا حد
الثمانين

ثم عاد الى الرصيف لينطلق منه
الى الباخرة على قصد ان يتخذ فيها ثلاث
غرف وفقاً لاشارة مولاه فيوصوله الى
الرصيف ابصر عن بعد البصاف فيكس
بخطريته ونهاياً وعلى وجهه علام الارتيك
فدنا منه وسأله بقوله

— هل نذهب معنا الى امركا

— نعم

قال ذلك وصرف باسنانه كدراً
وغيظاً

فقال له باسبارتو

هلم اذن بنا الى السفينة لتتخذ فيها
اربعة غرف لنا

فاجابه الى ذلك وتوجه كلاهما الى
السفينة فاستأجرا فيها اربع غرف مخصوصة
ولما هما بالخروج اعلان لما كاتب السفينة
ان سفر الباخرة يكون في الساعة الثامنة

وهي واقعة عند مصب نهر كانتون على
مسافة ستين ميلاً من المدينة النورثغالية
ما كاد الكائنة على الضفة الاخرى من
النهر

وفي وسط كون كون تجري جداول
من المياه وفيها مستشفيات لذوي
الامراض والعاهات وثكنات للعساكر
ومخازن للبضائع وسرايات للحكومة
وطرقات وشوارع مبلطة على الترتيب
الهندسي وفي الجملة ان المدينة لا تخلوها
بروقها وانتظامها الاحدى مدائن الكونت
كانت او الكونت سيردي

وانطلق باسبارتو الى رصيف
(« فكتوريا ») وبداه في جيبه فاناخ فيه
الطبية واجال طرفه في الجغرافى سفناً
فرنسوية وانكليزية وامركانية وهولندية
وسفنات تجارية ودوارع خربية وزوارق
يابانية وصينية وغيرها ثم حول نظره الى
البرفرأى هوداج ومركبات واقواماً من
الصينيين واليابانيين والفرنجة يزدهون
في الطرقات اردحام الناس في كلكوتا
وسنغابور ونومياي وهي المدن التي مر بها
وشاهد عدداً من المشيوخ الطاعنين في

من مساء النهار لا باكراً كما سبق اعلانه
للركاب فشكره وخرجوا

ولما انتهيا الى الرصيف دعا فيكس
باسبارتو الى تناول كأس شراب في احدى
الحانات الكاثنة على الرصيف فقبل باسبارتو
الدعوة بمزيد الامتنان وسار مع فيكس
الى حانة قريبة فالتقا فيها قومًا يعاقرون
الخمرة ويشربون البيرة (البيرا) والكونياك
وقومًا يشملون بالافيون فيفتقدون الحس
والصواب ويستلقون على الارض سكارى
فعلم باسبارتو وفيكس اذ ذاك انهما
دخلتا حانة يجتمع فيها الرعاع لمدخين
الافيون التي تتنفع منه التجارة الانكليزية
في كل سنة بما يمين وستين مليوناً من
الفرنكات . فلحق الله حب الدينار انه
حامل للمروءة على ارتكاب المنكرات

وقد حاولت الحكومة الصينية عبثاً
ان تحظر على رعاياها شرب الافيون بالظر
الى ما ينجم عنه من المضار التي تسفم الاجسام
وتذهب بالعقول ولكن

لا تته عن خلق وتأتي مثله
عار عليك اذا فعلت عظيم
فان كبار رجال الدولة الصينية

يدعون الى شربه تداعي الجميع الى
القصاص فاقتدى بهم صغار القوم من
رجال ونساء وادموا على استعماله حتى
صار فيهم ملكة راسخة صعبة الزوال وحتى
بات من يحاول الامتناع من معاطاته
عرضةً لالام معوية لا تطاق

وبعد ان دخل فيكس وباسبارتو
الى هذه الحانة طلب فيكس زجاجة من
نيبيذ ((بوردو)) فاتاهم بها صاحب الحانة
فشر بها مع باسبارتو الذي اعجبه جودة
صنفها وبعد ان شرباها هم باسبارتو
بالذهاب ليعلم موله بميعاد سفر الباخرة
فامسك به فيكس وقال له
البث قليلاً لاحدثك برهة بشأن
مولاك

ـ تكلم

ـ هل اكتشفت على امرى

ـ نعماً

ـ احسنت فبني علي ان اشرح لك

بالنصيل كل

ـ لا لزوم لذلك فاني عرفت كل ما

تريد ان تقوله لي ولكن اولئك الأشخاص

قد كبدوا انفسهم من النقبت ما لا تطيق

ولا كلف الله نفساً فوق طاقتها
 - يظهر من حديثك أنك تجهل
 جسامه المبلغ
 - لا اجهل شيئاً فالمبلغ قدره عشرون
 الف جنيه
 - انت في خطأ معين فان قدر المبلغ
 خمسة وخمسون الف جنيه
 - خمسة وخمسون الف جنيه ...
 فاذا تقول ... هل تجراء المسترفوج
 على ... فاذن صار من الواجب ان
 استفزه للذهاب الى الباخرة حذراً من
 التأخر
 - أمكث قليلاً
 فجلس باسبارتو وعند ذلك طلب
 فيكس زجاجة من الكونياك ثم اخذ في
 الكلام فقال لرفيقه
 - اعلم ايها الصديق اني اود تأخير
 فيلاس فوج بضعة ايام في كون كون
 فاذا فرزت بهذه الامنية رجحت جائزة قدرها
 الف ليرة واعطيتك منها مائتين اذا
 ساعدتني على بلوغ اربي
 - ألا قاتل الله حب الانراء . كيف
 حرصوك اولئك الرجال على انبان هذا

المنكر . وكيف تأمل ان اساعدك والي
 في سبيل مولاي عثرات تؤخره عن اتمام
 الرحلة التي اراه الان يتما بكل صداقة
 واستقامة فاقطع عن غيك ولا تأمل
 مني ذلك
 - فمن هذه الاجوبة التي كانت تارة
 نصيب المرمي وطوراً تخطئ الموضوع
 ارتبك البصائر فيكس في امره وإزالة
 لارتيابه سأل باسبارتو قائلاً
 - من انا
 - انت جاسوس من قبل اعضاء
 ((كلوب ريفورما)) في لوندرو أرسلت
 لتتقني اثرأ وترقب رحلة مولاي وتلقي
 في سبيله عثرات الاعاقة
 - اخطأت اخطأت فاني ايها الصديق
 بصاص مرسل من قبل ادارة البوليس في
 لندرو فلما حدثت في ٢٨ ديسمبر سرقة البنك
 انني اضاع بها مبلغ خمسة وخمسين الف
 جنيه أرسلتني الحكومة الى مدينة السويس
 لاكتشف على الفاعل وهذه هي اوراق
 التي تثبت لك قولي وهذه هي علامات
 اللص المرسلة اليّ فانظر كيف انها مطابقة
 تماماً لهيئة مولاك - ثم قال - وقد رجح

ايضا

فاطرق ياسبارتو في الارض وجعل
يفتكر في مولاه ويراجع ما مرّ عليه من
احواله فما تبين له منها ما يشينه بل مرّ
عليه منها ما يستحق الثناء من اجله كاتخاذ
السيدة عائدة من مخالف المنون
وبعد ان فكّر برهة التفت الى فيكس
وقال له

— والان ماذا تريد

— اريد ان تساعدني في اعاقه مولاك
في كون كون مدة من الزمان حتى يرد
اليّ من ادارة الشرطة في لوندريه امر
القبض عليه

انك لسائلٌ غير محيب

ولماذا . فاني اتخشم معك مبلغ
الانفي ليرة الذي اقضيه من بنك الملكة
على سبيل المكافأة
فاجابه متعجباً

لا اخون مولاي ولو اعطيت
مال الدنيا قاطبة فاني ما لقيت منه سوى
المعروف والاحسان و... وقد عرفته
كريمًا محسنًا محبًا للخير و... واني من
ارض لا تنبت من يكفر بالنعمة ويحمد

لديّ الان يا ياسبارتو ان المسترفوج هو
اللس بعينه واثق من وجه العدالة
بهذه الحجة الساقطة وهي حجة الطواف
حول الارض في ثمانين يوماً

فضرب ياسبارتو الارض برجله
والمائدة التي امامها بيديه ثم التفت الى
فيكس بعين الغضب وقال له

— قد ساء ظنك بمولاي فهو اكثر
استقامة من كل من شب ودب . فقال
له فيكس

— من اين اتصل بك ان مولاك بمكان
من الاستقامة وانت لم تعرفه الا في اليوم
الذي تعبدت فيه بخدمته وظهر لك بهذا
المظهر اي الطواف حول الارض فلا
اخالك بعد ذلك الامشركا معه في
الجرمة حتى انك اكثرت من
ضروب الحديث فالتهمت حدة وذبت
تصوراً تخدعني بفصاحة لسانك وحسن
بانك وتفتي عن مولاك الشبهة وانالست
من محسنين الال ماء وينغدعون بظواهر
الكلام وما علت الان من احوالك
وبعد افحك عن مولاك اصبحت مشتبهاً
فيك فيحق لي لذلك ان اقض عليك

اهتم المسترفوج باعداد ما يحتاج اليه
 الفتاة من الملابس ومعدات السفر وذلك
 بعد ان قبلت ان توجه معه الى اوربا وكان
 قد تأمل الفرق الكاثن بين الرجل
 والمرأة من حيث قوة البنية والعزم ورأى
 ان من كان مثله يقدر ان يطوف الارض
 بجرباب في يده ويصبر على احتمال المشاق
 بخلاف السيدة عائدة فانها لا تستطيع
 الصبر على الضنك ولا الثبات على
 المصاعب فكانت لذلك تشكره بكل
 جوارحها على جزيل فضله واعضاء بها
 وبعد ان تجولا برهة عاد الى الفندق
 فدخلت الفتاة حجرة التماس الراحة وتتي
 المسترفوج غائصة في مطالعة جرائد التمس
 والايلوس ويراند لندن نيوز وقد فات الجمع
 الاول من الليل وهو يقرأ ولم يبال بتغيب
 خادمه فانه كان عالماً ان الباخرة لا تسافر
 الا في الغد وفي الصباح استدعى بخادمه
 فلم يجب فصرخ له الجرس مراراً فلم يجبر
 فظن انه نام في المدينة وانه ربما يلقي به
 على رصيف الميناء فاحتمل جعبته ووقف
 السيدة عائدة من نومها وخرج معها فركبا
 العجلة وسارت بهما الى رصيف الميناء وكان

المعروف و... و...
 فلم فيكس ان باسبارتو اكثر من
 تناول المسكر بما كان فوق الطاقة فطلب
 له زجاجة اخرى من الكونياك وملاءة
 المكاس منها ثم دفع اليه غليوناً مملوئاً
 بالاقيون فاخذه باسبارتو ودخن منه
 فلم يلب في ليه وغيبه عن الحواس ثم انطرح
 على الارض فاقد الرشد والصواب فسر
 البصيص فيكس بذلك وتركه في الحانة
 على حاله وتوجه بعد ان دفع عن المشروب
 وفي فواده حزازات

وسار وهو مفترض احد امرين اما
 ان المسترفوج لا يعلم بسفر الباخرة
 ((كارنايك)) في تلك الليلة فتسافر
 بذوته واما انه يعلم بميعاد سفرها فيسافر
 تاركاً خادمه في المدينة

الفصل العشرون

في ان فيكس تكلم مع المسترفوج مباشرة
 بينما كان البصيص فيكس والشاب
 باسبارتو مشغولين بالمحدث الذي تعلم
 كان المسترفوج والسيدة عائدة يخطران
 في شوارع المدينة طلباً للمنزلة والمخرج وقد

الوقت قد بلغ اذ ذاك حد الساعة الثامنة
ونصف من الليل

وكان المسترفوج موملاً ان يلقي
خادمه ويمجد السفينة على اهبة المسير فلم
يمجد الخادم ولا السفينة لانها كانت قد
سافرت في الليلة الماضية ولما خاب امله
نظرت اليه السيدة عائدة بقلق فسكن
خاطرهما وقال لها

— لا تقلقي فهاذا الامر عارض وما الامر
العارض الا سحابة صيف لا تلبث ان
تنتشع

وكان فيكس ورامها يرقبها من غير
انقطاع فتقدم الى المسترفوج وبعد ان
قام لديه بواجب التحية والسلام وجه اليه
الكلام فقال

— لعلك يا مولاي مثلي قد حضرت
بالامس على الباخرة رائنجون
فاجابه

— نعم ولكني ما تشرفت بمشاهدتك فيها
— نظرتني يا مولاي خادمتك عليها
— فسالته عائدة بتلهف

— ولين هو

— لا علم لي يا مولاي بمقره فربما يكون

قد سافر على الباخرة ((كارناتيك)) التي
اتمت تصليحاتها بالامس وسافرت بدون
ان تشعر المسافرين بتغيير الاجل الذي
ضربته لسفرها اولاً فانه كان يلزمه ان
يسافر عليها والان قضى على سفرها ان
اتربص هنا مدة ثمانية ايام حتى يسافر
البريد الثاني

— ونحن ايضاً كنا عاقدين العزيمة
على ركوبها فتأخرنا مثلك .

فلما طرقي اذني فيكس لفظ التأخر طمح
فواده سروراً فغبط نفسه على الفوز بتأخير
المسترفوج في تغركون كون مدة ثمانية
ايام علب النفس ان يرد اليه في خلالها
امر التبعض عليه من لوندرو

وبعد فترة من الزمان انطلق المستر
فوج بالفتاة عائدة واخذ يحضر على رصيف
الميناء املاً بأن يعثر بباخرة تكون مسافرة
الى بوكوهاما فتاخذه اليها

ولحقه فيكس خائف القلب نائه
اللب يقال الغم والكدر ويطلب من
الله تعالى المعونة والممدد على ذهاب ابائي
المسترفوج ادراج الرياح

وطاف المسترفوج مصحوباً بالفتاة

ويسافر به الى يوكوهاما فقال له فوج
 - اعطيك اجرة مائة ليرة عن رك
 ساعة واعطيك ايضاً جائزة قدرها ٢٠٠
 ليرة اذا اسرعت، في المسير ووصلت في
 الى يوكوهاما في رابع عشر الشهر الحالي
 فاضطربت في نفس الرئيس نار
 الطمع فهرع الى مظلة تشرف على البحر
 ليرى هبوب الريح وبعد برهة وجيزة
 عاد وقال للمستر فوج

- ليس من الصواب يا مولاي ان اتى
 بنفسى وبذاتك الكريمة وبسفيتي وعالمها
 في مهاوي الاخطار طعماً في المال فليس
 المخاطر محموداً ولوسلم فسفيتي صغيرة ولا
 تحمل اكثر من عشرين طنّاً والمسافة بين
 كون كون ويوكوهاما طويلة تبلغ الف
 وستائة وخمسين ميلاً ونحن الان في فصل
 يكثر فيه هبوب العواصف والزوايع وهياج
 الامواج في قلب البحر العجاج وليس امامك
 يا مولاي سوى طريقتين فاما ان تسافر
 الى ناجاساكي التي تبعد من هناك الف
 ومائة ميل واما ان تذهب الى شنغاي
 التي تبعد ثمانمائة ميل فقط وهذا لا يخل
 بحسابك لان يوريد امركا لا يسافر الى

عائدة مدة ثلاث ساعات متواليات بدون
 ان يجذب باخرة مسافرة الى يوكوهاما وبينما
 كان راجعاً يخفي حين اقترب منه احد
 رؤساء السفن وبعد التحية قال له
 - لعل مولاي يبحث على سفينة
 - اصبت وهل لديك ما اطلب
 - نعم لدي سفينة رقم عليها ٤٣٥
 تقطع في الساعة مسافة ثمانية ايام او تسعة
 اميال فتفضل وانظرها
 فسار معه وبينما هما سائران سأله
 الرئيس

- اظنك تطلب التنزه على ظهر البحر
 - لا وانا اقصد السفر الى يوكوهاما
 فوقف الرئيس موقف المذهل ثم حملت
 بعينه في المستر فوج وقال
 - اما زح انت بما تقول
 - لا وكيف ظننت اني امزح فان
 اشغالي تضي علي ان اكون في يوكوهاما
 في ١٤ الشهر الجاري وقد فاتتني امس
 الباخرة كارناتيك وسافرت على غير
 علم مني بسفرها
 فلما سمع رئيس السفينة مقاله اغلدر
 اليه على كونه لا يستطيع ان يلي طلبه

كيف تترك باسبارتو ولا تسأل عنه
وتحت رحمة من تتركه

سافعل لاجله ما يمكنني ان اقوم به
قال هذا وانطلق معها الى مركز
الضابطة فاعطى مأمور الشرطة علامات
باسبارتو وترك له عنده مبلغاً من النقود
يكفي لنفقات سفره الى الاوطان ثم توجه
الى القنصلية الفرنسية فاعلم القنصل بما
اجراه متعلقاً باسبارتو وعاد الى الفندق
ومنه الى المينا وكانت السفينة تانكادير
مستعدة اذذاك للسير

اما السفينة فباخرة صغيرة محمولةها
عشرون طنّاً محكمة الصنع طويلاً وعرضاً
سريعة السير تامة النظافة يلمع نحاسها
كالشمس وسطحها ابيض كالعاج وهي
ذات صارين منخبيين قليلاً الى الورا
وكاملة المعدات من قلوب ورجال
ومستهدفة الى الرياح من الورا وقد
حازت قصب السبق والجوائز العديدة
في سرعة السير على سائر ما مثلها السفن
وتؤلف هيئتها من صاحبها واربعة
اشخاص اخرين اقوياء واشداء خبيرين
في فن الملاحة عارفين بالطرق البحرية

سان فرنسيسكو من يوكوهاما بل من
شنغاي رأساً ويعرج في طريقه على
ناجاساكي ويوكوهاما فقال له المسترفوج
— هل انت متأكد ذلك

— نعم اني متأكد جداً
— ومتى ييارح البريد شنغاي
— في الساعة السابعة من مساء ١١
الشهر الحالي واذا خدمتنا الريح تمكنا من
الوصول اليها في هذا الميعاد بانن الله
— ومتى تسافر

— بعد ساعة واحدة
— وانت صاحب السفينة
— نعم يا مولاي انا جان بوسي صاحب
السفينة تانكادير
— اتريد عربوناً
— نعم اذا حسن لديك
ها ٢٠٠ ليرة

ثم التفت الى الورا وقال للبصاص
فيكس اذا اردت السفر معنا ففضل فقال له
— شكراً لمعرفك وجيالك ومتى الرحيل
— بعد نصف ساعة

وقلقت السيدة عائدة لغياب باسبارتو
فالتفت الى المسترفوج وقالت له

مسيرها حانت من المستر فوج والسيدة
عائدة الثقاتة نحو البر ليدرو ما اذا كان
باسبارتو على الرصيف فيستدعون به
ولحسن طالع فيكسر لم يكن باسبارتو في
الجهة التي انفت إليها فوج وعائدة
وما لبثت السفينة بعد ذلك ان
ثارت عليها الريح فسارت تشق العباب
باسم الله مجراها

الفصل الحادي والعشرون

كيف ان صاحب الباخرة تانكادير
خاطر بنفسه طمها بجائزة مائتي ليرة

وكانت هذه السفرة محفوفة بالمصاعب
والاخطار محدقة بها من كل جانب
خصوصاً وان السفينة صغيرة ومحبوها
٢٠ طناً وامامها مسافة ثمانمائة ميل تجازها
في فصل يشتد فيه هياج بحر الصين
وازياده مع تعادل الليل والنهار في
شهر نوفمبر

وقد كان الاجدر بصاحب تانكادير
ان يذهب بركاب سفينته الى يوكوهاما لان
سفينته مأجورة بالمياومة ويقدر ايام السفر

والمسالك المودعة الى الجهات المطلوبة
اما صاحب السفينة جان بوسي فهو رجل
ناهر الخمسين من العمر شديد البنية عالي
الهمة حاد النظر تلوح عليه مخائل الشجاعة
وعلائم الذكاء اسم اللون من مؤثرات
اشمس اثناء الاسفار

ونزل المستر فوج والسيدة عائدة
الى السفينة فوجدا عليها البصاص فيكس
وبعد مبادلة التحية ساروا جميعاً الى غرفة
في مؤخر السفينة مربعة الزوايا تقست
جدرانها بشعشع مستديرة وفيها مقعد
للجلوس وفي وسطها مائدة فوقها مصباح
صغير ورينما استقر بهم المقام التفت المستر
فوج الى فيكس وقال له

— اعذريا صاحبي فما الجود الامن
الموجود

— فطاطاً له فيكس رأسه احشاماً
ثم قال في نفسه

— يا لك من لص توفرت فيه شروط
الاداب

وفي نحو الساعة الثالثة والدقيقة ١٠
نشرت اشعة السفينة وخفت فوقها العلم
الانكليزي فسارت والريح تغدها وقبل

فيرتدش قلبها وتنظر الى السماء فتري فوق
رأسها اشرعة بيضاء تخفق خفوق النواآد
الولهان من حر نار الهجران

واقبل الليل فنشر فوق الافق خيام
الظلام ثم لاح البدر فتحلى في كبد السماء
وانار ظلمات الفضاء ولكن نوره كان
ضعيفاً لانه كان في المنزلة الاولى من
لياليه ثم اخفى عاجلاً وراء الشفق اخفاه
البرق بعد وميضه

واعد صاحب السفينة المصايح وشلتها
على حبال السفينة موقدة فانارت طريق
السفينة تفادياً من الاصطدام

وكان فيكسر ملازمًا للعلوة طالبًا
الانفراد معتصماً بالسكوت علماً منه بأن
المستر فوج قليل العلاقات والصلات
يأبى قتل الاوقات في قص القصص
والحكايات ولو مها كان موضوعها جليلاً

وكان قد امتعض من اسراع السفينة
في السير لانه موافق لرغائب فوج فناجها
ان قفي او سيرى الهويناء ولم يكن يرتاب
في تقاعس رجل الرحلة عن السير متى
بلغ يوكوها ما بل كان واقفاً بمبارحته لما
على القوبر وتوجهه الى سان فرانسيسكو

يتناول الاجرة الا ان الغفلة ارخت على
عقله برقع الجهل فلم يسلك طريق الكسب
والانتفاع شأن من لا يفرق بين النفع
والضرر او بين الحلو والمر فاقصر على
السفر الى شتغاي دون سواها وربما كان
مصيباً في عدم انقياده للطبع ولكن سفيته
كانت طافية فوق الماء كالعشب الاخضر
وقد قضت السفينة في اجنيز بوغاز
كون كون بقية اليوم الذي سافرت فيه
وكانت حركة مسيرها سريعة ولما دنت
من سطح البحر استدعى المستر فوج
بصاحبها وقال له

— اعلم اني قد شدت قصور آمالي على
هتك وعقدت نواصي الاماني على عظام
جذك واجتهادك فلا تخيب فيك رجائي
فانهب البحر في السير نهبا وطربس فيبتك
فاجابه

— مولاي ساخلص لك الخدمة واسير
السفينة على قدر ما تسع به حالة الريح
وزيادة

— وكان فوج وفتند ينظر الى البحر
متأملين تلاعب الامواج فيه وكانت السيدة
عائدة جالسة وراءه تنفوس في الاوقيانوس

وعند منتصف الليل انطلق المستر
فوج والسيدة عائدة الى الغرفة التماس
الرفاد وتبعها فيكس للغاية نفسها وبات
الربان وملاحوه مكتحلين بالسهاد
يرعون نجوم الليل ويرقبون هياج البحر
واستمروا كذلك الى ان اتلج الصبح ونجحت
الغزالة باشعة انوارها الساطعة وكانت
السفينة قد اجازت أكثر من مائة ميل
بمعدل سيرها من ثمانية الى تسعة اميال
في الساعة (حسب ارشاد الاسلاك المنصوبة
في البحر للدلالة على القياس) بحيث اذا
لبثت الريح تخدم السفينة على هذا المتوال
بلغ المستر فوج مرامه وادرك صاحب
السفينة مراده وتال الجائزة التي وعد بها
وعند الظهر سكنت الريح مدة ساسنين
ثم ثارت واستأنفت الهبوب من ناحية
الجنوب

وكان المستر فوج والسيدة عائدة
ياكلان نقابلية عظيمة وما ذلك الا لجودة
هواء البحر وبينما كانا يتناولان بعض
الماكل كالحبز السكري وغيره دعيا فيكس
لتناول الطعم ام معها فاجاب الدعوة
شاكراً ثم تناول شيئاً يسيراً باطراف بنانه

فقطاً قدمه ارض امركا فيخلو له الجو
فيبيض ويصفر افعلاً بجمل الهناء جأراً
مطارف الصفاء وقد طاف ثلاثة ارباع
الكرة ليلغها ناعم الببال لا يلقى في طريقه
عبوناً بخلاف ما لو جاءها عن طريق
الولايات المتحدة فتحدى به الانظار ولا
يمكن من الفرار وقد حتم فيكس على
نفسه الا بفارقة ايان ساروا الا يتعد عنه
مسافة قاب قوسين مخافة ان يمارى عن
العين وقد حمد الله على انفصال خادمه
باسبارتو عنه وتقال بافترقه عنه خيراً
وقد كان غياب اسبارتو لدى سيده
والسيدة عائدة باعثاً على القلق والارق
فصرفاً قسماً من الليل في التفكير بشأنه
وتخمين الحالة التي صار اليها وما سكن
جأشها من قبله الا حين رجع لديها
امكان سفره على الباخرة كارناييك الى
بركها ما حيث عللا الامل بلقائه

وما حلت الساعة العاشرة حتى
عصفت الريح فتفتحت اشعة السفينة
وزادت مسيرها بما حمل صاحبها على
الخوف عليها من غدرات الامواج فاهتم
لذلك باتخاذ الطرق والتدابير لوقايتها

بأوفر سرعة املاً في الحصول على الجائزة
المهودة وكلما مرت دقيقة كان يفتقد الحبال
وبشدها ويعرض الاشرعة للرياح وعند
المساء علم الریان من اسلاك القياس في
الماء ان السفينة قطعت منذ مبارحتها
لكون كون مسافة مائتين وعشرين ميلاً
وقد تقال المسترفوج خيراً من
سير السفينة بهذه السرعة وايقن انه يبلغ
يوكوهاما بدون تقديم او تاخير يرقه في
جريدة رحلته

وفي نحو غلس ذلك الليل دخلت
السفينة بوغاز فوكيان الذي يفصل جزيرة
فورموز عن حدود الصين في منتهى دائرة
الاتقلاب وكان البحر مزبداً في ذلك
البوغاز والامواج تتلاعب بالسفينة فتقبل
بها ذات البين وذات اليسار بحيث
لا يستطيع من يكون عليها ان يلبث واقفاً
على ظهرها

وعند الصباح سكنت الريح فخبين
الرئيس تغييراً في الهواء وتبدلاً في الجو
فعمد في الحال الى ميزان الوقت ليستعلم
منه عن العوارض الجوية فوجد في حركته
اليومية غير الدقة الاعتيادية اذ رأى فيه

وامسك عن الأكل لانه كان قد استصعب
ان يسافر على نفقة المسترفوج ويتغذى
من غذائه ثم يخونه متى تمكن من القبض
عليه وبعد الفراغ من تناول الطعام
خطر لفيكس ان ينفرد بالمسترفوج فانفرد
به وقال له

— مولاي . لقد تكلمت عليّ وانا شاكر
لفضلك ذاكر لجميل لطفك واما الان
فاظن ان لا تسع لي ان اقابل فضلك
بمثله فاعذر واسمح لي ان ادفع ما يصيبني
من النفقة فاجابه فوج

— لا شيء يستحق الذكر لاني دعوتك
فقبلت دعوتي واجبت فشكري لك واجب
وثنائي عليك ضربة لازب

ففي لسان فيكس عند هذا الجواب
بالخوس ثم سار الى مقدم السفينة وصرف
نهاره بدون ان ينطق بكلمة

وفي مدى ذلك اليوم تقدم الرئيس
جون للمسترفوج دفعات متوالية فكان
في كل دفعة يشره ببلوغ ارب الوصول
الى شنغاي في الاجل المضروب

ولا تسئل عن خدمة السفينة فانهم
كانوا باذلين الجهد في تسيير السفينة

— اهلاً بالزوجة الشمالية فانها تدفعنا

الى الامام

فقال الرئيس

— انا كنت تترحب بالريح المعاكسة

لنا فاعليّ سوى ان انا اهل بها على الرحب

والسعة

قال المؤلف — اما الزوابع في بداية

هذا الفصل من العام فتمر فوق البحار

باسرع من لمح البصر وتعدّر الى الحق

انحدار الاشعة الكهربائية الى الارض او

انحدار الشهب وانحدافها وقد يخشى من

شدة هبوبها في فصل تعادل الليل والنهار

فانها تكون اشد وطأة فيه من اشتدادها

في غير اوقات

ودفعاً لوثبات الريح عن السفينة

وخوفاً من ان تزجها العاصفة في اعماق

الم طوى الرئيس قلوبها ما خلا قلع

واحد صغير مثلث الشكل ابقاه منشوراً

حفظاً للدفعة من التأخر الى الورا ثم

خفف الصواري وجعل لوحاً فوقها كغطاء

لها لئلا تنفذ اليها المياه وجملة القول انه لم

يدع وسيلة الا استخدمها في سبيل وقايتها

وقد حذر على المسافرين الخروج

ارتجاجاً عظيماً في الزئبق فحوّل عنه النظر

الى البحر فرأى على ظهره هياجاً وفي قلبه

اضطراباً بادياً من الجهة الجنوبية الشرقية

ورأى اشتداداً في الامواج وتجمعاً استدل

منها على قرب هبوب عاصفة شديدة

فان الشمس بالامس كانت قد غربت

وراء سحابة حمراء في وسط امان فوسفوريك

الاقويانوس

— فساء الرئيس تبدل الهواء وانتلاب

الريح على سفينة شر انتلاب فصرف

باستانه وقذف من بينها الناطا سمعته

الاذان وما وعته الاذهان ثم ندم الى المستر

فوج وقال له

— مولاي لقد تقلبت الريح علينا واخذت

نعا كسنا في المسير واماننا على ظهر البحر

زوجة شديدة

فقال فوج

— ومن اين مصدرها . امن الشمال

ام من الجنوب

— فاجاب الربان

— من الشمال . وقد رأيتها تتجمع كيش

يستأنف القتال بعد طول التزل

فاجابه فوج

فيكس خوفاً وارتعدت فرائصه رعدة
وجزعاً اما عائدة فكانت تحاول اخفاء
خوفها وتظهر البسالة والثبات وترمي
المستر فوج بلحظ الانتقاد فلا ترى منه
غير الرصانة وقلة الاكتراث بهياج البحر
كأنه لم يكن لديه امر اذا مال

وما برحت السفينة سائرة مع طيار
العاصفة والرعد يهزم والمطر يجمع والبرق
يلمع حتى اشرفت في صباح ١١ الشهر على
بقعة من الارضين تبعد عن مدينة شنغاي
مائة ميل بعد ان اشرفت على الفرق
مراراً

وما بقي على السفينة بعد وصولها
الى تلك البقعة الا ان تقطع المسافة
الباقية في مدة ذلك اليوم فنشر الرئيس
الاشرعة ورفع الصواري وشد الحبال
وأطلق للسفينة العنان فسارت كما يشاء
الريح لا كما يجب حتى صارت عند الظهر
على بعد اربعين ميلاً من شنغاي وهي
مسافة تستطيع ان تجازها في سبت ساعات
من الزمان

على ان هذه المدة كانت بمثابة الهم
واعوام لدى الرئيس ونوتية السفينة وقد

من غرفتهم لثلاث يروعهم منظر الزوينة
الهائل وبما ان الغرفة كانت ضيقة
الجنائب وقليلة الهواء ابي المسافرون ان
يمثلوا لاشارة الربان فليثول جالسين على
ظهر السفينة

وعند الساعة الثامنة اشرايت اعتناقهم
الى السماء فראل الجو مظلماً والغيوم سوداء
والغيث يهيم والبالاً متدفقاً كافواه القرب
وقد هبت العاصفة وحجبت الرعود
القاصفة ولادت سيوف البرق على صفحات
الافق فطارت السفينة بغير جناح من
شدة الرياح وارتفعت في الفضاء ارتفاع
الريشة في مهب الريح واذا قلنا انها كانت
سائرة بأسرع من سير سفينة بخارية باربعة
اضعاف نكون قد بخسناها حقها

وقد لبثت طول النهار سائرة نحو
الجنوب ومن شدة تضيق العاصفة عليها
اوشكت على الفرق نيفاً وعشرين مرة
ولولا حذق رئيسها وادارته للدفة بزيد
الدريفة والاتباه لغرفت وراح فوج وعائدة
وفيكس فريسة الاسماك

وكانت المياه ترتفع فوق السفينة
جبالاً شاذجة حتى انخلع من هولها قلب

ولكنه لم يأت بفائدة وإخيراً اطلق مدفعاً
كان في مقدم السفينة فراح دويبه مع الهواء
بدون أن يترتب عليه نفع ما

الفصل الثاني والعشرون

كيف أن باسبارتو احس بضرورة الديار
في تلك الديار

في الساعة السادسة ونصف من مساء
سابع نوفمبر غادرت الباخرة كارباتيك
مياه كون كون وسارت على ارجحة البحار
تشق قلب البحار قاصدة جهات اليابان
وفيها كمية وافرة من الارزاق وعليها عدد
عديد من الركاب ضاقت دونه غرفها
وفسحاتها ما عدا حجرتين كانتا برسم فيلاس
فوج والسيدة عائدة

وعند الصباح خرج باسبارتو من
غرفته الكائنة في الدرجة الثانية وخرق
صفوف المجموع حتى وصل الى متعد
جلس عليه وكانت قدماه ترتجفان وعيناه
زائغتين ورأسه مستلق الى الوراء فاندهل
الركاب من حالته وشدة كرمه واخذت
بعضهم الشفقة عليه ومنهم من سخروا به
وضحكوا منه

تمنوا ان يقطعوها بسفيتهم طيراً لو
استطاعوا وذلك خوفاً من تاخر وصولهم
الى المدينة عن الاجل المضروب فيضبعوا
جائزة المائتي جنيه التي وعدوا بها والمحق
يقال انهم ما تركوا وسيلة اثناء السفر الا
عمدوا الى استخدامها تسييراً للسفينة بالسرعة
المطلوبة حتى اذا لم يدركوا الرغائب يكون
فلك من نكد الطالع وليس في الامر من
توان وإهال

وعند الساعة السادسة صارت
السفينة على بعد عشرة اميال من ميناء
المدينة وحلت الساعة السابعة وهي على
بعد ثلثة اميال فيمشد قد الربان الصبر
والجهد وتولاه اليأس والقنوط قطع الرجاء
من بلوغ المراد وقد نظر الى السماء فرأى
وجهها قد غشيه دخان حالك السواد
فغفر فاه وقذف منه الشنائم والتجاذيف
فسأله المسترفوج عن سبب كدره وغيبظه
فاجابه ان البريد اقلع الان من شنغاي
فانظر الى دخان السفينة فقال له فوج
ارفعها الاشارات وراية الاستغاثة والضيق
فلعلها ترى ذلك تنقف لاستطلاع الخبر
ففعل الربان ما اوعد اليه فوج بفعله

على ظهرها اذائه كان لا يستطيع قبل
قدميه ولا يبي شيئاً

فلما رآه عمال السفينة على تلك
الحالة احمَلوه الى غرفته الكائنة في الدرجة
الثانية فرقد فيها ولم يستيقظ من رقادهِ
الا في الغد اي بعد ان اجعدت السفينة
عن كون كون مسافة مائة وخمسين ميلاً
هذا ما مرَّ على ياسبارتو الى الصباح
الذي خرج فيه من غرفته كما تقدم القول
الى ظهر السفينة وجلس على متكأ وطلق
يتذكر ما حدث بينه وبين فيكس في تلك
الحانة ويخاطب نفسه قائلاً

— ما افجع السكر وما اوخم عواقبه
فانه يضر بصحة الابدان ويحبط من شأن
كل انسان ويلحق بتركبه العار والبشارة
والهوان والاحقار فوا خجله من مولاي
فماذا عساه ان يقول ولكن ((لا تكرهوا
شيئاً لعله خير لكم)) فهذه امثلة يستخدم
نفعها مدى العمر وما فيكس الذي حاول
ان يفرقني عن مولاي بما فعله معي من
الامور المنكرة فقد رد الله كيده في نحره
وسهل لي سبيل الحضور الى ظهر الباخرة
قبل سفرها وانقذني من شر ذاك

واني الزم لك ايها القارئ جانب اليجاز
في الكلام واتلو عليك ما وقع لياسبارتو
حتى انه بات على تلك الحالة

مرَّ بنا الكلام ان البصا ص فيكس
بعد ان حمل ياسبارتو على الاكثار من
شرب الخمر حتى كاد يفيب عن المحواس
ناولته غليوناً من الافيون فتعاطاه الى ان
اندس في رأسه سم مفعوله اثنال فخر على
الارض صريعاً فاقد الرشدا والادراك

ومضى عليه ثلاث ساعات طوال
وهو على هذه الحال من الانهيار ثم افاق
قليلاً فرأى نفسه على سرير من العاج
بلان اقوام لم يبق الافيون فيهم ولم يذر
مخجل من حاله وتذكر الباخرة كارنايك
فنهض من مكانه وحاول المسير وما زال
بين نهوض وسقوط وقيام وقعود حتى
خرج الى ما خارج الحانة فصرخ
((كارنايك)) ((كارنايك))

قال المؤلف . وكانت السفينة
راسية على مقربة من الحانة التي كان
ياسبارتو واقفاً امامها وكانت اذ ذاك على
اهية السفر فنشط ياسبارتو للذهاب
اليها ولا نعلم باي طريقة بلغها فانطرح

فلم يفتح لهبطه منه وسخطه عليه فاوشك
 ان يقع على الارض غائباً عن الصواب
 ولكنه تجلد فسكن جاشه وكرر قرع
 الباب ثم فتحه فلم يجد مولاه من داخله
 فخطر له انه ربما يكون قد لقي انساناً على
 شاكلته مغرمين بلعب الويست فراح
 يقتل الاوقات معهم بهذا اللهو وظن ايضاً
 انه ربما كانت السيدة عائدة لم تنق من
 نومها حتى الساعة فانطلق الى قاعة السفينة
 الكبرى فلم ير مولاه فيها فقصد فراش
 الباخرة يسأله عن مولاه فاجابه انه لا يعرفه
 فقال له ان مولاي طويل القامة اشقر
 اللحية قليل العلاقات بالغير تصعبه فتاة
 حسناء وهو يعرف باسم المستر فوج فاجابه
 الفراش لم اعرف هذا الاسم بين الركاب
 كما انه لا يوجد عندنا رجل تصعبه فتاة
 حسناء او شعاء وهاك دفتر اسماء المسافرين
 فانظر فيه ما اذا كان لمولاي اسم بين
 ركاب السفينة

فتناول باسبارتو الدفتر بيديه واخذ
 يقرأ ويكرر قراءته فلم يعثر على اسم مولاه
 فيه فتوهم ان السفينة ربما لم تكن نفس
 السفينة المعروفة باسم كارتانيك المسافرة

اللعين فيكس الذي لا اشك في كونه
 اتى الى الباخرة لكونه صار بما رأيته منه
 في حالة لا يجسر بها ان يرني وجهه
 المنقوت ولكن هل من الصواب ان اعلم
 مولاي بما وقع لي معه او بما كان في نيته
 ان يجربه اضراراً به فكيف هو يقتني اثرا
 وباية حجة فلا لا . فلربما اكد منه المخاطر
 وارجع منه البال فالافق والافضل ان
 اطلمه على هذا جميعه متى وصلنا بالسلامة
 الى لوندري فانه لا شك يضحك من جراه
 ذلك حتى يستلقي على قفاه واما الان
 فمن الواجب ان امثل بين يديه واعتذر
 له عن سوء سلوكي واقول له اني تبنت
 الى الله فان الله ثواب كريم

ثم قام لساعته وانطلق الى حجرة مولاه
 في موءخر الباخرة وهو في حالة لا توصف
 من الجزع والاستحياء لا يعرفها الا من
 يعانيها او يقع في مثلها ولما وصل اليها لم
 يجدها ان يقرعها بل وقف شاخصاً الى
 بابها ينتظر انتظار المتهم لقضاء المحاكم .
 واستمر كذلك وقتاً طويلاً الى ان اندفع
 الى الباب فترعه فلم يجبه احد من داخله
 فظن ان مولاه علم انه هو قارع الباب

الى يوكوهاما فسأل الفراش بقوله

— ما اسم السفينة

— كارناتيك

— والى اين ذاهبة

— الى يوكوهاما

فلمّا تحقق ياسبارتو عدم وجود مولاه في السفينة اطرق في الارض وتذكر ان كارناتيك اقلعت قبل الميعاد الذي تحدّد لسفرها وان ليس لمولاه علم بذلك فلام نفسه حتى سقط على الارض مغشياً عليه

وبعد مدة افاق من غشيانه وطفق يندب سوّ حظه ويتف شعور رأسه ندماً على ما جناه على نفسه ويلطم خديه ويرفس برجليه ويتوعد فيكس بالموت الزوام اذا وقع بين يديه ولعمري ان اقلام افصح الكتاب لتعجز عن شرح حالة ياسبارتو وما استحوذ عليه من الغم عند ما علم بعظم خطائه وما سيلحق بمولاه من الخسارة بسببه وبعد ان قضى حيناً من الزمان مستسلماً للحنن مستهدفاً للكروب عاد الى الصواب وتأمل الحالة التي وصل اليها ولم يكن يجسد عليها اخذ يكي بكاء مرّاً

ويرسل الدمع من عينيه سبلاً عروماً على سوّ مسيره وشوّم مصيره فانه كان سائراً الى اليابان صفر اليدين لا يملك درهما ولا يعرف فيها احداً من الناس وفي غلس الثالث عشر من الشهر السابق الذكر دخلت السفينة (كارناتيك) ميناء يوكوهاما المعدودة من مين الباسيفيك والمعروفة مرسى لجميع البواخر القائمة بخدمة البرد بين امريكا الشمالية والصين واليابان وجزائر ما ليزيا اماموقعها في جون يادرو وهي اعظم مدائن مملكة اليابان وقد كانت كرسي الملك على عهد الملك كايكون قرية من المدينة الشهيرة مياكو التي يقطنها الملك الروحاني ميكادو الذي يعتقد به اليابانيون منزلاً من السماء

ورست ((كارناتيك)) بالقرب من رصيف يوكوهاما وقبالة الجمرک ومخازنه وفي وسط سفن كثيرة تخفق فوقها اعلام جميع الدول

وبعد رسوها خرج ياسبارتو الى البر واندفع هائماً في مسالك المدينة هيام عين الناظر بادھش المناظر وسار في طرق لا يعرفها لغاية لا يدركها حائر الفكر

المارة

وكانت تلك الطريق موهدة الى المدينة
يطرقها المارة ذهاباً وإياباً من غير انقطاع
وقد رأى فيها باسبارتو حفلات زفاف
وكثيرة يضربون الطبول وجنوداً من
حرس الجمارك يبيع مرصعة بصمغ اللك
يتقلد كل منهم سيفين ورأى فيها ايضاً
جنوداً لابسين اردية زرقاء من المنسوجات
القطنبية عليها شريط ابيض ومقلدين
البنادق ورجالاً آتين من مدينة ميكادو
مدججين بالسلاح وعلى رؤوسهم دروع
حديدية ورأى جنوداً من جميع الصفوف
والدرجات العسكرية لان وظيفة الجمدي
عند اليابانيين وظيفة شريفة يدعى اليها
الناس بخلاف الصينيين فانهم يحقرونها
احقاراً شديداً ورأى رهباناً يجمعون
الاحسان وغرباء باردية طويلة ومدنيين
يشعر مضطربون حال كذا الليل ورؤوس
ضخمة مستديرة وقدود رشيقة نخيلة وانقاذ
رفيقة ووجوه بلون النحاس ليس فيها
احمرار بخلاف وجوه الصينيين
ولم باسبارتو في تلك الطريق عربات
ومركبات وهوداج وخيولاً وجمالين

شارد العقل مسلوب اللب مخطوف
الصواب يظن نفسه في منام وما يسمعه
اضغاث احلام وبعد ان طاف الشوارع
ومرّت على انظاره مشاهد مدهشة اخذ
يتنقل في حارات المدينة مستسلماً للتقادير
واستمر كذلك حتى ساقته التقادير الى
الحجارة اليابانية المعروفة عند سكان يوكوهاما
بجارة بتتين (الاهة البحار التي يعبدها اهل
الجزائر المياورة) فطاف جوانبها حتى مرّ
تحت دهاليز كثيرة قائمة من خشب الصنوبر
والارز ووصل الى ما امامها كل عظمة
ذات ابواب مزخرفة باثقان يدع بأخذ
بجامع الابصار فرأى في بعض زواياها
قوماً من كهنة البوذيين التابعين لديانة
كونفشيوس . اما الهياكل فتنفيا ظلال
اشجار من الارز قديمة العهد فوق باسبارتو
فترة من الزمان ينظر الى الهياكل والاشجار
ثم سار في طريق طويلة يكاد ان لا يكون
لها حد فرأى فيها زمراً وجماعات من
صبيان ورجال قصيري القامة محمري
الوجوه موردي الوجنتين يمشون في تلك
الطريق مرحّابين كلاب قصار الساقين
طوال الشعور متطوعي الاذنان يألون

ونسوة يتعلمن احذية مصنوعة من القش
وقباقيب خشبية وعلمهن اردية من الحرير
الاصفر بشرط من الحرير ايضا ويشدون
وسطهن بشرائط مسترخية الى الوراء بأبن
غير مجبوكة (وقد اتخذت النساء الباريزات
هذا الزي عن النساء اليابانيات)

وقضى باسبارتو زمانا في اختراق
صفوف اولئك المجموع ويرمي كلاً منهم
بنظرة حتى وصل الى شارع يدهش منظره
الابصار ويسمر الابواب بما في دكا كينه
ومخازنه من اللؤلؤ والمرجان والماس
وغير ذلك من الحجارة الكريمة واصناف
الحلى والمجوهرات وكان بالقرب من هذه
الدكاكين حانات توقهاو للشاي والدخان
المجيد ولا اثر فيها للافيون

وما تقدم باسبارتو طائفاً بين هذه
الحوانيت والمحانات حتى يباغ منتهى الشارع
واسرف على حفل كساء الربيع حلاً
خضراء وشبت فيه يافعات الاشجار المكلفة
بالازهار اليبانة الاثار كالكرز والنخوخ
والنقاح التي يتفاخر الوطنيون بازهارها
لا يثمارها التي لا يذوقونها وهم شديداً
الحرص على ازهار هذه الاشجار يقيمون

عليها خفراء من تماثيل خشبية ينصبونها
وبينما كان باسبارتو جالساً في وسط
الحفل اذ عثر بين اعشابه على نبات من
البنفسج فقال في ذاته . ويرزقكم من
حيث لاتعلمون . ان هذا النبات يصلح
اليوم لان يكون غذاء لي ولما ان اشتهم
رائحته ولم يجد فيه رائحة البنفسج قال
اعوذ بالله من افول نجم السعد

وكان باسبارتو قد تناول الطعام
في صباح ذلك اليوم على مائدة الباخرة
كارنائيك بشراقة فائقة الحمد علماً منه
بانه سيقضي النهار بدون اكل ولكن
معدته لم تلبث ان هضمت كل ما كان
قد أكله بطوافه المستمر في شوارع المدينة
وطرقها

وعندما كان يجول في الاسواق كان
يدقق النظر فيما اذا كان في الدكاكين
لحوم ضأن او معز او خنازير فلم يجد شيئاً
من ذلك لان اللحم نادر الوجود في اليابان
وقد حظر فيها نحر الثيران اعتقاد انها
خلقت لحرارة الارض فكان اهلهما لذلك
يتغذون بلحوم حيتان البحار وطيور الغاب
وووحش الغفار

تخلصاً من خطر الموت جوعاً ولكن شق
عليه الامر واستصعب عليه النجاة يبيع
الساعة ثم اخذ يحدث نفسه فقال
وهون عليك فان الامور

رَ بكف الله مقاديرها
وبعد ذلك عزم ان يسعى في طلب
الرزق بممارسة مهته القديمة وهي انشاد
الاغاني على قارعة الطرق فيطرب برخم
صوته ويشنف الاذان بشجي انغامه وما
يتبع له القدر من الكسب يذله في سبيل
سد عوزه ولكنه رأى ان ملابسه تضر
بمصلحته انا ظهر بمظهره الجديد بملابسة
الاناشيد في اندية اليابان الذين يملون
كل الليل الى سماع الانحان ويقبلون
عليها اقبال الظاء على مولد الماء فعمد
لذلك الى تغيير ثوبه بثوب اذنى قيمة
واقل روثاً وبعد مزيد التأمل لقي تاجراً
يبيع بجميع الاصناف فعرض عليه ثوبه
بغية استبداله فقبله منه بطيب خاطر
واعطاه ثوباً على الزبي الياباني وكان
رثاً قذراً ودفع اليه فرق الفين
عدداً قليلاً من الدنانير فاخذ باسبارتو
الثوب والدنانير وانطلق على الفور

وعند المساء عاد باسبارتو الى المدينة
شارداً في طرفاتها المزينة بالمصابيح والانوار
معرجاً على مضارب العاب الصراع واندية
التجيين الفاصة بالمتفرجين واستمر كذلك
الى ان بلغ شاطئ البحر فرأى هناك عدداً
من الصيادين يطرحون شباكهم في قعر
البحر لصيد الاسماك ويستنضئون بانوار
موقدة من خشب الصنوبر

وعند الهيج الاخير من الليل تفرقت
الجموع وخلت المدينة من الضوضاء وانتشر
الحرس العسكري (عسس الليل) في
اربابها يحافظ على الاعناق والارزاق

الفصل الثالث والعشرون

عنى الكرب الذي امسيت فيه

يكون وراءه فرج قريب
وقضى باسبارتو ليلته متقلباً على حجر
كدرٍ اخر من جمر الغضا ويقاسي الم
المجموع وعلم الظاء حتى زهقت منه النفس
وكادت تبلغ التراقي فقال في ذاته
يا ليتني كنت تراباً وما اشرقت شمس النهار
حتى تمض من مضجعه وجلس يفكر فيما
يسد به جوعه فخطر له ان يبيع ساعة جيبه

او شهادة تدل على سابق خدمته وحسن استقامته

وبينما كان سائراً في طريقه تجاذبه عوامل الافكار اذابه رأى رجلاً قروباً يطوف باعلان انكليزي العبارة وهذه ترجمته

الحقوق الياباني

برئاسة ويليام باتونكار

الليالي الاخيرة من التشخيص

قبل مبارحة الحقوق نفريوكاهاما
الى الولايات المتحدة الامركانية

رواية الانوف الطويلة - الانوف الطويلة
باستدعاء الاله طينجو

ويتلو التشخيص مناظر تدهش العقول
وتسر الخواطر

فتبع باسبارتو ذاك القروي وسار وراءه طائفاً اعظم شوارع المدينة حتى ادت بالاثنتين خاتمة المطاف الى دار فسجدة الجوانب تخفق حولها الرايات الواثقا وعلى جدرانها الداخلية نقوش ورسوم

في طلب الطعام فدخل حائوفاً واكل فيه من لحوم الطيور والارز ما اشبعه ثم شرب حتى ارتوى فعاد بعد ذلك الى التأمل في مستقبله فقال في ذاته - اما الان وقد شبت وارتويت فلا يليق بي ان اطوف في ارض مملكة ابن السماء طوفان المحام حول الماء بل الاجدر لي ان ابارح هذه الدمار خوفاً من الويل والدمار ومعنى اجزت مسافة اربعة الاف وسبعائة ميل على ظهر البحار ووصلت الى سان فرنسيسكو بفرجها علي خالق الليل ومبدع النهار والحال نهض وسار الى جهة البحر مستعلماً عن البواخر المسافرة الى امركا حتى اذا عثر على واحدة منها عرض نفسه الى ربانها لعله يقبله فيها بصفة خادم او طبّاخ يشتغل بدون اجرة حتى يبلغ سان فرنسيسكو ولكن ما لبث ان خطاء هذا الصور محتجاً عليه بقوله - اية سفينة مستعدة للاسفار تحتاج خداماً وعمالاً وان فرضنا الحال واحاجت سفينة ما الى خادم فهل يتقيد بخدمتها كل من ومرض نفسه عليها بدون كتاب توصية

- وضور بعض المشعوذين مرسومة بلون
 بنفسجي. وكانت تلك الديار مسكناً لباتولكار
 مدير جوق المشعوذين والقرويين والعب
 تمرين الابدان. جناسنيك، فولج باسبارتو
 باب الرواق الخارجي من الدار والتمس
 مقابلة المستر باتولكار فحضر اليه وسأله عما
 يتغبه فاجابه باسبارتو بذلك وقلب
 منكسر
 - ألت محتاجاً الى خادم امين
 يرضى لرضاك ويفضض لغضبك بصافي
 احبابك ويعادي اعداءك
 فقال له باتولكار
 - لديّ خادمان قائمان بفروض
 خدمتي حق قيام ولا يكلفاني غير
 الطعام وها
 قال هذا وراه ذراعيه القويين
 النافرة منها العروق كالحبال فقال له
 باسبارتو
 - اود من صميم الفواد ان اسافر
 معك
 - من اي جنسية انت
 - من الجنسية الفرنسية
 - ولماذا انت متزني بالزني الياباني
- هذا قضت الايام
 - أنت باريزي
 - نعم
 - هل تعرف ان تعوّج وجهك
 وتكسر انيابك
 - نحن معشر الفرنسيين ما اختلفنا
 فيما نقول عن الامركان
 - يمكنني ان استخدمك عندي بوظيفة
 (مضحك) فهل لك بضروب الغناء الملام
 - في غاية ما يرام
 - فانت منذ الان في خدمتي
 فعند ذلك دخل باسبارتو الى دار
 المستر باتولكار واندرج في سلك الشخصين
 يتأمل مناظرهم ويضحك من ملابهم
 وقد كان موعد التشخيص في دار
 باتولكار في الساعة الثالثة من النهار وقبل
 حلول الاجل بزمان قليل تقاطرت
 المجموع من الاربين والصينيين
 واليابانيين من رجال ونساء واطفال
 يشاهدون غرائب التشخيص وبدائع التمثيل
 واتقان ضروب الالحان وشنفون الاذان
 باستماع عزف آلات الطرب واصوات
 الصنوج والطبول

الصنوج ثم رفعت الستارة وشرع في تمثيل
الدور الاول من رواية الانوف الطويلة
وهي رواية تأخذ بجميع العقول
وبرز الشخصون الى وسط المسرح
فسحروا الالباب برشيق الحركات وحسن
الاقاء وادخلوا الانظار بتنوع المشاهد
واخلاف المناظر فانهم ظهروا بلباس
الابطال في ساحات القتال ثم تبدلوا
باحقة عريضة مسترسلة الى الاكتاف
وانوف من الخيزران طولها من خمس الى
عشر اقدام بعضها معوج وبعضها مستقيم
وظهر اثنا عشر شخصاً يجنبشون تحت الاجنحة
ولا يرى منهم سوى انوفهم وقومٌ يدنون
منها ويضربون عليها بقوة وعزم ثم يجتمع
جمهور الشخصين ويدورون في وسط
المسرح فيرقصون ويعقدون وينهضون
آتين بضروب الهزل في معرض المجد بما
سرت به الخواطر وقرت به النواظر
وفي الدور الثاني اندمج باسبارتوفي
سلك اللاعبين فارتدى بلباسهم وعندما
شرعوا في الالعب استلقى فريق منهم على
الظهر ورفعوا انوفهم نحو السماء ثم جاءت
فرقة من المتوازنين (ايكليريست)

وما حلت الساعة الثالثة المذكورة
حتى ضاقت فمحات الدار المعلومة على
سعتها بمن وفد عليها من المخرجين تخطر
في وسطهم ربات الجمال
كالورد خذاً والهلل نباحداً
والظبي جيداً والفضيب تأودا
ويمايلن تمايل الاعصان فتخصت
اليهن الاحداق وتناولت الى مقاماتهن
الاعتاق فارسلن اسهم مقلهن الى قلوب
العشاق وقد كان
بين السيوف المرفقات ولحظها
عهد على سفك الدماء وموثق
ويحق للقلوب ان تهوى تلك الحسان
وقد قفن المحور نخوراً والخيزران خصوراً
وخطرنا اغصاناً ولحن بدورا ومسناً
تيهاً وعجياً واكتحلن قدورا وملن فارخين
على الخصور شعوراً ثم توارين عن العيان
بعد هذا الدلال فدخلن الى قاعة
خصصت لذوات الخدور فرافقتهن قلوب
اهل الغرام
وبعد ان اكتمل المجمع استوى
عازفو الالات على كراسيم فشدوا الاوتار
ونفخوا بالزمار وضربوا الطبول وقرعوا

رئيس المحرق طالبا تعويض الاضرار
فطيب المستر فوج خاطره واعطاه كية
من سفاح البنوكه

الفصل الرابع والعشرون

في اجياز الاوقيانوس الباسيفيكي

بعد ان نكست السفينة تانكادير
اعلامها - على ما مرّ بنا بياته - واطلقت
مدافعها التماس المعونة والمدد من باخرة
البريد المقلعة الى يوكوهاما توالت بعض
الساعات على حالة هذه السفينة وهي في
انتظار الاسعاف ثم اقتربت الباخرة منها
فاخذت ركابها وعادت الى طريقها سائرة
الى يوكوهاما فوصلت اليها في ١٤ نوفمبر
وما رست في مياهاها حتى خرج المستر فوج
منها وانطلق مصحوبا بالفتاة عائدة الى
السفينة (كارناتيك) يستطلعان خير
باسبارتو فعلموا بل المسرة ان - باسبارتو
كان فيها وانه خرج منها ساعة وصولها
الى المينا

فبعد ان علم المستر فوج بخروج
خادمه الى مدينة يوكوهاما خرج الى البر
نصحه الفتاة وساروا سوية في شوارع

فوقفت على ذيول طويلة وانت فرقة
اخرى فوقفت على اكتافهم وتلاها فرقة
رابعة ثم قام على انوفهم الطويلة ضريح
اتصل بافريز المرح

فسر المحصور بهذه المناظر وكثر
تصفيقهم وضجيجهم وعزفت الموسيقى باصوات
ضارعت هزيم الرعد ثم صدحت بانغام
كانغام الاطيار حتى اسكر العازفون
حضور الرواية بنجدة الانشراح وبينما
كانت هذه الحالة جارية على اتم مرام
والعيون ترصد اللاعبين اذ بهولاء فقدوا
التوازن فسقطوا على الارض وسقط
الضريح وكان مرجع الذنب عائد على
باسبارتو فانه ترك مكانه واخترق صفوف
المخرجين ثم اقترب من احدهم صارخا
- مولاي مولاي

فاجابه من بين المحصور صوت قائل
- الخفي الى الباخرة

وكان الصوت صوت فيلاس فوج
وبجانبه الفتاة فلما اعز فيلاس الى
باسبارتو بان يلحق به خرج فوج وعائدة
من المرح وتبعها باسبارتو وبعد ان
تجاوزوا الدار لحق بهم المستر بوتوكار

يرتفع نارة ويخط أخرى وعلى احد جانبيها
يتحرك ذراع (البستن) وعلى الثاني يدور
رأس (الكرنك) فيأتي بدل الحركة
المستقيمة بحركة مربعة يصلها يعود
العجلات. وبالنظر الى ما كانت السفينة
عليه من سرعة المسير عدل المستر فوج
انه يصل الى سان فرانسيسكو في ثاني
ديسمبر والى نيويورك في ١١ منه والى
لوندرة في ٢٠ بدل ٢١

ثم افلعت السفينة من مرفأ بوكاهاما
غاص بالركاب من أنكليز وامركان
وضباط عسكريين من جيش الهند يقضون
مدة اجازتهم السنوية في الطواف حول
الارض. وفي هذه الرحلة كانت
السيدة عائدة عنهم بشأن المستر فوج
اهتماماً خارق العادة وتزجج من الموانع التي
نحول دون اربه في رحلته وتنتظر اليه
نظرة الحب لا نظرة الصديق وتفرس
وجهه فتري فيه جمالاً فائق الوصف
يقيد قلبها بقيود الفرام فتطرق هيبه
واستحياء

اراك فاستحي فاطرق هيبه
واخفي الذي لي من هراك واكهم

البلد باحثين عن مقر الخادم فاستعلما عنه
من قنصليتي فرنسا وانكلترة ولما لم يقفاه
على خير ومضى على بحثهما وقت طويل
عاد الى الباخرة المسافرة الى سان فرانسيسكو
وفي اثناء عودتها عرجا على مرشح باتولكار
ليشاهد فيه الالهاب فعثرا بياسبارتو اذ
رأياه يلعب على نحو ما تقدم لنا الكلام
عليه فخرجا به كما اوضحنا وتوجه الجميع
الى المينا وفي اثناء الطريق قص ياسبارتو
على سيده ما وقع له ولكن بدون ان
يذكر البصاص فيكس وبعد استيفاء
حديثه دفع اليه مولاه قدرأ كافياً من
التقود لبيتاع لنفسه ثياباً فاخذها بعد
ان خلع عنه انفة الطويل وجناحه
العريضين

وكانت الباخرة الذاهبة من بوكاهاما
الى سان فرانسيسكو من اتقن بواخر شركة
البريد الياسيفيكي واسرعها سيراً وهي
تعرف باسم (الجنرال غرانت) وهي من
ذوات العجلات تحمل الفين وخمسمائة
طناً وتسير اثني عشر ميلاً في الساعة ولها
ثلاثة صواري تامة اقنشة القلوع
وكان فوق سطحها رفاس حديدي

قد مضى على طواف المستر فوج منذ قيامه
من لوندرة حتى الان اثنان وخمسون يوماً
ولم يقطع سوى نصف المسافة فكيف به
يقطع النصف الباقي في مدة الثانية
والعشرين يوماً الباقية له من مدة
الرهان

اقول : نعم ان المستر فوج ما بلغ
حتى الان سوى نصف الطريق ولكن
اذا وجهنا النظر الى المسافة جميعها نراه
قد اجاز اكثر من ثلثي الرحلة لانه يوجد
مسافة طويلة بين لوندرة وعدن وكلكتوتا
وسنجابور ويوكاهاما واما الان فالطريق
مستقيمة ليس فيها عقبات ولا مصاعب
تحول دون المراه

وحدث انه في الثالث والعشرين
من شهر نوفمبر افتقد باسبارتو ساعته
للاستدلال منها على الوقت فراها منطقة
على ساعة السفينة فطرب وفرح وسر
وانتهج كأنه ملك سعادة عظي وقال
بالعلى صوته اين فيكس وماذا يقول الان
لقد حصص الحق وظهر لكل ذي عينين
وانضع كذبه ونفاقه لحاء الله وخزاه فكم
حاول اقتناعي بما تقنن به من ضروب

وهيات ان يخفى وانت جعلتني
جميعي لساناً في الهوى يتكلم
وقد كانت مشغلة بما كان يرأسها
من التصورات وبخاطرها من عواطف
الحب والقيام فتتقاد لانفعالات النفس
لان المستر فوج كان قد تملك فوادها
بجزيل احسانه ووافر جميله . وكانت هي
ايضاً والحق يقال تأخذ بالالباب وتعظم
في العيون فانها مليحة الشباب كاملة
الحاسن بهية الرواء رشيدة الحركة بلا
تصنع وكان المستر فوج كلما نظر اليها
يتهلل سروراً وكانت كلما كتته ابدت له
اتسامة لها في تغوير الحسان معانٍ لا يفهمها
الا المحبون

دلائل الحب لا تخفى على احد
كحامل المسك لا يخلو من العبق
وبعد مبارحة يوكاهاما بتسعة ايام
كان المستر فوج قد بلغ من طوافه حول
الارض نصف الكرة الارضية لان الباخرة
(الجنرال غرانت) كانت في ٢٢ نوفمبر
داخلة في النقطة المائة والرابعة والعشرين
من دائرة نصف الكرة الشمالية المقابلة
للوندرة وهناسبيل للقول انه اذا كان

بسجن احد قبل محاكمته وصدور القرار
القضائي عليه فتميز حبشه من الغيظ
وصرف وقتاً طويلاً في الاستسلام الى
الغضب واستمر كذلك الى ان افاق من
غفلة غيظه وقال قد سبق السيف العذل
فباطلاً اقبل الاوقات في الكدر وسوف
اشفي حزازات صدي من فيلاس عندما
يصل الى انكلترا ولو وصلها حاوي الرفاض
لا اجد معه من السفائح التي اخناسها شيئاً
فانه قد انقهر في الاسفار والدعاوي والهبة
ومشترى الاقيال وغير ذلك شأن من
يسرف مال غيره ولكن فلا بأس قال
البنك عزيز

وعاد فيكس الى الباخرة (الجنرال
غرانت) قبل عودة المستر فوج فصعد
على سطحها يتأمل امواج البحر مبدداً
جيوش الافكار التي طرأت على رأسه
في ذلك النهار ثم رمى الزوارق القادمة
الى الباخرة بالركاب فرأى في احدها
المستر فوج والسيدة عائدة والشاب
باسبارتو فسأه لقاء باسبارتو ونهض على
الفور فانطلق الى غرفته ليتوارى عن عينيه
وفي ذات يوم حدث ان باسبارتو

الكلام اذ قال لي ان ساعتي تتقدم كثيراً
وانه يلزم تطيبتها على ساعة كل جهة
بلغناها فليات ولينظر الان فان الله يحق
الحق ويزهق الباطل ان الباطل كان
زهوقاً

اما باسبارتو فكان هذه المرة في
ضلال مبين تائهاً في مفاوز جهله الفاضح
فان عقرب ساعة السفينة كان دالاً على
الساعة التاسعة من الصباح وعقرب
ساعة باسبارتو كان دالاً على الساعة
التاسعة من المساء ولو كان لساعة باسبارتو
مينا رقم عليها ٢٤ ساعة لكان ميز الغث
من السمين

اما فيكس فما وصل الى بوكوهاما
حتى انطلق الى دار القنصلية الانكليزية
فاستلم منها امراً وارداً اليه من لوندرة
بالتبض على لص البنك المستر فيلاس
فوج فلما اطلع على الامر ونظر الى تاريخ
صدوره وعلم انه قد مضى عليه نيف
واربعون يوماً وان مفعوله لذلك بات
باطلاً بالنظر الى طول المدة التي مرت
عليه وبالنظر الى كون المستر فوج يدوس
الان ارضاً غير انكليزية لا تسلم شرائعها

— لا ولكننا رفيقان في السفر واعلم
جيداً اذا ظهرت لي منك خيانة ولو طفيفة
أكسر رقبتك لا محالة
— لا بأس

وفي الساعة الحادية عشرة من ليلة
٤ ديسمبر دخلت الباخرة بوغاز (البرودو)
المؤدي الى سان فرنسيسكو وكان وصولها
في الميعاد اتفانو في بدون تقديم أو تأخير
يرفة المسترفوج في دفتر الرحلة

الفصل الخامس والعشرون

في براز ويزال

وطئت اقدام المسترفوج والسيدة
عائدة والشاب باسبارتو ارض الامركان
في الساعة السابعة من صباح رابع ديسمبر
ومن عظم ما استمخوذ على باسبارتو من
الفرح والسرور بوصوله الى ارض امركا
وثب الى البر ساعة خروجه من الصندل
فسقط على رصيف خشبي يقره السوس
فصرخ صرخة هائلة جفلت منها طيور

كان سائراً على سطح السفينة فالتقى
بنيكس وجهاً بآزاه وجه فكر عليه كره
الابطال وقبض على عنقه فصد الفتك
به ثم رفع يده عن عنقه وجعل يلكمه
حتى اسال الدم منه مظهرًا للفرجين
من الامركان ان اللكم الفرنسي (البوكس)
يفوق اللكم الانكليزي شدة وعزماً وعندما
اروى باسبارتو غليله منه سكن جأشه
قال له فيكس

— هل شفيت غليل فوادك مني
فاجابه باسبارتو

— لا ولكن تعبت الان يداي من
اللكم

— استع لي الان بالانفراد معك
لاخبرك بانني لم اعد التي في سبيلكما
العقبات وانه صار من مصلحتي ان تعودا
الى لوندرة عاجلاً وفيها تعلم يا باسبارتو
انك محخدم لصاً

فكان باسبارتو يسمع ذلك بكل
اصغاء متبينا بغض الصحة في قوله انه
انقطع عن اضطهاده لها الا في انكثرة ثم
قال فيكس

— هل نحن ضديقان حيان

الخشب وقد رأى في فسحات طرقاتها
العربات والهاودج سائرة ورأى قوماً من
الأمركان والأوربيين والصينيين والهنود
يزيد عددهم على المائتي ألف عدداً

وكان الفندق الاجنبي شديد المائلة
لفنادق انكلترة في البنيان واصطلاح
العادات وهياة المبابث حتى ان باسبارتو
ظن نفسه فيه انه لم يخرج من لوندرة
وعلى الخصوص عندما وجد في طبقته
السفلى حانة ومائدة للطعام تقدمان
المشرب والمأكول للسافرين مجاناً

ودخل المستر فوج والقناة الى حجرة
الطعام فاكل اكلًا مريئاً وشرباً هنيئاً وبعد ان
شبعوا ارتووا نهضوا وانطلقوا الى دار القنصلية
الانكليزية قصد تسجيل تذكرة المرور وفي
اثناء خروجها من باب الفندق التقيا
باسبارتو فقال لمولاه

— ارى من الحكمة ومن الصواب
ان تتقني اسلحة كالمدى والغدارات لندفعها
شر الشوكس والباونس اذا عارضونا في
الطريق ووثبوا على القطارات الحديدية
يريدون توقيفها واقتلاع عجلاتها
فقال فوج

البط والجمع الحائمة حول تلك الارصفة
المتحركة المنددة في البحر والمياه حولها ترتفع
وتنحط بحيث ان البضائع تسخن منها وتفرغ
عليها بسهولة كلية وبالقرب منها ترسو
سفن ومراكب وزوارق وبواخر تخفق
فوقها الاعلام المتنوعة الالوان فان هذه
المينا تكثر الواردات اليها من الاصناف
والبضائع برسم البلاد الخارجية كالمكسيك
وبيرو وشيلي والبرازيل واوروبا واسيا وغير
جزائر من جزائر الاوقيانوس الباسيفيكي
وريثا صعد المستر فوج الى البر
توجه الى محطة السكة الحديدية مستعملاً
عن ميقات قيام القطار الاول الى نيويورك
فاخبر انه يذهب اليها في الساعة السادسة
من مساء اليوم ولكي يقتل الاوقات
بدون ضجر وانزعاج اكرى عربة بثلاثة
ريالات وسارت حتى بلغت بهم المنزل
الاجنبي وحيث ان باسبارتو كان راكباً
على كرسي العربة بجانب السائق تمكن
(بالنظر الى ارتفاع مكان جلوسه) من
رؤيا المدينة وبنائاتها الشاهقة وهياكلها
العظيمة وقصورها الباذخة التي بعضها
مبني من الاجر والبعض الاخر من

والاناس والتهليل باصوات ترتفع في
الفضاء بنغات تثير الاشجان الا انه نظر
في وسط الجمع بطلين هامين يتباريان
في ميدان المصارعة واسم احدها كاميرفيلد
والاخر مانديوس ، وبينما كان مرسلأ
نظره الى هذه المباراة انطلق البصاص
فيكس ليستعلم من كانوا على بعد دقيقتين
منه من الاوربيين عن الباعث على هذه
المسرات واذا بالجموع هاجوا وثاروا
وتضاربوا وتلاكموا واوقفوا العربات
وقذفوا الاحذية والقلانس في الفضاء
واطلقوا العبارات النارية اشارة الى الفوز
والظفر

وكان اولئك الجموع منقسمين الى
حزبين احدهما مبال الى مانديوس
والاخر الى كاميرفيلد المتصارعين ولا بد
ان يكون احد هذين البطلين قد استظهر
على رفيقه فنثار حزبه متفخراً على الحزب
الثاني على ما تقدم القول

وحدث انه من شدة هياج القوم
وازدحام الاقدام وجد المسترفوج والسيدة
عائدة والبصاص فيكس انفسهم مندحمين
في وسط اولئك الجموع الشاكي السلاح

ت افعل ما شئت

ثم ساق القدم الى دار الفنصل وما
تقل قدمه مسافة مائتي خطوة حتى عثر
بفيكس الذي لما رآه اجدره بالتحية فسلم
عليه تسليم المشوق وابدى له الدهشة
والانذهال من هذا اللقاء غير المتظر
واوضح له كونه مسروراً سعيداً بتلك
المشاهدة ثم طلب ان يرافقه في زيارة
المدينة فاجابه المسترفوج الى ذلك وساروا
جميعاً في الشوارع والاسواق حتى وصلوا
الى شارع فسج الجوانب غاص باقوام
تتحقق فوق رؤوسهم الاعلام وتذف
اقوامهم هذه الالفاظ

كوراخ الى كاميرفيلد .

كوراخ الى مانديوس .

فوقفوا يتفرجون على حركات اولئك
الناس وبعد برهة اظهر البصاص فيكس
للمسترفوج عدم ملائمة اختراقهم لصفوف
تلك الجموع خوفاً من الزحام وتسايق
المزاحمين فيصيحهم لكلمة اورفسة فاستحسن
المسترفوج رأيه ولكنه كان على جهل
تام بسبب الازدحام يسأل عن سبب
تجمع الناس وما كانوا يبدونه من البشر

وبعد برهة يسيرة سكن الهياج
فتخلص المستر فوج ورفيقاه من مركزهم
أخرج وحمدوا الله على نجاتهم ثم انطلقوا
سائرين الى النزل الاجنبي فأولاً عند
مدخله الشاب باسبارتو منتظراً وصولهم
مدججاً بالسلاح الجارحة والناربة فلما
رأى فيكس أتياً وراء مولاه نظر اليه شزراً
وضرب عنه صفحاً ثم سأل مولاه عما شاهده
من العجائب في ارض الغرائب فقصة
عليه الفتاة عائدة ما وقع لهم جميعاً وكيف
ان فيكس اعانها (اي اعان عائدة وفوج)
فالتفت اليه باسبارتو وشكره بافصح لسان
واجلى بيان وبعد ذلك دخلوا جميعاً
حجرة الطعام فبعد الاكل استحضروا عربة
تحميلهم الى المحطة وعندما هم المستر فوج
على الركوب سأل فيكس عما انا كان
نظر الكولونيل بروكتور فاجابه فيكس
سلباً فقال فوج لا بد من الرجوع الى
هنا بعد اتمام رحلتي لكي انتقم من هذا
الكولونيل اللثيم الذي اهان الشرف
الانكليزي واساء معاملتي بما فعل ولسوف
ينال جزاءه

وعند الساعة الخامسة والدقيقة ٤٥

المنتقلي الهراوات الرصاصية والفضبان
الحديدية فحاروا في شأنهم وطلبوا النجاة
ولا مناص لهم ما وقعوا فيه فجعلوا يدارون
الفتاة من الصدام وبينما هم كذلك اذا
برجل طويل القامة احمر اللون تقدم اليهم
وابتدر المستر فوج بضربة كادت تكون
القاضية لو لم يلقها البصاص فيكس
بساقيه فحملق المستر فوج بعدوه
وقال له

— اف عليك من امركاني

فاجابه الخصم

— اف عليك من انكليزي

فقال فوج

— سوف ترى من طعنات حسامي

عند اللقاء ما يُثيب الطفل الرضيع

فقال الخصم

— لا لا: ما كل من رفع السلاح

كان لرفعه اهلاً

فقال فوج

— ما اسمك

— الكولونيل ستامب بروكتور وانت

ما اسمك

— فيلاس فوج

وسنة وثمانون ميلاً يجازها القطار في
مدة سبعة ايام فكان المسترفوج لذلك
يأمل ان يصل الى نيويورك في الشهر
ويركب منها الباخرة المتعلقة منها الي
لينبول

وحدث انه بعد قيام القطار بساعة
من الزمان تلبدت الغيوم واطلم البحر
وهزم الرعد وهت عيون السحب بدماع
الغيث المذرار ثم برد الهواء وامطرت السماء
ثلجا فكست الارض ثوب البياض

وفي الساعة الثامنة طاف المأمور
(الكوميساري) عربات القطار واعلم
الركاب بحلول ميعاد الرقاد وحيث
مدت على الكرسي التي يجلس عليها
المسافرون شرافش تفوق الثلج بياضا
ووضعت عليها الوسادات والاعطية
وأرخت على المنافذ ستارات تنجب النور
حتى خيل للركاب انهم في غرف من
سفينة على ظهور البحار وما كانوا الا ناهيين
الارض عدوا على مركبة تسير على قضبان
الحديد سير البرق لمعا ولماضي في بطون
قلوات واسعة ممتدة بين سان فرنسيسكو
وساكرامنتو وتجه بما يمكن من السرعة نحو

وصلت العربية بهم الى المحطة وكان القطار
على اهبة المسير وبينما كان المسترفوج ينقل
قدمه الى احدي العربات اذ نظر احد
مستخدمي المحطة فسأله قائلاً

— ما هو السبب الباعث على الزحام
الشديد اليوم في شوارع المدينة
— في هذا اليوم تم انتخاب قاضٍ
للصغ في المدينة

وبعد ان اتى المستخدم هذا الجواب
الى المسترفوج قام القطار وسار يطوي
القفار

الفصل السادس والعشرون

في ركوب قطار الاكسبريس
في سكة (الباسيفيك)

تقسم السكة الحديدية الى فرعين
وها فرع الباسيفيك ويمتد بين سان
فرنسيسكو واولدجين وفرع اتحاد
الباسيفيك ويمتد بين اولدجين واماها
التي يتشعب منها خمسة خطوط قائمة
بذاعها تصل اماها بنويورك

وسان فرنسيسكو ونيويورك بصلان
بخط حديدي مسافته ثلاثة الاف ومبعمائة

الى محلاتهم واحدقوا في تلك الارض
ومروجها الخضراء واديتها وجبالها
والحيوانات الهائلة فيها الشاردة في ضواحيها
كالانفار البرية التي كثيراً ما تنف في
طريق القطار فتعوقه عن السير

وفي الساعة الثالثة من مساء ذلك
اليوم انتشر في طريق القطار قطيع من
البقر مؤلف من ١٢ الف رأس وكان
يمشي الهويناء على جسر السكة لا يخيفه سير
القطار ولا شرار النار المتصاعد من ثم
الخلقين ولا سواد الدخان الخارج من
المدخنة وكانت تلك الانفار ضخمة الحجم
قصيرة الاذنان بارزة الاكتاف ذات
قرون مقوسة ورؤوس ورقاب مغطاة
بناصية ذات شعر طويل

وقد اندهش الركاب من منظرها
فوقفوا امام منافذ العربات وفي مطلات
القطار ينظرون اليها ويسجون خالها
اما المستر فيلاس فوج فما تحرك من
محل بل لبث فيه يتنظر استئناف السير
وقد كدر باسبارتو هذا الوقوف وهم مراراً
ان يطلق على هذه الحيوانات العبارات
النارية

الشرق لتلتقي بالقطار الذي يقوم من
اوماحافاه يند من سان فرنيسكو الى
عاصمة مملكة كاليفورنيا فرع حديدي
على طول نهر . امركان . الذي يصب
في خليج سان بابلو ومسافة طوله مائة
وعشرون ميلاً يجتازها القطار في مدة
ست ساعات وعند منتصف الليل مر
القطار وركابه نيام بمدينة ساكرامنتو بعد
ان عرّج على عدة محطات وعند الساعة
السابعة صباحاً مرت بمحطة سيسكو وفي الساعة
الثامنة نهض الركاب من النوم ووجدوا
خالق الليل ومبدع النهار واطلوا من
منافذ العربات ينظرون الى انفار التي
يشق كبدها القطار والى عرائس النبات
التي يميل بها الهواء والى جمال الطبيعة
ومناظرها البديعة

وعند الساعة التاسعة كثر القطار
في وادي كارسون ماراً باراضي نيفادا
سائراً في الجهة الشمالية الشرقية حتى اقترب
من محطة رينوفوق نحو عشرين دقيقة
تناول الركاب في خلالها الطعام
وبعد الفراغ من تناول الطعام
عاد المستر فوج والسيدة عائدة ورفيقاهما

ولما اقبل الصباح وقف باسبارتو
 في الساعة التاسعة قبالة مظلة القطار
 يستنشق النسيم فبهت عليه ربح الصبا
 فانهشت قواه وكان الجواذ ذاك ذا
 لون اسخفيوني اشبه بلون البنفسج وكانت
 الشمس في كبد السماء مغطاة برفع من
 السحاب فظهرت من خلاله كقطعة
 ذهبية رائتة الصفرة وهو ما جعل باسبارتو
 ان يرتبك فجزئتها الى ليرات أنكليزية
 وبينما كان مشغلاً بذلك الحساب اذا
 به رأى شخصاً تلوح عليه علائم الاثراء
 والشرف وملامح الوقار والجلال وكان
 طويل القامة اسمر اللون اسود الشاربين
 وكانت يده مستورتين بكفوف سوداء
 وعلى رأسه قبعة من الحرير الاسود وعلى
 جسمه لباس اسود وفي عنقه رباط من
 الحرير الالبيض وكان بالاختصار مستكماً
 لمظاهر الترف والثروة وعلو المنزلة وكان
 يقترب من باب كل مركبة من مركبات
 القطار ويلصق عليه اعلانات مكتوبة بخط
 يده فدنا باسبارتو من الاعلان فقراه
 واليك ترجمته
 انا الموقع على ذيل هذا الاعلان

اما سائق القطار فقد اتخذ هذه الحكمة
 دليلاً ومنع القطار من المسير بين صفوف
 تلك الحيوانات خيفة ان تنك بها
 العجلات وتكون عائقاً للقطار عن اتمام
 مسيره اذا مر عليها وخرجت العجلات
 عن القضبان الحديدية ولذلك أثر الانتظار
 على السير

وقد مضت على انجلاء القطع عن
 الطريق ثلاث ساعات طوال اذن
 بعدها باطراد المسير

وما حلت الساعة الثامنة حتى عبر
 القطار مضيق جبال هومبولدت وظل
 ماراً بها يطويها حتى دنت الساعة التاسعة
 ونصف فبلغ ارض او طاح ومقاطعة بحيرة
 (صالي) بلاد غرائب المورمون

الفصل السابع والعشرون

في مرسل مورموني

وسار القطار اثناء ليل سادس
 ديسمبر في بقعة من الارض تبلغ
 مساحتها ٥٠ ميلاً وما لبث ان تحول
 عنها الى الجهة الشمالية الشرقية حتى
 اقترب من بحيرة صالي اعظمه

عالٍ قال :

أقول ولا أخشى في الحق تعيقاً أن
(جون سميث) مات شهيداً وهو الآن
في جنة الأبرار نعيم الأبخار وأقول لكم أيضاً
أن أخاه هيرام مات شهيداً أيضاً وهكذا
سميت الشاب برايم فمن منكم يتجرأ
ويقول بعكس ذلك . لا اظن أن أحداً
يقدم على عكس هذا القول . وأعلموا
جيداً أن الإيمان يتأيد في زمن الاضطهاد
وأن الديانة تنمو في زمن الضيق انظروا
إلى حكومة الولايات كيف انها لما استولت
على مقاطعة أوطاح سمحت لجميع المورمون
وفي جملتهم الشاب برايم وهم الآن يقاسون
مرّة العذابات بفرح وسرور

أن الديانة المورمونية موجودة منذ
الازل وقد تلقاها من السماء نبياً من
سبط يوسف وأودع وصاياها في كتاب
سلمه لولده مورمون وبعد قرون ترجم
الكتاب إلى لغة المصريين حضرة الفاضل
يوسف جونيور الذي كان صيدلياً ورُفِعَ
إلى السماء عام ١٨٢٥ هـ

وكان هذا المرسل يتوقد في كلامه
نطقاً وبلهيب حدةً ويذوب نصوراً

المرسل وليام هتش اغتم فرصة وجودي
في القطار المرقوم عليه عدد ٤٨ وأشرف
بان أعلن لحضرات المسافرين الكرام أنني
عينت ساعة واحدة تبتدى من الساعة
الحادية عشرة صباحاً وتنتهي في الظهر
لا لقاء الدروس المقدسة في العربة المرقوم
عليها عدد ١١٧ وذلك في الديانة
المورمونية وأشرح بالأسهاب أفضال
القديسين الذين ظهروا في الأيام الأخيرة
فاحت الركاب للحضور واني لم من
الشاكرين الامضا

وليام هتش احد مرسلي
الديانة المورمونية

ولما قرأ باسبارتو هذا الاعلان
قال في نفسه

— لا مانع من ذهائي إلى مقر تلك
الدروس لاحضر تعاليم وليام الدينية
فاعرف شيئاً من تقاليد هذه الديانة
التي من مبادئها الأولية اكثار الزوجات
ومادنت الساعة المعينة حتى ازدحم
العربة (١١٧) بالحضور واجتمع فيها ما
ينيف عن الثلاثين شخصاً عداً فقام فيهم
المرسل هتش خطيباً وافتتح الكلام بصوت

ويسيل رقة ملباً أوجه الحديث متفتاً
 في ضروبه متقللاً في أساليبه باسطاً للعلم
 بحيث يقال عنه هذا آية الدهاء والذكاء
 مظهرًا للجهل بحيث يقال هذا مثال
 السذاجة والبله ولكنه اطال الكلام حتى
 ضجر الحاضرون فاخذوا في الخروج من
 العربية ولم يبق منهم الا عشرة أشخاص
 لبثوا يسمعون حديثه حتى النهاية
 وكان القطار اثناء ذلك سائرًا
 بسرعة لا مزيد عليها وما حان اوان
 الظهر حتى اقترب من بحيرة صالي التي
 تصب في اردن امركا وتدفق ماؤها
 على صخور قائمة من حولها محدة
 مسترسلة الى الارض التي يمد الربيع
 عليها باسطًا سندسياً مدبجاً بلالي ازهار
 كعش الاقطة بطيب شذاها . اما البحيرة
 فظولها يبلغ سبعين ميلاً بوجه التقريب
 وعرضها ينيف على الثلاثين ميلاً وهي
 تبعد عن البحر مسافة ثلاثة آلاف
 وثمانمائة قدم
 وفي الساعة الثانية وصل القطار
 الى محطة اجدين فوقف فيها اربع
 ساعات متواليات خرج المستعمر فوج في
 ان عند بعض المورمون (لا جميعهم)

خلالها الى البر مضجوعاً برقائمه وساروا
 نحو مدينة (القديسين) قصد التفرج
 على ظرائفها ولطائفها وقد وصلوا اليها
 في الساعة الثالثة فطاقوا شوارعها
 وطرقاتها وزاروا اجل قصورها وابنتها
 كدار الندوة وبلاط الملك والمساحة
 وسائر ما تحتوي عليه من الانار اما
 ابنة هذه المدينة فجميعها مبنية من
 الاجر المائل الى الزرقة وامامها ليوانات
 وماش . وحولها بساتين فيها عرائس
 الرياحين واشجار النخل والخروب
 تظللها النبات الاخضر ويكتنف هذه
 المدينة سور ميني من الخرف
 منذ عام ١٨٥٣ ثم طافوا عدة شوارع
 يدون ان يلقوا في طريقهم انساناً كان
 المدينة دار يقع لا تأهل سكاناً . ولما
 وصلوا الى شارع الهيكل التقوا بنسوة
 كثيرات مارات بالطريق ورأوا
 الغنيات منهم يلبسن وشاحاً من
 الحرير الاسود خالياً من بهارج الزينة
 فاستدل باسبارتو من كثرة عددهن
 على انهن مورمونيات . وهنا مجال للقول
 ان عند بعض المورمون (لا جميعهم)

جاهلاً للباعث الذي أخر هذا الرجل
عن ركوب القطار والداعي الذي اضطره
الى هذا السفر المجهل وما علم ان المورموني
كان هارباً من الزواج

وبعد ان وصل المورموني الى القطار
واستراح اقترب منه باسبارتو وسأله بقوله
— كم لك من النساء

فاجابه المورموني رافعاً ذراعيه الى
السما

— واحدة فقط وهي حسي وكفي

الفصل الثامن والعشرون

في ان باسبارتو اخفى على مولاه
امراً اذا بال

وبعد مبارحة القطار لمحطة البحيرة
(صالي) ومحطة (اجدني) سار ساعة
طويلة نحو الشمال الى ان وصل الى نهر
فيير. وكان قد قطع تقريباً تسعمائة
ميل من حين قيامه من محطة سان
فرنسيسكو

وبعد قيامه من نقطة نهر فيير
سار في مضيق جبال واحشاش
في بقعة فاصلة بين هذه الجبال وبين

سنة اكنثار الزوجات خصوصاً عند
اهالي مدينة اوطاح فانهم يتكرون على
البنات العذاري البقاء في العزوبة
ويسوقونهن الى الزواج قسراً كالنعايج
وعند الساعة الرابعة عاد المتفرجون
الى المحطة ونزلوا الى محلاتهم في عربات
القطار وعندما صفر القطار دلالة على
السير واخذت العجلات تكرر على القضبان
الحديدية علا في الجحوصوت ينادي السائق
ان قف ولا تسر

وبما ان قانون السكة الحديدية
لا يرخص لمهندسي القطارات في الوقوف
متى سارت ظل القطار لذلك سائراً بينما
كان ذلك الصوت ينادي السائق ان
: اقف المسير: وبعد ثمانية من الزمن
رؤي صاحب الصوت راکضاً ثم
والجأ فمحة المحطة ومنها انطلق عدواً الى
الرصيف فقفز منه الى سلم اخر عربية من
القطار وكان هذا الرجل من اهل الديانة
المورمونية

وكان باسبارتو مشاهداً لذلك
الحادث فاعجبه من المورمون خفتهم في
التماس وسرعتهم في السير ولكنه كان

كان الاجدر بولاي ان يجنار من الصيف
لهذه الرحلة تخفيفاً للمصاعب التي يصادفها
في زمن الشتاء ومجانبةً للموانع التي يلقاها
في طريقه حيناً بعد حين من غير انقطاع
وفي اثناء وقوف القطار نزل منه
بعض الركاب الى رصيف المحطة لتمضية
الوقت ومن جلنهم الكولونل ستامب
بروكتور وكانت الفتاة عائدة وقتئذ
مترعة في عربتها متقبضة الصدر مشتتة
البال قلقة الفكر من جراء الموانع التي
كان يصادفها المسترفوج في رحلته ودفعاً
للم دنت من نافذة العربته واحدقت
بصرها فيما خارجها فرأت اناساً يخطرون
على الرصيف وبينهم الكولونل ستامب
الذي اساء معاملته المسترفوج في مدينة
سان فرانسيسكو فتوعده بالاعتصاص منه
ايما قصاص فلما نظرت الفتاة ارتدت
عن النافذة لئلا يراها فيعرفها فجلست
مستسلمة لتبارج القلق ضاربة في وهاد
الاضطراب جازعة من فكر مشاهدة المستر
فوج لهذا الكولونل فيشتبك معه بقتال
تسو عاقبته سوا ظفر فوج اولم يظفر
فانة يؤخره عن اطراد السفر

جبال روتشيز حيث عانى المهندسون
الامر كان مزيد التعب في تخطيط السكة
المحددية وعقدوا مع الحكومة اتفاقاً
على اجرة تبلغ ٤٨ الف ريال عن
كل ميل في الجبال مع ان اجرة
الميل في السهول ستة عشر الف ريال
قط

وعند الساعة السادسة مساءً وقف
القطار في محطة : فور برايدجير وبعد
برهة وجيزة بارحها وما اجاز عشرين
ميلاً حتى بلغ ارض ولاية : رومينج :
وسار في وادي جون : پتر : وفي
صباح سابع ديسمبر وقف القطار في
محطة : جرين ويفر : نحواً من ربع
ساعة كان الثلج في خلالها يتساقط
كثيفاً بما يبعث الركاب على الخوف
من ان يكون سبباً في وقوف القطار
ولكن بحسن الطالع امسكت السماء
قليلاً ثم امطرت غيثاً مدمراً فاذا بالثلج
وقد اضطرب باسبارتو لذلك
وكما احس في الارض ويشاهد فوقها
الثلوج تلالاً كان يجالها تيميد به في
الطول والعرض ثم يقول في نفسه : اما

— اصحح ما تقول من انك تدافع
عن مولاي

— اجل فاني افرغ جعبة جهدي في
سبيل سوقه الى اوربا سالماً

فهاج عامل الغضب في فواد باسبارتو
من هذا الجواب ثم صرف باستانه ولزم
الصمت . وبعد ذلك التفت فيكس الى

المستر فوج وساق اليه الكلام فقال
— ان الساعات التي تصرفها قطارات

السكك الحديدية في السفر لطويلة وقد
كنت بامولاي تقتل الاوقات على السفن

البحارية في لعب . الويست . فالسيدة
عائدة تنقن هذا اللعب وانا ايضاً اعرف

بعض ضروبه وفي القطار يباع هذا الورق
فاذا شئت مضيت الوقت في اللعب تخلصاً

من الضجر المستعوز علينا فاجابه فوج
— لا مانع من قبلي

فتوجه باسبارتو واجام ورق اللعب
واحضره الى مؤلاه قائلاً في نفسه : الحمد

لله فقد تمكنا من حصر المسترفوج فيما
داخل القطار . وذلك لانه كان يخشى

ان يخرج منه ويعرض نفسه لبعض اسباب
الاعتياق

وعند قيام القطار من المحطة اغتمت
عائدة رقاد المسترفوج واخبرت فيكس

وباسبارتو بوجود الكولونل بروكتور في
القطار واطلعتها على سؤال العاقبة اذا التقى

بالمستر فوج فقال لها فيكس
— ان هذا اللثم ساء في جداً وسينال

جراحه مني
وقال باسبارتو

— ساخذ عيب هذا الامر على عاتقي
فقال لها الفتاة

— ان شهامة المسترفوج تأتي ان
تأخذ بناؤه وهو رجل شديد الساعد

قوي البنية ونحن الان في حالة يجب ان
نكتم فيها الامر على المسترفوج والا ندع له

فرصة يخرج بها من القطار حتي يصل
الى نيويورك فلربما لا يشاهد عنوه في

القطار ومتى بلغنا نيويورك لانعدم طريقة
اخرى للملافة الامر

فوقع كلامها في الاذان موقع الاستحسان
وعندها استيقظ المسترفوج فقطعوا الكلام

وبعد التزامه السكوت مدة لم يمه في
في خلالها احد بكلمة اقترب باسبارتو من

فيكس وهمس في اذنه قائلاً له

وارى الاجنر بك ان تصرف المدة في الذهاب مشياً الى المحطة التي لا تبعد سوى مسافة ميل لو لم تكن في الضفة الشالية من النهر الذي لا يمكن اجتيازه بواسطة الزوارق لان المياه متجمدة فيه وبعد ان علم باسارتو جميع ذلك عاد ليطلع مولاه على الاسباب التي اجأت الى وقوف القطار في تلك النقطة وفيما كان سائراً سمع صوتاً قائلاً : ايها السادة الركاب يمكننا ان نعبّر الجسر على هذا القطار ولي ملء الامل في اتمام المسير بدون حدوث ادنى ضرر للقطارات والركاب والطريقة الوحيدة لذلك هي ان يسير القطار سيراً سريعاً يحاكي وميض البرق ماراً فوق ذلك الجسر المنهدم فيعبره غائماً سالماً وكان صاحب هذا الصوت مهندس القطار

فضج هذا الرأي جميع الوقوف باصوات الاستحسان وعادوا الى محلاتهم في القطارات ثم عاد باسارتو بدون ان يخبر مولاه بشئ وما جلس في مكانه حتى صفر القطار وتأخر الى الورا مسافة ميل ثم تقدم الى الامام سائراً بسرعة لا يعبر عنها

وعند الظهر مد سباط الطعام في احدى عربات القطار للمسترفوج ورقمائه فاكلوا وشربوا حتى اكفوا ثم نهضوا واستأنفوا اللعب وبيفاهم يلعبون اذ سمعوا صغيراً شديداً خارجاً من آلة القطار فزع باسارتو الى الباب ونظر الى الامام فلم يرى شيئاً مانعاً من المسير ثم نزل الى الارض ليتحقق الخبر فرأى نحو اربعين راكباً نازلين من القطار وفي جملتهم الكولونل ستامب بروكتور وكان القطار قد وقف امام علامة حمراء فنزل منه السائق والمهندس فوجدا وكيل محطة : هو : القرية من تلك النقطة واقفاً فسألاه عن سبب ايقاف القطار فاجابها ان هذا القطار يقتل بالركاب ولا ينبغي ثقله جسر : هو : فلما سمع الكولونل بروكتور هذا الجواب قال للسائق او ملء الاتقادرونا هنا عرضة للبرد والتلج فاجابه السائق ان قد طلب من محطة (اوماجا) قطار صغير لنقل الركاب وسيحضر بعد ست ساعات فصرخ باسارتو مردداً قول السائق (بعد ست ساعات) فقال له السائق نعم

لسان فعبر الجسر بأسرع من البصر وبعد عبوره بأقل من رمشة عين اندك الجسر دكا وستط سقوطاً مربعاً

الفصل التاسع والعشرون

في مقابلة المسترفوج مع الكولونل ستامب بروكتور

وقضى القطار الليلة برمتها سائراً حتى قطع صحارى : صودير : واجاز مر : صيان : فوصل الى مر : ايفان : حيث يبعد الخط الحديدي عن ساحل الاوقيانوس مسافة ثمانية الاف واحدى وتسعين قدماً كان القطار يجنازها بكرات متواصلة ولم يقف الا في محطة الانلاتيك الكائنة في وسط فدفد منبسط شاسع تلتقي فيه الخطوط الحديدية الممتدة الى مدينة ديفروهي اعظم مدن : الكولورادو : وفيها معادن كثيرة ذهبية وفضية وتأهل من السكان نيفاً وخسين الفا

اما القطار فكان قد قضى الى ذلك الوقت من يوم قيامه من محطة سان فرنسيسكو مدة ثلاثة ايام قطع في غضونهما مسافة الف وثلاثمائة وواحداً وثمانين

ميلاً والقطارات تصرف عادة مدة اربعة ايام فقط من سان فرنسيسكو الى نيويورك وفي الساعة الحادية عشرة من الليلة نفسها دخل القطار ارض نيباسكا ومر بالقرب من سيدجويك وعرج على جويسبورج الكائنة عند فرع الخط الجنوبي من نهر بلات الذي كان النقطة الرئيسية لاتحاد السكة : باسفيك رود : ففي ٢٣ اكتوبر من عام ١٨٧٦ حضر الى شاطئ النهر المهندس الشهير الجنرال دورج بتسعة قطارات ثقل قوماً كراماً وكان بينهم المستر توما والمستر دوران الشهيران فحضروا افتتاح السكة ومدت لهم الموائد واقامت لهم الالعاب النارية عبيد شاطئ ذلك النهر وفي الساعة الثامنة من صباح الغد هب الركاب من الرقاد واقترعوا من المنافذ طلباً لاستنشاق الهواء وكان القطار سائماً في الضفة الشمالية من نهر : بلات : وعند الساعة التاسعة بلغ بهم المدينة العظيمة : نورث بلات : القائمة بين نهرين يجناطان بها احاطة السوار بالمصم ويتنزع ماؤها بماء نهر : ميسوري :

لولا اشارة مولاه اليه بالعدول عن
الهجوم عليه . وكان فيكس ايضا
قد نهض وخطب الكولونل بقوله

— هل ذهب عنك انك اسأتني
ولكنني . فقال فوج

— اصغ الي سمعاً يافكس فان

الكولونل قد اهانني وحدي الان

بقوله ان ليس لي الحق بلعب . اليك .

ومن مقنضيات شرفي ان اتنص منه

على هذه القحة

فاجابه الكولونل

— اين ومتى تروم استرجاع شرفك

فلما سمع المسترفوج هذه الكلمات نهض

على الفور بالرغم عن محاولة عائدة

لمنعه من مصادمة الكولونل وخرج الى

ما خارج العربة مع الكولونل وقال له

— لولا قصر الوقت وما تقضي

عليّ به اشغالي من العود الى اوربا

عاجلاً لكنت نزلت معك ميدان القتال

وعندما صدرت منك ضدي تلك

الاهانة في مدينة سان فرنسيسكو عزمت

على العود للثألك متى وفرت عندي

الفرص وسعيت لي اشغالي بالعود اليك

وعاد المسترفوج ورفيقاه الى لعب

(الويست) فقفصوا الوقت من غير ضجر

وملأ من طول الطريق وقد لقي المستر

فوج في هذه المرة ما يحسد عليه من حسن

الحظ فكان الورق طوع رغائبه يأتيه

حسب مرامه وبينما كان على وشك ان

ينثر ورقة اليك اذابه سمع صوتاً خارجاً

من قرب باب العربة فحانت منه الفتاة

نحو مخرج الصوت فشاهد الكولونل

(ستامب بروكتور) واقفاً بالقرب منه

يقول له

— تروم ايها الانكليزي ان تلعب

بيك ، ولا تعرف هذا اللعب ايها البعير

فالعاب (كارو) اذا اردت

فاجابه فوج برصانة

— ومن يتفن هذا اللعب مثلي

ثم رمى بعشرة الديناري الى الارض

واحتفل للقيام

فاصفرت وجتا الفتاة عائدة خوفاً

على متنها وامسكت بذراعيه منعاً له

من القيام باللاكمة الكولونل فدفع يدها

برقة ولطف دفعا خفيفاً وكان باسبارتو

اذاك على وشك الوثوب على بروكتور

وسيكون ذلك عاجلاً أن شاء الله بحيث لا يمضي ستة شهور حتى تراني عائداً أبحث عليك

قال الكولونل

— ولماذا لا تقضي اليوم ما عزمت على تأجيل قضائه الى حين وتكفي مؤنة التعب في العود الى ديارنا ف نحن لان متبلون على محطة (بلوم كريك) فعندما يقف القطار فيها ننزل الى الارض ونبادل اطلاق الغدارات فينتهي كل امر بيننا فاجابه فوج

— اصبت . قال هذا وعاد الى عربته على مقتضى عادته من السكينة والهدوء ثم هدأ بال القادة واستأنف اللعب . وعند الساعة الحادية عشرة اقترب القطار من محطة (بلوم كريك) فنهض المستر فوج وتقلد زوجاً من الغدارات واصطب فيكس كشاهد وانطلق كلاهما الى درج القطار فالتقيا بالكولونل وشاهده وعند ذلك هم الجميع على النزول الى الارض فنعمهم سائق القطار من النزول بقوله ان القطار لا يقف في هذه المحطة

حسب عادته لاننا اطينا بتأخير عشرين دقيقة يجب علينا ان نعوضها واذا كنتم مضطرين الى النزال فما الذي يمنعكم من القتال في قلب القطار حال مسيره فانه يوجد في مؤخر القطار عربة فسيحة الجوانب احلها لكم لتكفروا فيها عن سيأتكم ثم مشى امامهم حتى اوصلهم الى العربته المعهودة وادخلهم اليها قائلاً — من هذه العربته لا يخرج احد منكم وتركهم وراح يسوق القطار

فوقف المستر فوج في العربته وفيكس الى جانبه بصفة شاهد ووقف قبالة الكولونل بروكتور و الى جانبه شاهده ثم اتفق الكولونل والمستر فوج على الشروع في اطلاق الغدارات حال تصغير القطار وما ازف الوقت المعلوم حتى علت في الجو وضوءة يغلها قرعة سلاح ودوي بنادق وصراخ هائل فارتعدت فرائص الكولونل فخرج الى ما خارج العربته وتبعه المستر فوج وفيكس فأول قوماً منتشرين كالجراد على الخط الحديدي مدحجين بالسلاح معتقلين البنادق والمراوي يهجمون على درجات القطار ويصعدون

— لان (السيوس) ضاربون بين
حصن كبير في والمحطة الآتية وهناك
يوقفون القطار ويهلكوننا جميعاً

فعند ذلك هم فوج على الوثوب
من القطار فلما رأى بأسارتو ذلك قال
لمولاه قف وقفز على الأرض ثم سار
بالقرب من عجلات القطار والسيوس
يرمونه برصاص بنادقهم حتى وصل الى
اول عربة مرتبطة بالآلة فحمل الزنجير
الذي يربطها بالآلة فلبثت الآلة سائرة
وبعد بعض كرات وقف القطار على بعد
مائة خطوة من محطة كيرني

وقد شعرت حامية الحصون بدوي
البنادق فانت لاغاثة الركاب . اما
السيوس فقبل وقوف القطار شعروا
بقدوم الحامية فولوا الادبار

وبعد وقوف القطار في المحطة نزل
الركاب الى الرصيف واخذوا كبل المحطة
يعدم يعرف من فقد منهم . واستدعاهم
لكل باسمه علم ان عدداً كثيراً قد قص
منهم وفي الجملة الشاب الفرنسي باسبارتو
الذي كان السبب في نجاة الجميع

اليها وقد صعد رئيسهم الى حيث المهندس
فاوسعه ضرباً واشغله جراحاً وقبض على
مفتاح الآلة فحاول ايقافها ثم حرك المتاح
على غير دراية فطار القطار وسار سير
البرق

وهولاً الاشقياء يعرفون يقوم
(سيوس) وقد جعلوا حرفتهم منذ نشأة
السكة الحديدية في بلادهم ان ينهبوا
القطارات ويخطفوا العجلات ويذبحوا
الركاب ويرجمون

واستمر ذلك القتل نحو عشر دقائق
كان الركاب في خلالها يدافعون عن
انفسهم بكل بسالة وثبات ولا سيما السيدة
عائدة فانها كانت قابضة بيدها البيضاء
على غدارة ذات ست طلقات نطقتها على
الاعداء حتى جندلت منهم ثيقاتاً وعشرين
قتيلاً ما عدا الذين جرحتهم وقد اصيب
بعض الركاب بجراح بليغة تنذر بالخطر
وبينما كانت الحالة على ما تقدم عليه
اكلام قال السائق للمستر فوج

— اذا لم يقف القطار قبل خمس
دقائق هلكنا جميعاً لا محالة

— ولماذا

الفصل الثلاثون

في ان فيلاس قام بحق الواجب
وقد كان غياب باسبارتو داعياً للغم
والحزن عند المستر فوج والسيدة عائدة
وقد تبادلوا الاراء في شأن البحث عنه
وكيفية الوصول الى افراج كرتيه اذا كان
اسيراً

اما الذين اصيبوا بمجرح البية من
الركاب فكانوا كثيرين وفي جملتهم
الكولونل بركتور فانه اصاب برصاصة
في فخذه فخر على الارض صريعاً فقتل
كباقي المجرحي الى المحطة لمذارة جروحهم
قبل ان يتعسر شفاؤها

واما السيدة عائدة وفيلاس فوج
فكانا سليمين لم يصابا بمجدش ظفر مع
انها قاتلا كالاسود الكاسرة بشجاعة وبأس
وبسالة وثبات

وكانت قارعة الطريق وجسر الخط
الحديدي ملطخين بالدماء وعليها جثث
القتلى المشوشة الوجوه مجندلة تحوم عليها
عقبان الغاب ووحوش الفلاة

وقد شق على المستر فوج فقد
خادمه باسبارتو وعظم عليه هذا الخطب

حتى هان عليه اخفاق الرحلة وفقد ثروته
فاطرق في الارض مفكراً يحاول اخفاء
ما به عن الفتاة عائدة لئلا تنوسم فيه قلقاً
فحكاه من جرائه عناء مرّاً وبينما هو على
هذه الحالة قبضت الفتاة على يديه وجذبتها
الى صدرها فغسلتها بماء مقلتها وقالت له
- وما بك جعلت فداك . فاجابها

- ليس لي صبر على فراق باسبارتو
الذي بذل حياته في سبيل انتاذا جميعاً
من مخالف اولئك القوم الاشقياء وقد
اخلى لي الخدمة في كل المدة التي قضاها
معي فلا بد من افراج كرتيه والسعي في
انتاذه اذا كان عند السيوس اسيراً

وبعد ان فرغ من كلامه تقدم الى
فائد حامية كبير في الذي كان قد اتى
لتجديدهم بمائة جندي وقال له ان ثلاثة
منا اسرهم السيوس وعار علينا ان تتركهم
بين انياب هولاء الوحوش يتقلبون على
شوك القنادر ويجرعون كأس الذل
والخسف فالشرف والمروءة يقضيان علينا
باتاذاهم مهما ترتب على ذلك من اراقة
الدماء وضياع الرجال والاموال وان
انتاذاهم فرض لا بد من وفاته ودين

القتال

وطاب فيكس من المسترفوج ان يلحق به ايضاً فشكره وكلفه بان يبق مراقباً للقناة عائدة وان يعتني بشأنها اذا مات شهيداً في سبيل الدفاع عن الانسانية فشق على فيكس ان يفارق فوج لص البنك الذي تأثره من السويس ولكنه اجاب طلبه مضطراً فاطرق في الارض مصنراً الوجه من الخوف على حياته اذ يكون تعبته قد راح سدى .

ثم تقدم فوج الى القناة عائدة وسلمها جعبة السفر التي تحتوي على السفنجه وز يدها هزة الوداع الى حين الاجتماع وسار بحملته الى حيث اراد ان يتخذ باسبارتو وكان قد سبق فوعد الجنود اللاحقة به ان يعطيهم جائزة الف ليرة اذا انقذوا الانخاص المراد انقاذهم

وبعد ذهابه انفردت القناة عائدة في خجيرة بالمحطة واستسلمت للغم متقادة للعذاب شأن الواقع في البلاء الجسيم والخطب العظيم وكانت تتكرر بالمستر فوج وما طبع عليه من الشهامة وكرم النفس فيزداد حبها فيه وشغفها به ثم تنتقل

لأمناس صاحب المروءة من قضائه ولا سيما ان الشاب باسبارتو بينهم وهو الفتى الذي انقذنا جميعنا من الهلاك فقال له القائد

— ليس لدينا قوة كافية للهجوم وليس من الحكمة ان تراق دماء خمسين رجلاً في سبيل انقاذ ثلاثة فقط

فيحشد الفف فوج الى المحصور وقال لهم

— اني حرّ بفضل الموت على العار ولا يدع انصاره في حالتي اليأس والحمول فيلحق بي لتنجي رفقاءنا الذين لاشك انه قد مر عليهم الى الان من العبر ما هو جدير بان يكتب بالابر على امامي البصر وما اتم كلامه حتى اضطربت في رأس القائد شعلة المروءة فالتفت الى جنوده وقال لهم

— من منكم يدافع عن الانسانية بحياته

فلباه خمسون جندياً بصوت واحد فاخار منهم ثلاثين وامرهم بالذهاب مع المسترفوج بقيادة قائد طاعن في السن ولكنه مدرب مروض الجسم في ميادين

كبرني وعندما تبين الركاب ذلك فرحوا
وانهجوا وسرورا لامزيد عليه
وعند الساعة الثانية بعد ظهر اليوم
دنت الآلة البخارية من القطار فارتبطت
بها واخذت في التأهب لجره فلاحظت
ذلك السيدة عائدة واقبلت على السائق
تسأله

- متى يسافر القطار
- في الحال يا مولاتي
- اسمع لك شهادتك بترك المستر
فوج مع حملته في هذه القطار
- ان واجباتي تقضي علي بالسفر
ولا سببا بعد ان تأخر القطار ثلاث
ساعات عن ميعاده الميعين
- ومتى يمر من هنا غير هذا القطار
- في مساء الغد فتفضلني يا سيدتي
واركي القطار اذا كنت مسافرة
- لا لا اسافر لا اسافر
- وكان فيكس مصفيا لهذه المحاوره
وبعد ان كان شديد الرغبة في السفر
شعر بمحرك مجهول يدفعه نحو ركوب
القطار وينتعه من التقدم والخروج من
مكانه

من ذلك الى افتراض ان يترك السبوس
به فتتقد النار في مهجتها وتظلم الدنيا في
عينها وتزداد غما وعذابا على غمها وعذابها
وعند الساعة الثانية بعد ظهر اليوم
بينما كان الثلج يتساقط على الارض اذ سمع
الركاب عن بعد صغير آلة بخارية فوجهوا
الاذن نحو مصدر الصغير ثم اجالوا ابصارهم
في الفضاء فابصروا عن بعد آلة بخارية
نشق البيداء قادمة اليهم على عجل
فوقفت على بعد عشرين ميلا من محطة
كبرني

وحدث انه عندما استولى السبوس
على القطار كما تقدم الكلام وقبض رئيسهم
على الآلة التي تقوم انقطارات كان
المهندس والوقاد قد وقعا في مكانها
غائبي الرشد من شدة الضرب الذي ذاقاه
ولما فصل باسبارتو الآلة عن القطارات
على ما مر بنا من الكلام ارتد السبوس
الى الوراء ونزل من كان منهم على الآلة
الى الارض لاحتين برقائهم ولما اطفئت
النار في الخلقين وقفت الآلة في وسط
الصماري ثم انه عندما افاق مهندسها
ووقادها من غشوتها عادا بها الى محطة

لا يشعر بالبرد القارس ولا بمساقط الثلوج
وقد لبث في مكانه حتى صباح اليوم التالي
وكان قائد حامية كير في قلقاً مضطرباً
على عدم اياب السرية التي ارسلها مع
المستر فوج وقد حار فيها بجريه هـ
يشفعها بشرذمة اخرى من جنوده لتبحث
عنها لم يلبث متظراً ثم انه لما فرغ صبره
امر ضابط القلعة باستكشاف ناحية
الجنوب وبعد وقت يسير حضر الضابط
من موقع الاستكشاف واخبر ان فوج
عائد بالظفر والغنية

وبعد بركة يسيرة من الزمان وصل
فوج الى المحطة مصحوباً بالشاب باسبارتو
والاثنين الاخرين الذين اسرهم السيوس
وكانت الجيوش من حوله تنني على
بسالته وحسن تدريبه في الفنون العسكرية
وقد تقدم المجازة حسب وعده

ولما بلغ فوج رصيف المحطة
تقدمت السيدة عائدة لاستقباله راقصة
فرحاً لا تدري كيف تعلن سرورها وتفصح
بسعادتها ولما وضعت يدها في يده وبادلته
الحية رأى منها ما كاد ينطقها بلسان
القاتل

وبعد ان ثقلت الجرحى الى عربات
القطار وفي جلتهن الكولونل بركنور سار
القطار باسرع من لمح البصر وعادت السيدة
عائدة الى الحجرة المعدة لها بالمحطة فوقفت
امام نافذتها الزجاجية تنظر الى ما يمر بها
وتحسب كل من تراه فيلاس فوج ولما
اقبل الليل ولم يعد اشتد فيها عامل
الاسى والاسف فاسترسلت للبكاء حتى
تفرحت منها الجفون ومن شدة ما استولى
عليها من الاضطراب سقطت على متكأ مكتبة
وبدلت شدة الحزن هيئتها وغيرت محاسن
خلعها وقد لبثت صامتة تصغي الى جملجة
الريود وحركة تساقط الثلوج حتى بزغ
الصباح فخرجت الى رصيف المحطة تنظر
يمنة وشمالاً ولما لم تنظر المستر فوج عادت
الى حالتها من القلق والاكتئاب والخوف
والاضطراب

ويا عجباً كيف لا تذوب اني على
منفذ حياتها من الموت ومثملها من
افواه الهلاك

اما فيكن فبعد مبارحة القطار
للمحطة جلس على متكأ فيها لا يدي
حراكاً فاقد الرشد غائباً عن الحواس

حيث اريد وبها انني كنت في انتظارك
فماوقفت على كيفية سير تلك الآلة فاكتفيت
بان اجيب ذاك الامر كافي بقولي له ان
يخصر الي في هذا اليوم وهو يقطن كوخاً
لا يعد من هنا اكثر من عشرين خطوة
- وابن كوخه

- بالقرب من حصن كبير
فتوجه المسترفوج الى حيث الكوخ
ورأى الآلة فوجدها غاية في الاتقان
والانتظام فاكثرها من صاحبها بقدر
معلوم من الدناير
وما ادراك ما هي هذه الآلة في بلاد
الامركان

هي مركبة ليس لها عجلات تسع من
ثمانية الى تسعة اشخاص تسير فوق الثلوج
بقوة الرياح باسرع من سير قطار
الاكسبرس . يقوم في مقدمها صار طوليل
مشدود بجبال معدنية ومعزز بدعائم
حديدية وفوقه قلع كبير مربع وفي مؤخرها
دفة على شبه المجذاف تستعمل لتسيير
المركبة في الطريق المتصودة وفي جوفها
مناقب لحرق الثلوج وكثيراً ما تستعمل
في تلك الديار لنقل الركاب عندما ينزع

وحياتكم وحياتكم قسماً وفي
عمري بغير حياتكم لم احلف
لوان روحي في يدي ووهبتها
لمبشري بقدمكم لم اسرف

الفصل الحادي والثلاثون
في اهتمام البصاص فيكس بشأن
المستر فيلاس فوج
وكان وصول المسترفوج الى المحطة
بعد قيام الفطار منها بعشرين ساعة صرفها
في انقاذ باسبارتو من اسره وبينما كان
يبحث على وسيلة يتمكن بواسطتها من
استئناف المسير ومتابعة السفر وتعويض
الوقت الذي فقده اقترب منه فيكس
وحلق في وجهه ثم سأله قائلاً
- من اللازم ان تبلغ نيويورك في
١١ الجاري لتتركب الباخرة المسافرة من
مرفائها الى ليفربول في الساعة التاسعة
مساءً

- ومن يمكنني من ذلك وقد صار
لدي ضرباً مستحيلاً
- ان احد الامركان المدعوموخ
عرض علي بالامس آلة تقل تحملي الى

تكاثف التلوج القطار من المسير
وقبل ان تسير المركبة في وسط تلك
القفار الشاسعة اراد المسترفوج ان يترك
السيدة عائدة تحت ملاحظة باسبارتو
فيقودها الى اوربا بدون ان تقاسي المشاق
التي يقاسيها هو فأبى الفتاة الافتراق
عنه ولومها عانت من المصاعب والاهوال
فسر باسبارتو بابائهما لذلك وعظمت في
عينيه

وعند الساعة الثامنة كانت المركبة
مستعدة للمسير فركبها المسافرون وجلس
سائقها امام الدفة وبعد فترة نشر لها
قلعين فقط فسارت بها سيراً ابرق على
صفحات الافاق تنقطع في الساعة مسافة
اربعين ميلاً. وإذا استمرت الريح تخدعها
ولم يطرأ عليها حادث غير متظر بلغت
للمحالة محطة اوماحا قبل قيام القطار
منها الى شيكاكو

وقد كان لصاحبها همة وفيه في
تسييرها ورغبة شديدة في البلوغ بها الى
اوماحا في الاجل الذي ضربه له فوج
حتى ينال الجائزة التي وعد بها علاوة على
الاجرة فلا عجب لذلك اذا رأينا ناشراً

جميع قلوغها بقصد الاسراع في المسير
وليثت الريح تخدم سير المركبة وتنفع قلوغها
الكثيرة بشدة حتى جعلت لمسيرها سرعة
يعجز عن وصفها اليراع ولا تضاهيها سرعة
الخمار وقد قطعت اليد والقفار باسرع
من لمح البصر حتى إنه من فرط سرعتها
وشدة اهتزازها لم يستطع الركاب اثناء
الطريق ان يفوهوا ببنت شفة وعند الظهر
اقتربت من نهر بلات التجمد الذي
لا تبعد عنه محطة اوماحا سوى عشرين
ميلاً

وكان السائق قد علم بقرب الوصول
الى اوماحا ولكنه كتم ذلك عن الركاب
قصد ان يباغتهم السرور

وما حلت الساعة الواحدة بعد
الظهر حتى طوى السائق التلوج واوقف
مسير المركبة وهول الى الركاب فقال لم
- بشراكم بشراكم قد بلغت المارد ووصلتم
الى محطة اوماحا وما القصار على الهبة
المسير فاسرعوا بالنزول

فضج الجميع باصوات السرور وقد
المسترفوج السائق اجرته والجائزة التي
وعدة بها وانطلقوا جميعاً الى القطار وما

مصاعب حتى تدممه اخرى كانه هو وحده
في الارض عدو للزمان

ولم يبق فيه سفر الباخرة شائنا ولم
يذر فقد ذهب ببقية امله وقطع رجاءه من
نجاح رحلته بعد ان كابد من اجلها المشاق
والاتعاب ولما بلغ هذه الدرجة من سوء
الطالع عول على مكافئة نخسه بثبات لعله
يظفر به فواعجباء ممن يضيئون ذرعاً
وينفرغ صبرهم عند وقوعهم في احدى
التكبات ولا يشطون للتخلص منها كانتهم
لا يجدون لهم مخرجاً منها وهو داب الجبناء
الاغبياء

واخذ المسترفوج بخطر على رصيف
الميناء ويسأل كل من وجده عن ميعاد
سفره البواخر الى ليفربول رأساً في تلك
الليلة فلم يأت به احد بالبناء الشافي لغليل
فواد، فانه لم يكن في المرفأ بواخر برسم
السفر رأساً الى ليفربول وإنما كان فيه
سفينة فرنسوية من شركة الترانساتلانتيك
على عزم ان تسافر في ١٤ دسمبر الى مياه
الهافر لا رأساً الى ليفربول ولوندره وكان
غيرها ايضاً سفن اخرى من شركات
متعددة عازمة ان تسافر ايضاً في الميعاد

ركبوه حتى قام وطار يطوي السهول
ويعد المسترفوج ورفقائه ببلوغ المأمول
كأنه عالم بالضرورة القاضية على المستر
فوج بسرعة الوصول الى نيويورك

اما القطار فوصل في الساعة الرابعة
من مساء اليوم التالي اي عاشر دسمبر الى
محطة شيكاغو التي تبعد عن نيويورك
مسافة تسعمائة ميل وقد قام بعد برهة
من هذه المحطة فصار نحو نيويورك ووصل
اليها في حادي عشر الشهر المذكور عند
الساعة الحادية عشرة وربع من المساء اي
بعد قيام الباخرة شائنا الى ليفربول
بخمسة واربعين دقيقة

الفصل الثاني والثلاثون

مثل الفريق نجاً ووافي ساحلاً
فاذا الاسود روابض بجواره
في كل يوم حادث جديد يلقي في
سبيل المسترفوج عقبات التأخير كأن
الايام آتت الا ان تضرب عليه حجاباً من
الموانع كثيفاً أو كأنها آلت على نفسها
ان تجعل له اليأس حليفاً فهو لا يداوي
جرحاً حتى تسيل جروح ولا يذال

ذاته الى المافر

وبعد ان سذر المستر فوج غور جينغ
البواخر العازمة على السفر ولم يجد بينها
واحدة مسافرة على الفور قال في نفسه
شرُّ الصباح ولا خير المساء

دع التقادير تجري في اعتها
ولا تننَّ الا خائِيَّ البال

ما بين غمضة عين واتباهتها
يغير الله من حال الى حال

وقد اكترى مركبة احتملة بن معه
الى فندق القديس تقولا . حيثما عدت لهم
فيه المبيت فنام المستر فوج تلك الليلة
مل جفنيه شأن من ليس لديه شغل
يشغل افكاره فيقذح لاجله زناد فكرته
اما السيدة عائدة والشاب باسبارتو فقد
صرفا الليلة بتمامها يقتلبان على حجر الارق
خافقي القلبين خامدي النفسين آسفين
على اخفاق رحلة المستر فوج

واليوم التالي كان يوم ١٢ دسمبر من
الساعة السابعة من صباحه حتى الساعة
الثامنة والدقيقة ٤٥ من مساء اليوم الثاني
والعشرين يبقى للمسترفوج تسعة ايام
وثلاث عشرة ساعة و٤٥ دقيقة من ايام

رحلته المعينة فلو سافر على الباخرة شانبا
لكان وصل الى لوندرة في الوقت المطلوب
وعند الصباح نهض المستر فوج
من رقادته واستدعى اليه باسبارتو فاخبره
بمخروجه واوصاه بملاحظة الفتاة وإيقاظها
من النوم وخرج من الفندق سائراً حتى
وصل الى شاطئ هيدسول فرأى السفن
والبواخر راسية في مياه هذا النهر بالقرب
من الرصيف وبينها باخرة تجارية تصاعد
الدخان من مدخنتها اشارة الى قرب
سفرها فتوجه اليها المستر فوج بسرعة لم
ينطلق بها احد من قبله وما وصل اليها
حتى انفرد من ربانها وكان رجلاً قد
ناهز الخمسين من سنه واسمه القبودان
اندر اوس سييدي دي كارديف واسم
باخرته . هارنجه . فسأله المستر فوج بقوله

— الى اين انت مسافر بالباخرة

— الى بورديو

— كم ميل تقطع هذه الباخرة في

الساعة

— من ١١ الى ١٢ ميلاً

— تريد ان تؤجرني اياها الى

ليفربول

- ليس ذلك بإمكانني لاني مسافر
 الى بوردو
 - ولو هما دفعت لك من الاجرة
 - نعم
 - اذالم تردان تؤجرها فاني اشتريها
 منك
 - كيف ابيعها وهي باب رزقي
 فحار المسترفوج في امره ولم ينفعه
 الاسراف في هذه المرة ولا الدرهم الواضح
 كما نفعه في كون كون فاكترى به السفينة
 نانكادير
 ثم قدح زناده فكرته في ايجاد الطريقة
 التي تمكنه من استئجار الباخرة من ربانها
 فخطر بباله ان يطلب من الربان ان
 ينقله مع رفقاته الى بوردو فطلب ذلك
 من الربان فاجابه بقوله
 - ان باخري لا تحمل ركابا ولو
 تدني الراكب مائتي ريال
 فقال فوج
 - اني ادفع لك التي ريال عن
 كل راكب اي عبارة عن ١٠٠٠٠ فرنك
 فقال الربان
 - وكم يبلغ عددكم
- اربعة اشخاص
 فلما سمع الربان لفظه التي ريال
 عن كل راكب هاج فيه عامل الطمع
 فأمر يده على جيبه شأن المتروني في
 الامر ولما نيين جسامه الاكتساب بدون
 ان يلحق بسفنه تغير ما التفت الى المستر
 فوج وقال له
 - استعد للسفر في الساعة التاسعة
 وكانت الساعة اذ ذاك ٨ ١/٢ فنزل
 المسترفوج الى البر وسار في مركبته الى
 فندق . القديس نقولا . فاحضر عليها
 الفتاة عائدة والشاب باسبارتو والبصاح
 فيكس الذي بات رفيقا لم غير مفارق
 فوصلوا الى الباخرة في ميعاد سفرها
 وعندما علم باسبارتو بالاجرة التي
 يتقدها مولاه عن كل راكب صعد زفير
 التحسر والتأسف على المبالغ التي بذلت
 بسببه ولكن فيكس كان شفيظ غيظا من
 اسراف المسترفوج وتبذيره حرصا على
 مصلحة بنك انكلترة لان مصاريف فوج
 بلغت الى الان فوق سبعة الاف ليرة
 استرلينية

الفصل الثالث والثلاثون

وقد سافرت بالافاق حتى

رضيتُ من الغنية بالاياب

وبعد مرور ساعة من الزمان مرت

الباحرة بالسفينة البخارية الراسية في

مدخل البوغاز لارشاد البواخر والسفن

الشرعية الى طريق المرور فيه وتحولت

نحو نقطة ساندي هول الى ان اعتلت

ظهر الم فالتجته نحو الشرق بعد ان

اجازت طول الجزيرة التي تقذف المواد

النارية من براكينها وظلت سائرة في

عرض البحر تشق العباب وتخترق الامواج

حتى اقبل ظهر الغد الواقع في ١٢ ديسمبر

فصعد الى سطحها رجل واستلم قيادتها

فحول سيرها الى نقطة يقصدها من سفره

وما ادراك من هو ذاك الرجل -

هو المستر فيلاس فوج الذي يتغى السفر

الى ليفربول على ظهر الباحرة هانترجه وما

مكنه رئيسها من مقصده فاستعمل

التخديعة والدسيسة في مدة الثلاثين

ساعة التي مضت على وجوده عليها حتى

استمال اليه خواطر ملاحيكها بالمالينة

وبذل الديار فبنوا طاعة ربانهم ظهرياً

وغدا لاول امره مطيعين طوع البنان فلما

تبين الرئيس منهم التمرد والعصيان

تمزق غيظاً وتركهم وشأنهم خوفاً من شرهم

وانزوى في حجرته كئيباً حزينا فعند

ذلك صعد المستر فوج الى ممشى الباحرة

يسوقها الى ليفربول بالسرعة المطلوبة

وسارت الباحرة لازمة حد الاعتدال

في سرعتها القانونية تقطع في الساعة

من ١١ الى ١٢ ميلاً واذا لبثت الريح

خادمة لها ولم يحدث في البحر انواء ولم

تذروا رابع ورياح ولم يطرأ على الاتهام

تعطيل تصل بحول الله الى ليفربول في

٢١ ديسمبر

ووقف باسبارتو على خديعة مولاه

فغبطه على افلاح مسعاه وانطلق سعيداً

فرحاً يمشي على سطح السفينة مرحاً ويخطر

بين نوتيتها مغم القلب هناء وسروراً

فتحولت اليه انظارهم واباحوا له ان يكلم

معم حتى امتزج بهم امتزاج الارواح

بالابدان وكان يقضي معظم الاوقات معم

بالضحك والمزاح فيقص عليهم النوادر

الهزلية والقصص المضحكة مظهرًا لم ما

لديه من العلم وما فيه من الذكاء بافصح

لسان واعذب بيان وكان في بعض
الاحيان يدبر عليهم كؤوس المدام ويدعوهم
بارق الالفاظ حتى استسلم اليه با فطر
عليه من حسن الاخلاق وطلاقة الوجه
ولين العريكة وقد كان الملاحون
يبدلون ما في وسعهم في سبيل تسبير
البخرة بنشر القلوع وشد الحبال ابتغاء
لمرضاة باسبارتو الذي تملك حبه قلوبهم
اما فيكس فكان جاهلاً للامر لا يدري
لقيادة فوج للبخرة سبياً ولا يعرف لاتياد
الملاحين لاوامره سرّاً والذي خيل له
والحالة هذه هوان المسترفوج كما تمكن
من سرقة ٥٥ الف ليرة من بنك انكلترة
تمكن الان من سرقة البخرة فاخذ
يقودها الى حيث يشاء ويريد فلما خطر

سبق المسترفوج فعلم في الليلة الماضية
من ميزان الهواء انه سيحدث تغيير في
الجو وتبدلاً في الرياح التي ما لبثت ان
هبت بين الشرق والمجنوب وبناء عليه
اشار الى النوتية بطي القلوع لئلا تلعب
بها الرياح فتقود السفينة الى حيث تشاء
وعندما هبت الرياح وثار الامواج
باشد هياج في ذلك البحر العجاج وقع
باسبارتو صريعاً يقاسي الم البحر والخوف
من فقد الحيرة وتأخر البخرة عن
الوصول في اليوم المعين فيحقق مسعى
مولاه ولا عجب اذا كان مكتئباً حزينا
مضطرب البال متقبض الصدر متفعل
النفس يروم للبخرة خروجاً من موقعها
الحرج

وفي الواقع ان البخرة كانت في
خطر شديد من الفرق لان الرياح
شدت عليها الوطأة والامواج ثارت
عليها بشدة فكانت ترفعها وتخفضها وتندفع
على سطحها وتقلبها تارة يميناً وطوراً اشمالاً
وقد ابدى المسترفوج شجاعة كلية فاقمة
اذ لم يكب له جواد جهدي ولم يخفق له
قلوب ولم يضطرب له بال بل كان

ومرت البخرة في ثالث عشر دسمبر
بذيل كثيب من الرمال واقع في نقطة
غير جيدة من البحر المخناط بالارض
المجددة يكثر فيها هياج الامواج وتكاثف
الضباب خصوصاً في فصل الشتاء وقد

من الفحم على وشك النفاد ضرب اخماساً
لاسداس وانصرف عنه الالم الذي كان
معترياً اياه ثم اخذ يفكر في الفحم والسفينة
حتى تقابل مع فيكس فاطلعه على الامر
فقال له فيكس

- اتظن ان المسترفوج يسير بالباخرة

الى ليفربول

فاجابه باسبارتو

- لا بحالة

فهز فيكس كتفيه وطوى عنه كتيهاً

بعد ان قال له

- يالك من الله مغرور

(عود الى فوج) اما المسترفوج فكان

واقفاً على سطح الباخرة يفكر في الوصول

الى طريقته تضمن للسفينة اطراد السير

وبعد استغراق بضع ساعات في التأمل

استدعى بالمهندس الذي حالما امثل

بين يديه تلقى منه التعليمات اللازمة وعاد

الى مكان الآلة فاشعل الفحم في جميع

خلايقها فصعد من المدخنة دخان كثيف

حجب وجه السماء عن الابصار وبعد مضي

يومين سارت بهما السفينة بسرعة لا توصف

نفد منها الفحم فاقبل المهندس على المستر

واقفاً يلقي الاوامر الى مهندسى الآلة
والابعازات الى ملاحي السفينة بدون ان
يعباء بالمخطر الذي يوعده والشدة التي
كان فيها وبدون ان يطلب من السماء
تفريج الكربة الدهماء

واستمرت الحالة على ما تقدم الى ان

اقبل اليوم السادس عشر من شهر ديسمبر

وكان هذا اليوم هو اليوم الخامس والسبعون

من مبارحة المسترفوج لمدينة لوندرة ففي

غضونه صعد مهندس الباخرة الى ظهرها

وتقابل مع المسترفوج ودار بينهما الحديث

وطال فما وعى منه باسبارتو غير الكلام

الآتى

فوج . هل تاكد لديك ان الباخرة

تقدمت كثيراً في سيرها

المهندس . اني على يقين ما قلت

لانا اوقدنا النار في جميع خلايقها ولذلك

فالغم اوشك ان ينتهي لانه لم يكن في

سابق علمنا ان الباخرة ستقلع الى ليفربول

ومن ثم لم نذخرها المؤنة الكافية لابلغها

الى بوردو فقط

فوج . ساندبر الامر

ولما عرف باسبارتو ان مؤنة السفينة

السمة وبالاسمة المحجم ان لا تكلفني في مثل
هذا الشأن فكيف اسمع لك باحراق
باخرتي وهي باب رزقي وقد كلفني من
النقات خمسين الف ريال

فوج ٠ مديك فيها ٦٠ الف ريال
(٣٠٠٠٠٠ فرنك) ثمنها وما عدا ذلك
فاني عندما اصل الى ليفربول اهيك
الآلة البخارية وحديد السفينة وسائر ما
يغجو فيها من الحريق ولا تعين من
اسرافي فللضرورة احكام لا بد من الرضوخ
اليها والحالة تضطري ان اكون في ٢١
دسمبر عند الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥
ليلاً في لوندريه واذا اخطأت هذا الميعاد
اخسر مبلغ عشرين الف ليره

فتناول الامركاني السفائح بيده وخمدت
في قلبه نار الغضب المستعرة وابتهج بحياه
وابتم ثغره وطفق يحسب قيم السفائح
وبعد ذلك دسها في جيبه ولا تسلم
عن البصاص فيكس فانه عندما رأى
الامركاني يعد قدراً عظيماً من السفائح
اصبح كمن اصاحه جنة وتأجج فواده بنار
الغضب والخط على فوج الذي كان
يذل الدينار من غير حساب

فوج يقول له قد نفذ الفهم فا العمل
فاجابه : ضع ثقلاً على لولب الآلة ولا
تحفف النار بل انتظر امامها حتى يأتبك
ما توقده قال هذا واستدعى في الحال
بمخادمه باسبارتو وأشار اليه باحضار
الربان سيدي فذهب الى حجرة الربان
لاستدعائه رغماً عن ارادته لانه لم يكن
يجهل غيظه وحنقه على مولاه وفي الواقع
ان الربان كان مستشيطاً غيظاً فخرج
من حجرته لمقابلة المستر فوج كثر خارج
من مريضه او كصاعقة قريه الانفجار
ثم خاطب المستر فوج عن بعد
بجدة وقت وقال له :

— اين نحن

فاجابه فوج

— نحن في نقطة تبعد عن ليفربول

مسافة مائة وسبعين ميلاً

الربان : وماذا تريد مني اذا كان
لك دراية تامة في فن البحر ولماذا استدعيتني
اليك

فوج : اريد منك ان تبيني هذه
الباحرة لاحرقها لان الفهم فرغ منا
الربان : يا الجنون استخلفك بلاءكة

من كينستاون في الساعة الواحدة ونصف
من الصباح فسار بهم الى دوبلين ومنها
ركبوا باخرة صغيرة فوصلوا الى ليفربول
في ٢١ ديسمبر عند الظهر

وما وطئوا ارض ليفربول حتى تقدم
فيكس الى المستر فوج ووضع يده على
كفنه وقبض في يده الاخرى على الامر
الذي تلقاه من لوندرو بتوقيفه وقال له
- انت المستر فوج بشخصك

- نعم

- ابي التي القبض عليك باسم
جلالة الملكة

الفصل الرابع والثلاثون

ومازلت اقطع عرض البلا

د من المشرقين الى المغربين

وادرع الخوف تحت الدجى

واستصحب النسر والفرقدن

واطوي وانشر ثوب الهمو

م الى ان رجعت بخفي حنين

ولما قبض على المستر فوج ادخل

الى احدى غرف سراي الجيمرك في ليفربول

على عزم ابقائه فيها مسجوناً الى ان تر

وبعد ان قبض الريان سيدي
ثمن باخرته صار المستر فوج حراً بان
يصرف فيها كيف شاء وبناءً عليه امر
بتكسير اخشاب الغرف وسطح السفينة
وتقديمها للنار فاقبلها اللهب عاجلاً وفي
تاسع عشر ديسمبر قدموا للنار الصواري
وخشب العنابر وقوارب السفينة وكان
الملاحون يوقدون الاخشاب باجتهاد
وباسبارتو يكسر القطع الكبيرة الضخمة
وفي العشرين من شهر ديسمبر نفذت
اخشاب السفينة وما بقي فيها سوى الصاج
والحديد والآلة الا انها كانت قد اشرفت
على مدينة كينستاون من اعمال ارلنده
فساقها المستر فوج نحو المرفأ فدخلته
سائلة فخرج منها مع رفاقه الى البر وقد
ودع الريان سيدي وقد التوية
والوقادين والمهندسين الجوائز التي
وعدم بها

وما نزل المستر فوج الى الارض مع
رفاقه حتى اخذ فيكس بتدبير الحيلة في
انقبض عليه ولكنه استنج ذلك بالنظر
الى ما عامله به فوج من المعروف
والاحسان ثم ساروا جميعاً فركبوا القطار

الأوامر بقله الى لوندريه وعندما كان
البصاص فيكس يلقى القبض عليه ثم
باسبارتو على الفتك به فردعه الشرط
بالتهديد والوعيد اما السيدة عائدة فكانت
واقفة موقف المذهل إجماع ولما اطلعها
باسبارتو على كنه المحالة تمزق فوادها اسفاً
على متعتها المستر فوج ولما رأت نفسها
عاجزة عن اتقائه جعلت دأبها النوح
والبكاء

وكان باسبارتو يلوم نفسه اشد اللوم
لكمائه عن مولاه امر فيكس فكان يقول
في نفسه لو انذرت مولاي بالامر وبجت
له بالسرماء عدم وسيلة من اقناع البصاص
ببرأته وعلو مكائمه وترفعه عن التهمة التي
بوجهها عليه ولكن ماذا ينفع الندم وقد
سبق السيف العذل

وجلس باسبارتو مع السيدة عائدة
على مقعد تحت رواقٍ مستهدفٍ للريح
الباردة والبرد الفارس

وكان وصول فوج الى مدينة ليفربول
في الساعة الحادية عشرة والدقيقة ٤٠ من
يوم ٢١ ديسمبر اي قبل انتهاء مدة رحلته
بتسع ساعات و٤٥ دقيقة يصرف منها

ست ساعات في الذهاب من ليفربول
الى لوندريه ويستريح في داره الكائنة في
شارع سافيل الى حلول الوقت الذي
عينه لوجوده في الغلوب وبعد ان اصبح
على يقين من نجاح رحلته العجيبة التي
شهد فيها الاهوال ولقي المصاعب وذل
العقبات امسى في حالة اليأس لان
فشله يجلب عليه العار والشنار وخراب
الدار فانه يتقد قيمة الرهان ويصير مضغة
في فم الزمان ويذوق طعم الذل والهوان
ويقاسي ألم الفقر المدقع وبعد ان دخل
الى سجنه جلس على متكا في ووضعه
ساعته على مائدة امامه فنظر الى حركة
عقرها بدون ان يفوه بينت شفة او
تبدو على وجهه علام التلق والاضطراب
والغم والاكتئاب وبعد ان اغلق عليه
باب سجنه انقبض منه الصدر وتأجج في
فواده سعي الغضب فكان ينهض من
مكانه ويمشي في الحجرة طلباً لمخرج يهون
له سبيل الفرار فيلقى على المنافذ قضباناً
حديدية تحظر عليه الخروج ويأتي الباب
متيناً لا يستطيع كسره فيعود ويجلس في
مكانه ويخرج من حبيبه دفتر رحلته

فيقرأ السطور الآتية

(٢١ ديسمبر) . (السبت) (ليفربول)

(٨٠ يوماً) . (الساعة ١١) (والدقيقة

٤٠ صباحاً)

ثم أعلن جرس ساعة الكمرك ان

الوقت بلغ الساعة الاولى من بعد ظهر

النهار فنظر المستر فوج الى ساعته فوجد

فيها تأخيراً بلغ زهاء الدقيقتين فافترض

حينئذ انه اذا ركب الاكسبريس القائم

في الساعة الثانية يصل الى لوندرة

ويبلغ غرفة القلوب قبل الساعة الثامنة

وعند الساعة الثانية والدقيقة ٢٢

سمع ضوضاء ثم صرير ابواب نفخ ثم صوت

باسبارتو ثم صراخ فيكس فنظر الى باب

السجن فرآه مفتوحاً والسيدة عائدة داخلة

منه ركضاً فاقتربت منه وقبضت على يديه

وورعها باسبارتو فتوجه معها فوج الى

الباب فرأى البصاص فيكس مرخي شعور

الرأس غائباً عن المحاس فلما رأى فوج

اطرق في الارض خجلاً منه وقال له

بصوت متلعج

عفواً... عفواً... يا مولاي .. فيك

تشابه كلي .. وقد قبض على اللص منذ

ثلاثة ايام .. وانت مُطلق السبيل

فحملت فوج في وجهه واندفع نحوه

فلطمه لطمه كادت تكون القاضية فقال

له باسبارتو

— عافاك الله يا سيدي وحيّاك لا

شلت يداك ولا اثمت بك اعداك اوسع

هذا اللثيم ضرباً فبالحقيقة يا مولاي

اذا انت اكرمت الكرم ملكنة

وان انت اكرمت اللثيم تمردا

فوضع الندي في موضع السيف بالعدى

مضراً كوضع السيف في موضع الندي

وبعد ذلك انطلق فوج بالسيدة

عائدة والشاب باسبارتو الى محطة ليفربول

فاستغرب عن ميعاد قيام الاكسبريس فقيل

له انه قام منذ ٢٥ دقيقة فطلب من

وكيل المحطة قطاراً مخصوصاً فاعد له

قطاراً عند الساعة الثالثة (بعد ان

خلت السكة من القطارات الاعيادية)

فركبه مع رفيقه (بعد ان انفرد بالمهندس

ووعده بجائزة تقديده اذا طار بالقطار الى

لوندرة) وسار بهم وفي ظرف خمس ساعات

ونصف ساعة اوصلهم الى لوندرة

ولما خرج رجل الرحلة من العربى مع

السيدة عائدة وخادمه ووطشوا محطة لوندرة
دقت الساعة ثمانى دقائق والدقيقة ٥٠
في انحاء لوندرة فكان تأخره عن الزمان
الذي حددته في صك الرهان خمس
دقائق فيكون اذن قد خسر الرهان

الفصل الخامس والثلاثون

كيف ان باسبارتو نفذ امر مولاه عاجلاً
لوعلم سكان شارع سافيل باباب
المستر فوج لاخذهم العجب وكيف يعلمون
بذلك وما رأوا فوج وما تبينوا في منزله
تغيراً من حيث فتح الشبابيك والابواب
وعندما بارح المستر فوج محطة لوندرة
اتجه نحو منزله بالسيدة عائدة وامر باسبارتو
بان يذهب الى السوق لابتياح بعض
الحوائج واي براع يمكنه ان يأتي بوصف
حالة فوج عند عودته الى منزله فوان
يكن لم تبد على وجهه علام الغلق
والاضطراب والغم والاكتئاب ولكنه كان
عائداً لاشك بخفي حين لاخفاق مسعاه
بعد ان جاب الافاق وذل المصاعب
واقحم الاهوال واصطنع اثنا طريقه
المبرات وبعد ان كان على وشك الوصول

الى المرام فعاقه عن كل ذلك من احسن
اليه وهو ذاك البصيص الذي قبض
عليه بصفة لص مجرم

ومن يعلم ان المسترفوج اصبح فقيراً
ولا يتأسف عليه لان المبالغ التي احملها
معه في رحلته وكان قد انقضا لم يبق
منها سوى النذر اليسير ومبلغ العشرين
الف ليرة الموضوع في بنك بارين اخوان
قد فقده الان وامسى ملكاً لرفاقه الذي
عقد معهم صك الرهان على الطواف
حول الارض في ثمانين يوماً

وقد تخصصت حجرة للسيدة عائدة
في بيت سافيل فدخلتها حزينة وانزوت
فيها مكتئبة قلقة البال على حالة المستر
فوج الذي ربما جره القنوط كما جبر
غيره من ابنا جلده الى ما لا تحسن
عاقبته واما باسبارتو فخالما صعد الى غرفته
اطفاً نور الغاز الذي كان قد تركه
موقداً منذ ليلة الرحلة وقد وجد في
صندوق الخطابات المعلق في حائط بيت
سافيل بيان لثمن الغاز الموقود محرر من
قبل شركة الغاز في لوندرة
ومرّ الليل عليهم جميعاً وهم على ارقى

وانظر الي واجباتك

فخرج وانطلق الى حجرة السيدة عائدة
فالفها على حالة من اقلق والكمد
لا توصف فقال لها

— مولائي اذهبي غير مأمورة عند
مولاي واقذيه من عذاب الضجر والبأس
تحلي لهُ في مظهر الجبال فانت بهجة الانظار
وفتنة الافكار وانت لاتعدين وسيلة
في تسلية خاطره وتفريج كربه

فاجابه عائدة بقولها

— وكيف اظهر لهُ بهيئة الغم والكمد
العله مرتاب في صدق ولائي وفرط
ثنائي على ما عاملني به من المعروف
والاحسان واني ارى من الصواب ان
البث متربصة الى المساء فانه سيجتمع لي
حسب قولك للمفاوضة معي

وكان يلوح في ذلك اليوم على
بيت سافيل علائم الاستيخاش ومنذ ان
سكنه المسترفوج لم يلبث فيه محجوباً عن
اعين الناس النهار بطوله الا في ذلك
اليوم وباعجياه فالي اين يذهب . آلى
الغلوب ان رقاءه ليسوا بانتظاره لانه لم
يحضر اليهم في الليلة المعينة حسب وعده

وسهاد وعند الصباح فرع المسترفوج
جرس الاستدعاء لحادمه باسبارنو وامره
باعداد الطعام للسيدة عائدة وان يعد لهُ
كاساً من المشاي وقطعة من اللحم وقضى
النهار جملة وهو يشتغل بترتيب بعض
اشغاله وعند المساء طلب من السيدة
عائدة ان يتفاوض معها بعض دقائق
وكان طلبه لها بواسطة باسبارنو

وقضى باسبارنو النهار بطوله مستسلماً
للغم مثلاً للخزن شأن من عرف خطاه
فاقر بذنيه ثم عض اصابع الندم على
عدم اخطار مولاه بمكنونات ضمير البصاح
فيكس وما كان ينويه لهُ من الاذى
والغدر بالقبض عليه متى سخط لهُ
الفرصة ومن عظم ما كان يبكت به ضميره
هام في اودية التأمل ثم نهض وذهب الى
حجرة مولاه وانطرح على قدميه قائلاً لهُ
بصوت متهدج

— مولاي مولاي انا السبب في
غلك وكربتك وبلواك وحزنك وو...
فاستوقفة المسترفوج عن الحدوث واجابه
بل الرصانة

— لا لوم عليك ولا تريب فاذهب

تبعثي بها ناعمة البال بما اضعه بين
يديك من المال اما الان وقد اصبحت
فقيراً فاسمعي لي ان اقي اليك ما بقي
عندي من النقود الى ان يمن الله عليك
بالفرج وقد بلغت الان دياراً تأمين
فيها شراؤك الهنود الذين كانوا عازمين
ان يبتوك شرمية

فاجابته عائدة بقولها

— صدقت يا مولاي فاني لا انكر
لك فضلاً ولا اكفر باحسانك
فلا شكرنك ما حييت وان امت
فلشكرنك اعظمي تحت النوى
ولكن يا مولاي قل لي ناشدتك الله ما
سيؤول اليه امرك
— ساعيش بسروري وهناء وسعادة
وصفاً

— ابن اصدقاؤك واقرباؤك
بفرجون كرتك

— ليس لي احد غير الله

— اي وخالق الحب والنوى وخالق
الحب والنوى ان الموت لاهون علي من
الحياة مبتعدة عنك ولا يطيب لي العيش
في بعدك فهلاً تجود علي يا منية فوادي

ام الى بنك بارين اخوان فان العشرين
الف ليرة المطلوبة لهُ منهم قد قددها بقصد
الرهان فالاجدر به والحالة هذه ان
يلبث في منزله منتظراً فرج الله العاجل
وكان باسبارتو اثناء ذلك النهار
يصعد السلم وينزلها مرة بعد اخرى ثم
يذهب الى غرفة مولاه فيجدها مغلقة فيعود
الى حجراته ثم يخرج منها ذاهباً الى غرفة
مولاه ايضاً فينظر الى ما داخلها من ثياب
قلل الباب ليري مولاه كأنه تصور ان
تلك الحالة ربما افضت بالمستر فوج الى
الفتنوط من الحيوة وقد خطر له ايضاً ان
يتم من البصاص فيكس غير انه بعد
التروي والامعان علم ان فيكس لم يحين
عليه ذنباً فانه قام بواجب وظيفته ولو
انه اخطأ المرى

وعند الساعة السابعة ونصف من
المساء استأذن فيلاس فوج الدخول
الى غرفة السيدة عائدة فدخل حجرتها
وجلس على كرسي بالقرب منها وبعد
سكوت استمر مدة خمس دقائق قال لها
— ارعني الجمع يا مولاي . قد اتيت
بك هذه الدبابة الانكليزية على امل ان

صاموئيل

الفصل السادس والثلاثون
 كيف ان سوق فيلاس فوج
 استأنف رواجه في لوندرة
 واخلفت الاقوال وتباينت الاراء
 في شأن جامس ستراند الذي أُلقي
 القبض عليه في سابع عشر ديسمبر
 لارتكابه سرقة بنك انكلترة وقد ذاع
 خبر جنائيه في جميع الولايات المتحدة
 فرمته الاسنة باسم الملام وعنفته بامر
 الكلام
 وقد كان المستر فوج منذ ثلاثة
 ايام مأخوذاً بصفة لص مجرم يقنني
 اثره رجال الحكومة للقبض عليه واما
 الان فقد حصص الحق وظهرت برأته
 وعلم انه كان يتم رحلته حول الارض
 بأكمل دقة وضبط اخذت اقلام ارباب
 الجرائد تخوض في بيان الامر حتى شغلت
 سكان لوندرة فاخذ القوم يستأنفون عقد
 الرهان بحيث انحصرت الاشغال في
 مسألة الطواف حول الارض
 اما رفقائه الخمسة اعضاء الغلوب

وتغذي زوجة لك

فأثر هذا الكلام في فواد المسترفوج
 ثم نظر الى وجهها نظرة الحب وقال لها
 بأدب واحشام

— اني احبك حباً فائق الوصف

ثم استدعى اليه بخادمه باسبارتو
 وكانت الفتاة قد قبضت على يديه وضمتها
 الى صدرها فنظر اليها نظر الواله ثملاً
 بخمرة الوجد وبينما هما على هذه الحالة اذ
 دخل عليهما باسبارتو ولما رآها في حالة
 السرور استنار وجهه كالشمس حينما تبرز
 من دائرة الانقلاب فقال له مولاه

— الم يفت الوقت على استدعاء الاب

صاموئيل وبلسون من كنيسة السيدة

فتبسم باسبارتو وقال له

— لا لم يفت الوقت وما الساعة

الان الا ٨ وه دقائق

فالوقف ان تخطر القسيس منذ اليوم

ليستعد للحضور باكراً يوم الاثنين

فالتفت فوج الى الفتاة وقال لها

— موعد اللقاء بيننا غداً فقالت له

— اصبت

ثم خرج باسبارتو ليخطر حضرة الاب

فوج حتى ضاقت بهم فمحات الطرقات
 واتصب بينهم ميزان الجدل وخصوصاً
 الماسرة منهم وقد احدم بينهم الجدل
 حتى علت الضوضاء تشق كبد الفضاء
 وقد خيف بسبب الازدحام من حدوث
 امور غيلة بالراحة العمومية فدخلت الشرطة
 وحاولت منع الازدحام فلم تفلح . وكانت
 الجماهير الغفيرة تزداد تجمعاً حول الغلوب
 كلما اشتد تداني الوقت المعين واجتمع في
 تلك الليلة منذ الساعة السادسة في قاعة
 الغلوب حضرات المتراهنين يوحنا جلليغان
 وصاموئيل فالنتين واندراوس ستوار
 وجونيه رالف (مدير البنك المسروق)
 ونوما فلاناجان وعندما نهت ساعة
 الغلوب ان قد انقضت الساعة الثامنة
 واليدقيقة ٢٥ قام اندراوس ستوار وقال
 - سادتي لم يبق للمسترف فوج الا
 ٢٠ دقيقة

فسأل توما فلاناجان عن الوقت
 الذي وصل فيه اخر قطار قام من
 ليفربول فاجابه جونيه رولف ان قد
 ورد قطار في الساعة السابعة والدقيقة ٢٣
 وسيحضر قطار آخر عند منتصف الليل

فقد قضوا الثلاثة الايام التي مرت من
 تاريخ القبض على لص البنك جامس
 ستراند في قلعي واضطراب وكانوا يوقعون
 عود فيلاس فوج اليهم بنافذ الصبر
 مسترسلين في الظنون والتخمين فيما اذا
 كان قد عدل عن عزمه ام مات في
 الطريق ام سيعود اليهم في المحادي
 والعشرين من ديسمبر في الساعة الثامنة
 والدقيقة ٤٥ من المساء

ولما لم يتفوا له على اثر بعثوا بالرسائل
 البرقية الي امركا واسيا يستطلعون اخباره
 وكانوا يتفقدون صباحاً ومساءً منزله في
 شارع سافيل لعله يكون قد آب اليه
 ويبحثون على البصاص فيكس الذي
 اخطأ المرمى فاقفوا له على خبر

ولذلك ثبتت الايدي تعقد صكوك
 الرهان اعتقاد ان المسترف فوج فارس ذلك
 الميدان لا يصل الا في اخر دقيقة ولكن
 اوراقه انخفضت الى عشرين وعشرة وخمسة
 غير ان الشيخ الكسج اللورد البرمال كان
 يشتري اوراق فوج بقبعتها الاصلية

وما اقبل مساء السبت حتى تقاطرت
 الناس نحو الغلوب يتظرون الابالمستر

الف جنبه فاجاب جويته رولف : لقد
اصبت فيما قلت وما علينا سوى ان تقدم
طرس المحالة الكائن في يدنا للخوارج
بارين اخوان وتقبض بقتضاء العشرين
الف جنبه

وما اتم كلامه حتى دقت الساعة ٨
والدقيقة ٤٠ فقال ستوار : لم يبق للمستر
فوج سوى خمس دقائق فتبادل حبشدر
هؤلاء الاعضاء النظرات وكانت قلوبهم
تخفق كأنها تنذرهم بخسارة الرهن . وقد
عرض عليهم فالتين ان يجلسوا ازاء
مائدة ويلعبوا . الويست ، فقال ستوار
وهو آخذ في الجلوس ازاء المائدة اني لا
اتنازل من حصتي (٤٠٠٠ جنبه) عن
بارة واحدة وحبشدر اشارت الساعة الى
الساعة ٨ والدقيقة ٤٢ فتناولوا الورق
ثم اخذوا يتبادلون النظرات من آن الى
آن وعند الساعة الثامنة والدقيقة ٤٣
قطع فاناجان الورق ودفعه الى رالف
ولم يسد السكوت دقيقة واحدة في قاعة
الاجتماع حتى علت ضوضاء في الخارج
وعند الساعة الثامنة والدقيقة ٤٤ صرخ
هيليفان باعلى صوته قائلاً : لم يبق الا

فقال ستوار : لو حضر المستر فوج على
فطار الساعة السابعة والدقيقة ٢٢ لكان
وصل الينا فوالحالة هذه صار يمكننا الان
ان نوقن باكتساب الرهن فاجابه فالتين
ان صاحبنا محب للضبط فربما يند علينا
في الثانية الاخيرة من الوقت المعين فقال
ستوار اني لا اصدق ولو نظرتة بعيني فقال
فلاناجان في الواقع ان مهمة المستر فوج
لا يقبلها عقل فهو ان كان محباً للضبط فلا
يمكنه ان يتجنب تأخير يومين او ثلاثة وهذا
يكفي لاختفاق مسعاه فقال سيللفان ان
الطريق التي سار فيها مخاطة بالاسلاك
البرقية ومع ذلك لم يرد الينا منه اقل
نبا فاجاب ستوار بصوت عال قائلاً
سادتي ان المستر فوج قد خسر الرهن
واعلموا ان اسمه غير مرقوم في كشف
الركاب الذين حضروا الى ليفربول على
الباحرة شانبا واظن (لا بل اؤكد لكم)
انه اذا ساعده الطالع يكون الارز قد
حضر الى امركا وسيكون تأخيرها لا اقل
من عشرين يوماً فبناء عليه نكون قد
ربحنا خمسة الاف جنبه التي راها عليها
اللورد البرمال وذلك علاوة على العشرين

ثم خرج من لدنه فرحاً مكشوف الرأس
وسار في الطريق مسرعاً يهتف الأرض
ركضاً حتى أنه عاد في برهة ثلاث دقائق
إلى مولاه ضنكاً من التعب لا يستطيع
كلاماً فسقط إلى الأرض أمامه فقال له
فوج

- ماذا ألم بك

فاجابه متلججاً بقوله

- مولاي... الزفاف... غير ممكن..

- ولماذا

- لان يوم الغد هو يوم الاحد لا

الاثنين فقم... فقم... واسرع..

- الاحد... اصدقني وافهم ما تقول

- أجل... الاحد... يا مولاي..

انت على غلط في يوم واحد فاننا وصلنا

إلى هنا قبل الميعاد المعين باربعة وعشرين

ساعة. وناشدتك الله بان تقوم وتذهب

إلى الغلوب اذ ليس لديك من وقتٍ

للمجدال والاستهتام فاذهب غير مأمور إلى

قاعة الغلوب فانه لم يبق لك سوى

عشر دقائق

فنهض فيلاس لساعته وخرج من

منزله فاستدعى باحد ساقه العربات

دقيقة واحدة فامسك رفاقه عن اللعب
وشخصوا إلى عقرب الساعة. وعند الساعة
الثامنة والدقيقة ٤٤ والثانية ٥٥ سمعوا
اصوات ابتهاج فيما خارج الغلوب.
وتصفيق استحسن فنهض اللاعبين
للقوف على الخبر وما دنت الساعة الثامنة
والدقيقة ٤٥ حتى فتح باب القاعة ودخل
منه فيلاس فوج قائلاً لم بصوت هادٍ
ها انا ذا

الفصل السابع والثلاثون

كيف ان فيلاس فوج لم يكسب
من الرهن سوى الشرف

مر بنا الكلام على وصول المسترفوج
إلى مدينة لوندرة وكيف أنه استدعى بخادمه
باسبارتو (بعد ان صرف في منزله بشارع
ساقيل نحواً من خمس وعشرين ساعة)
وامره بالتوجه إلى منزل الاب صاموئيل
ويلسون ليخضر إليه في الغد ويكتب له
عقد الزواج على السيدة عائدة. فذهب
باسبارتو إلى منزل الاب المذكور فترى
العين مسروراً وبعد ان انتظره في منزله
نحواً من عشرين دقيقة تفاوض معه قليلاً

ووعده بمجازة قدرها ١٠٠ ليرة اذا اوصله الى الغلوب في مدى عشر دقائق فاطلق السائق للخيول العنان فطارت بالعربة الى الغلوب واوصلت المسترفوج اليه في الاجل الذي ضربه للسائق والدقيقة التي يروم الوصول بها الى القاعة وبناء عليه كسب الرهن وهنا محل للعجب كيف ان هذا الرجل المحب للضبط المتروفي في الامور يرتكب خطأ بحساب يوم واحد ولا يميز بين ايام الاسبوع بحيث لا يفرق بين الخميس والجمعة وبين السبت والاحد .

على اننا اذا نظرنا الى هذا الخطاء عرفنا الاسباب التي نشأ عنها وهي في حد نفسها بسيطة جداً

فمن المعلوم لدينا ان المسترفوج شرع في الطواف حول الارض من جهة الشرق سائراً امام الشمس ومن المعلوم ايضاً ان للكرة الارضية ثلثمائة وستين درجة ففي اجنباز كل درجة يتقص من ساعات النهار اربع دقائق واذا ضربنا الثلثائة والستين درجة في اربع دقائق كان الحاصل اربعمائة وعشرين ساعة وهذه

صورة العمل

٤٦٠ درجة

٤ دقائق

١٤٤٠ الحاصل

فحاصل الدقائق ١٤٤٠ وهاك تحويلهم الى ساعات

ساعات دقائق

٦٠ ١٤٤٠

٢٤ ٢٤ ١٢

٢٤

٢٤

فحاصل القسمة ٢٤ ساعة

اما المسترفوج في سيره نحو الشرق فقد رأى الشمس مرت ثمانين مرة في دائرة النصف مع ان رفقاءه في لوندرة رأوها مرت في تلك المدة تسعاً وسبعين مرة فمن هنا نرى للمسترفوج رجح يوم واحد وهو اليوم الذي نحن في صده وبعكس ذلك لو طاف حول الارض من الغرب لحصل لديه زيادة يوم واحد على الثمانين يوماً

وقد كسب المسترفوج بذلك قيمة

الرهن ولكنه كان قد تكبد من النقثات
 أثناء الطريق مبلغ تسعة عشر ألف ليرة
 وبما أنه كان يقصد بطوافه نيل الشرف
 لا اكتساب المال فقد وزع الألف ليرة
 الباقية على خادمه بأسبارتو والمنكود المحظ
 فيكس ومن أخلاقه الشاذة وطباعه
 الغريبة أنه خصم من حصه بأسبارتوثن
 الغاز الذي بقي موقداً في غرفته أيام الرحلة
 وبعد أن عاد من القلوب فائزاً
 بأمنيته حاصلاً على بغيته باكتساب الرهن
 أنفرد بالسيدة عائدة وقال لها

— هل أنت مستمرة على عزمك من

حيث الزواج

فاجابة عائدة

— مولاي كان الأجدر بي أن أوجه

إليك هذا السؤال الذي وجهته إليّ

لأنك عندما قبلت أن تقترن بي كنت

فقيراً أما الآن فقد صرت بمحمد الله غنياً

فقال لها فوج

— صدقت أيتها الحبيبة المفداة

بالروح ولكن أنت التي أخذتني من الفقر

المدفع ساعة حدثني بامر الزواج فارسلت

خادمي إلى الأب صاموئيل فعاد وإزاح

الحجاب عن خطائي فلما سمعت عائدة هذا
 الكلام أخذت تدعوه بالطف اسماء المحبين
 وهو يجيبها بأعذب الفاظ العاشقين كيف
 لا وقد عزمنا أن يرتبطا برابطة الزواج
 بعد ثمانين وأربعين ساعة ويكون بأسبارتو
 شاهداً عليهما لأنه هو الذي أتمم الفناء
 من الحريق ومولاه من الفقر والاعواز
 وفي غلس اليوم التالي نهض بأسبارتو
 من رفاده وأتى حجرة المسترفوج فابتعده
 من نومه وقال له

— مولاي قد اكتشفت الآن على

امرهم

— وما هو

— هو أنه في إمكاننا أن نطوف

حول الأرض في تسعة وسبعين يوماً فقط

— نعم يا بني ولكن إذا لم تقطع صحارى

الهند ولو لم تقطعها لما كنا أقدنا السيدة

عائدة من الهلاك ولما صارت زوجة لي

قال هذا وأغلق عليه باب حجراته

بكل هدوء وسكينة

وخلاصة القول أن المسترفيلاس فوج

طاف حول الأرض في ثمانين يوماً ولم

يقف على وسيلة إلا استخدمها في تذليل

العوائق وتسهيل سبل الانتقال من
مكان الى مكان فقد ركب البحار على اجمحة
البحار وقطع النفايا والقفار على القطارات
الحديدية والمركبات والعربات والافبال
واظهر كل ما فطر عليه من غرائب
الاخلاق وشدة التأني واحكام الدقة
والضبط ومع ذلك فما الذي رحمه في
رحلته وما هي الفائدة التي عادت عليه
بعد تلك الالام . انه لم يكتسب شيئاً
غير الشرف ولم يربح الا فتاةً بديعة الجمال

يسلو بوجودها ما كاده من المشاق وقاسا
من العناء فقد ملكت قلبه وسحرت له
ملكته القلب فرقاً به
ما احسن الاحسان ممن ملك
استغفر الله فما انت من
هذا الملا ما انت الاملك
وفي الواقع ان الارض لا تطاف في
اقل من المدة التي قضاها المسافر في لاس
فوج في ذلك الطواف
(تمت)